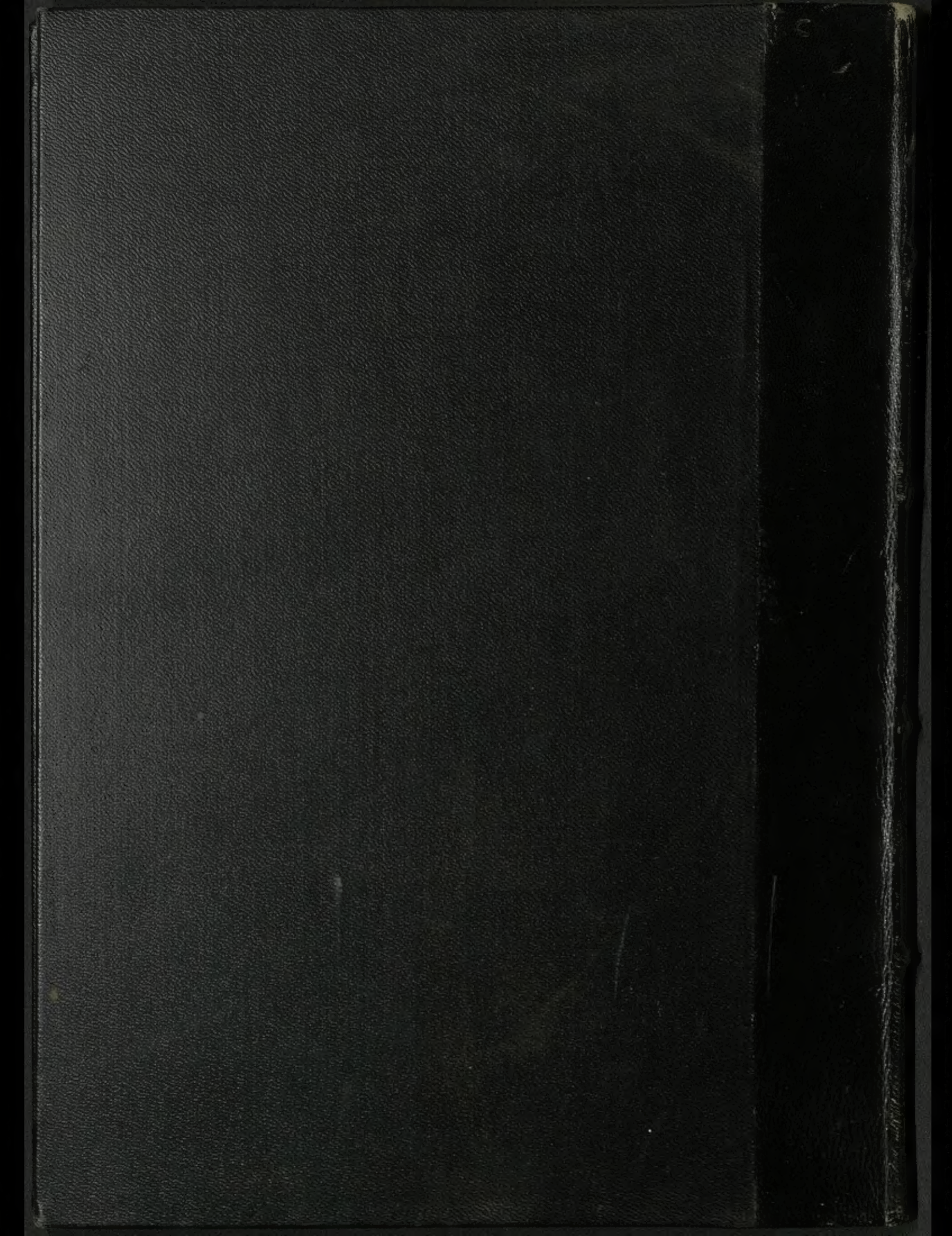
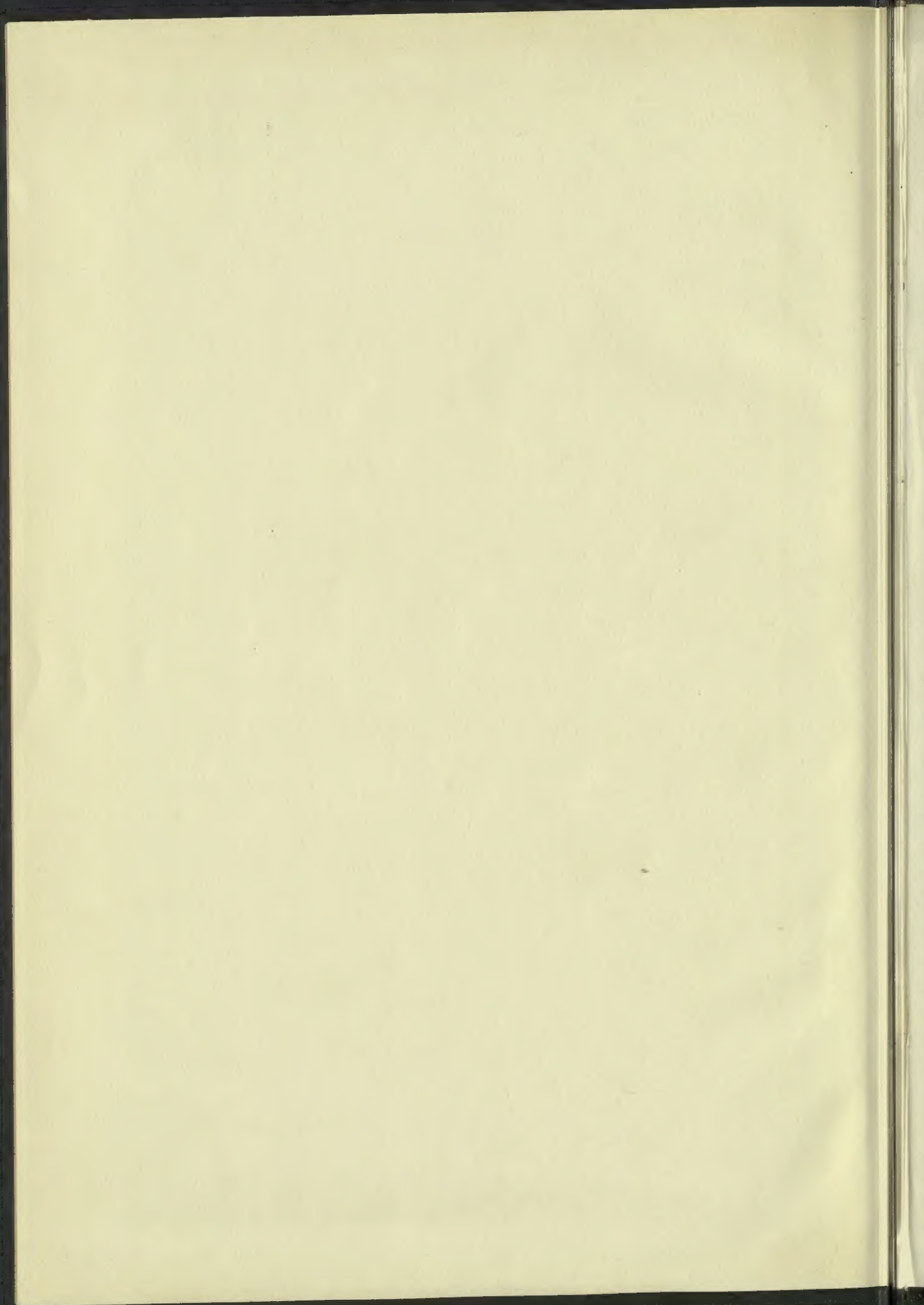
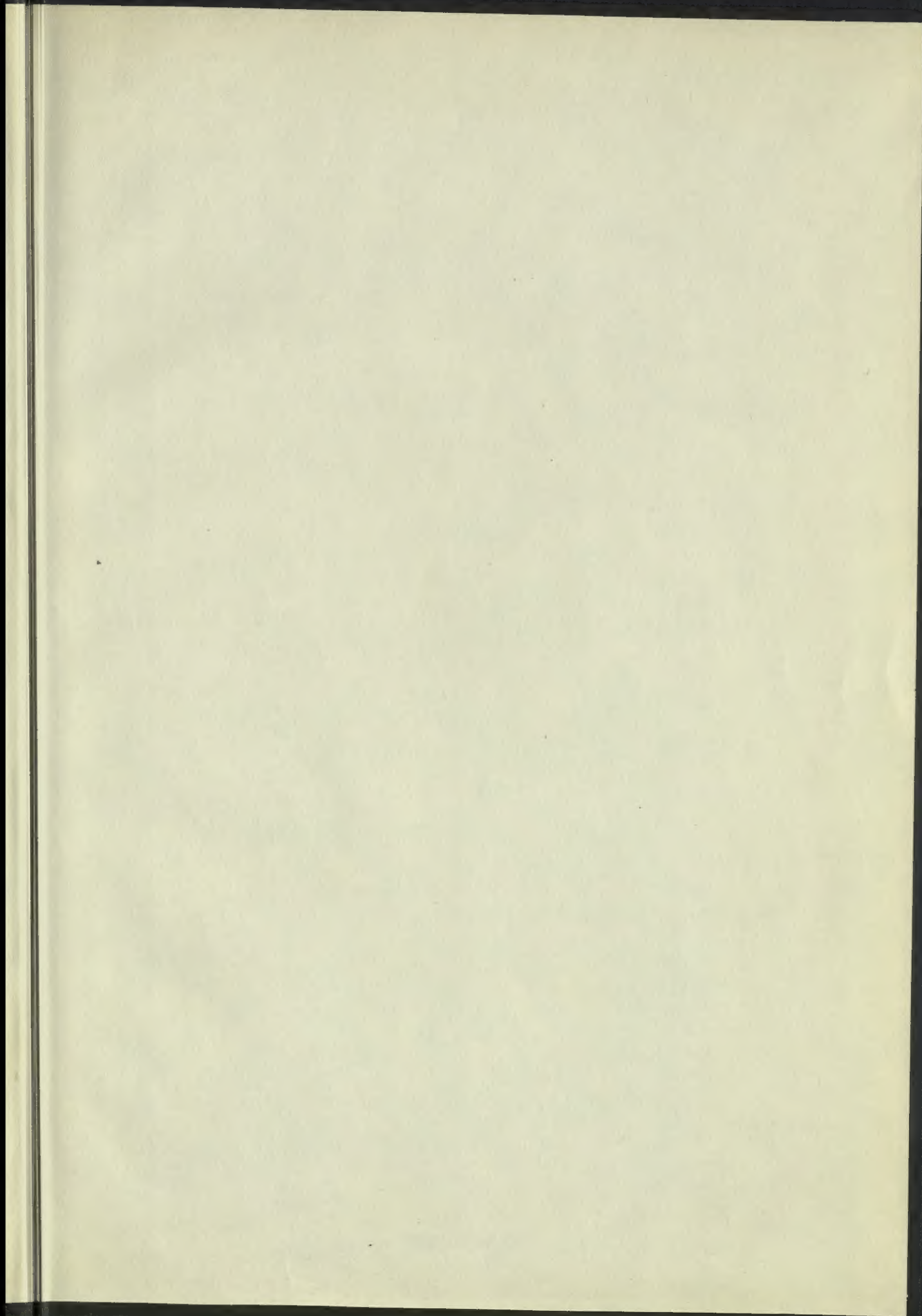
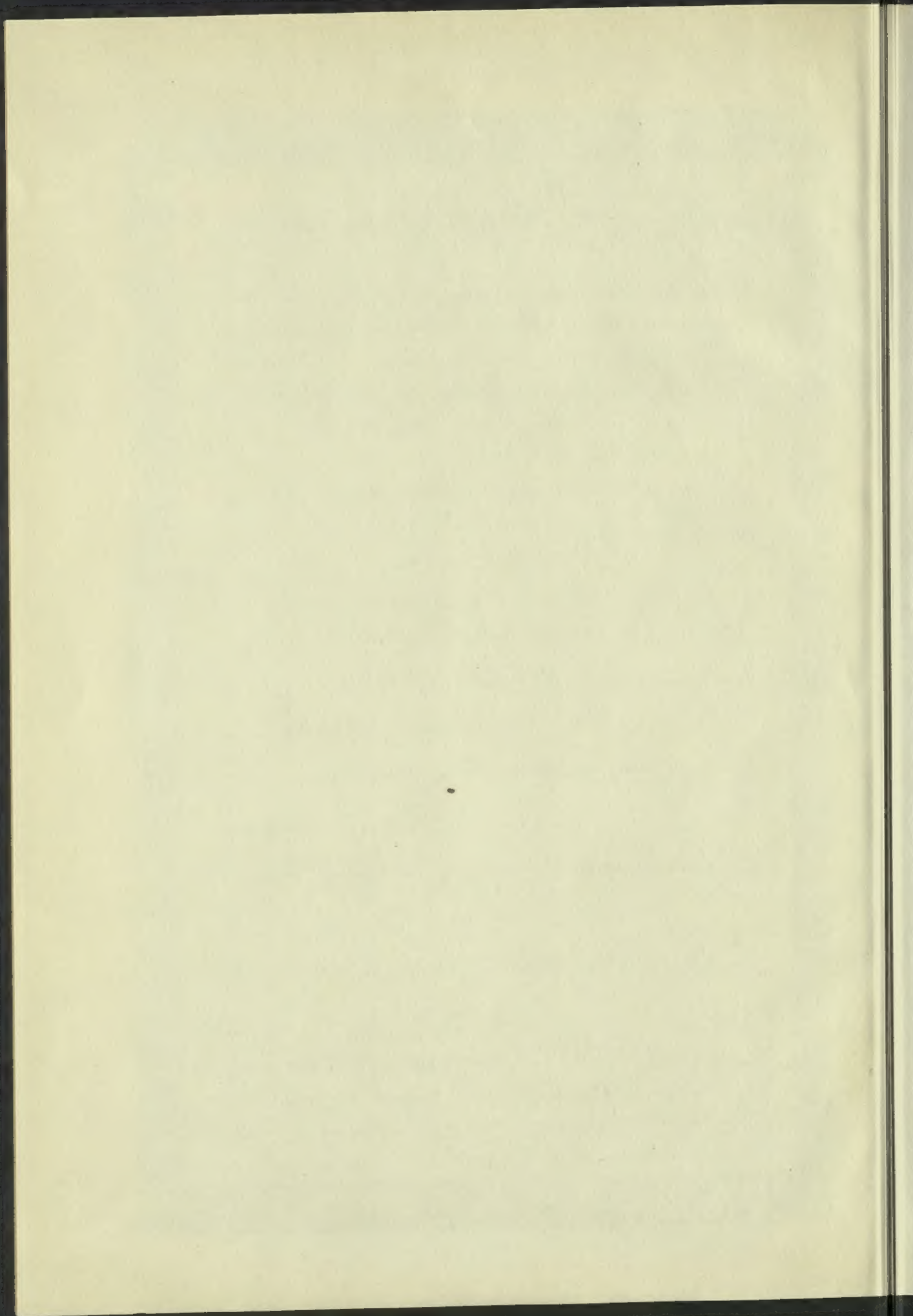




AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT









شرح العقيدة الاصفهانية

297.3

I131A

C.1

تأليف الشيخ الامام العالم الرباني امام الائمة ومفتي الامة وبحر العلوم سيد الحفاظ *
وفارس المعاني والالفاظ * وفريد العصر وقرع الدهر (شيخ الاسلام) بركة الانام
علامة الزمان * وترجمان القرآن * علم الزهاد وأوحد العباد * قانع المبتدعين *
وآخر المجتهدين * تقي الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة
شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة
شيخ الاسلام محمد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي
محمد عبيد الله بن أبي القاسم الحضرمي بن محمد بن
الحضرمي بن علي بن عبد الله بن تيمية
الحراقي ورحمهم الله تعالى آمين

﴿ وقد مدح هذا الشرح في الرد الوافر بما لا مزيد عليه وجعله مما ﴾
﴿ فضل به شيخ الاسلام على سائر الأئمة الاعلام ﴾

طبع على نسختين عظيمتين الاولى بخط أستاذنا العلامة نحر العراق (السيد
محمود شكري الآلوسي) * والثانية بتصحيح العلامة المفضل
الشيخ محمد جمال الدين القاسمي حفظهما الباري

وذلك بمعرفة الفقير اليه تعالى (فرج الله زكي الكردي) بمطبعته ﴿ مطبعة ﴾
كرستان العلمية ﴿ بدرب المسط بملك سعادة المفضل أحمد بك
الحسيني بحالية مصر القاهرة سنة ١٣٢٩ هجرية

﴿ تنبيه ﴾ حقوق الطبع محفوظة فكل من تجاسر على طبعه يحاكم قانوناً

﴿ تنبيه ﴾ 29933

كل من أراد هذا الكتاب * واعلام الموقعين * ومسنفي النزالي * وشرح تحرير
الاصول * وحواشي (١٢) على العقائد النفسية وشروح التلخيص * وشرح تهذيب الكلام *
وشرح منظومتي الكواكب * وحواشي شرح التسمية ومتن مسلم الثبوت مع المنهاج والمختصر
وغیرها يطلبها من ملتزم طبعها ﴿ فرج الله زكي الكردي بمصر ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مثل شيخ الاسلام ﴾ أبو العباس تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مقيم بالديار المصرية في شهور سنة اثني عشر وسبعمائة أن يشرح العقيدة التي ألفها الشيخ شمس الدين محمد بن الاصفهاني^(١) الامام المتكلم المشهور الذي قيل إنه لم يدخل الى الديار المصرية أحد من رؤس علماء الكلام مثله وأن يبين مافيه *

﴿ فاجاب ﴾ الى ذلك واعتذر بانه لا بد عند شرح ذلك الكلام من مخالفة بعض مقاصده لما توجه قواعد الاسلام فان الحق أحق أن يتبع والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين والله تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) وليعلم أن الشرح المطلوب الآتي ذكره اشتمل والله الحمد مع اختصاره على غرر قواعد اصول الدين التي لم ينهض بتحقيق الحق فيها الا الجهابذة النقاد من سادات الاولين والآخرين كما ستشهد ذلك ويشهد به وقت التأمل أهل العدل والانصاف من المحققين المجتهدين والله سبحانه ولى التوفيق والمهادى الى سواء الطريق وهو حسبنا ونعم الوكيل (وأول العقيدة المذكورة قوله)

(١) هو محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي الشهير بشمس الدين الاصفهاني مولده باصفهان سنة ٦١٦ ووفاته سنة ٦٨٨ ترجمه الذهبي والخضيري في طبقاته وصاحب فوات الوفيات وغيرهم * وأما شمس الدين الاصفهاني شارح مختصر الاصول فهو متأخر عن هذا فليحفظ . (محمود شكري)

الحمد لله حق حمده * وصلواته على محمد رسوله وعبد * للعالم خالق واجب الوجود لذاته
واحد عالم قادر حي مرید متكلم سمیع بصیر ﴿ والدلیل على وجوده الممكنات ﴾ لاستحالة وجودها
بنفسها واستحالة وجودها بممكن آخر ضرورة استغناء المعلول بعلة عن كل ما سواه وافتقار
الممكن الى علة ﴿ والدلیل على وحدته ﴾ انه لا تركيب فيه بوجه والا لما كان واجب الوجود لذاته
ضرورة افتقاره الى ما تركب منه * ويلزم من ذلك ان لا يكون من نوعه اثنان اذ لو كان لزم
وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال ﴿ والدلیل على علمه ﴾ ايجاده الاشياء لاستحالة ايجاده الاشياء
مع الجهل بها ﴿ والدلیل على قدرته ﴾ ايجاده الاشياء * وهى إما بالذات وهو محال والا لكان
العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما وهو باطل فتمين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب *
﴿ والدلیل على انه حي ﴾ علمه وقدرته لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحى ﴿ والدلیل على ارادته ﴾
تخصيصه الاشياء بخصوصيات واستحالة التخصيص من غير مخصص ﴿ والدلیل على كونه متكلما ﴾
انه أمر ونه لانه بهت الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك *
﴿ والدلیل على كونه سميعا بصيرا ﴾ السمعيات ﴿ والدلیل على نبوة الانبياء ﴾ المعجزات ﴿ والدلیل
على نبوة نبينا محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه ﴿ ثم نقول ﴾ كل ما أخبر
به محمد عليه السلام من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من أحوال القيامة والصراط والميزان
والشفاعة والجنة والنار فهو حق لانه ممكن * وقد أخبر به الصادق فلزم صدقه والله الموفق ﴿ متن ﴾
فأجاب رضى الله تعالى عنه * الحمد لله رب العالمين * ما فى هذا الكلام من الاخبار بأن للعالم
خالقا وانه واجب الوجود بنفسه وانه واحد عالم قادر حي مرید متكلم سمیع بصیر فهو حق
لا ريب فيه * وكذلك ما فيه من الاقرار بنبوة الأنبياء عليهم السلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وانه يجب التصديق بكل ما أخبر به من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من أحوال
القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فانه حق فان هذه الأسماء المقدسة المذكورة
لله تعالى منها ما هو فى كتاب الله تعالى كاسمه الواحد والعالم والقادر والحى والسميع والبصير *
قال تعالى (وإلهكم إله واحد) وقال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره
على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار) وقال تعالى (الله لا إله الا هو الحى القيوم * وعنت الوجوه للحى القيوم)

وقال تعالى (والله شكور حلیم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) وقال تعالى (ان الله على كل شيء قدير) وقال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ومثل هذا في القرآن كثير *
 ﴿ وأما تسميته ﴾ سبحانه بأنه مرید وانه متكلم فان هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الاسماء الحسنی المعروفة ومعناها حق ولكن الاسماء الحسنی المعروفة هي التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها والعلم * والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والاسماء الدالة عليها أسماء مدح

﴿ وأما الكلام والارادة ﴾ فلما كان جنسه ينقسم الى محمود كالصدق والعدل والى مذموم كالظلم والكذب. والله تعالى لا يوصف الا بالمحمود دون المذموم جاء ما يوصف به من الكلام والارادة في أسماء تخص المحمود كاسمه الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والروف والحليم والفتاح ونحو ذلك مما يتضمن معنى الكلام ومعنى الارادة * فان الكلام نوعان انشاء واخبار والاخبار ينقسم الى صدق وكذب والله تعالى يوصف بالصدق دون الكذب * والانشاء نوعان انشاء تكوين وانشاء تشريع فانه سبحانه له الخلق والأمر وانما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والتكوين يستلزم الارادة عند جاهير الخلق وكذلك يستلزم الكلام عند أكثر أهل الاثبات * وأما التشريع فيستلزم الكلام * وفي استلزامه الارادة نزاع * والصواب انه يستلزم أحد نوعي الارادة كما سنبين ان شاء الله * والانشاء يتضمن الأمر والنهي والاباحة والله تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير وينهى عن الشر فهو سبحانه لا يأمر بالفحشاء * وكذلك الارادة قد نزه نفسه عن بعض أنواعها بقوله تعالى (وما الله يريد ظلماً للعباد) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فلهذا لم يجز في أسمائه الحسنی الماثورة المتكلم والمريد

وأما ما يوصف به الرب من الكلام والارادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنی * وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على ان الله تعالى متكلم بكلام قائم به وان كلامه غير مخلوق وانه مرید بارادة قائمة به وان ارادته ليست مخلوقة وأنكروا على الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا ان كلام الله مخلوق خلقه في غيره وانه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء * واتفق سلف الأمة وأئمتها على ان كلام الله منزل غير مخلوق * منه بدأ واليه يعود * ومعنى قولهم منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلق في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم انه بدأ من بعض المخلوقات وانه سبحانه

لم يقيم به كلام ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنقل الي غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنقل الي غيره * ولهذا قال الامام أحمد كلام الله من الله ليس بباثن منه ورد بذلك على الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله باثن منه خلقه في بعض الاجسام * ومعنى قول السلف اليه يعود ما جاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية * وقد قال الله تعالى عن المخلوق (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) ومع هذا فكلمة المخلوق لا تفارق ذاته وتنقل الي غيره * وما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحاب والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذي رواه أحمد في مسنده وكتبه الى المتوكل في رسالته التي أرسل بها اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه) يعنى القرآن وفي لفظ (باحب اليه مما خرج منه) وقول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة ان هذا كلام لم يخرج من إل . أي من رب وقول ابن عباس لما سمع قائلاً يقول ليت لما وضع في لحده اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت اليه ابن عباس فقال مه القرآن كلام الله ليس بمربوب منه خرج واليه يعود وهذا الكلام معروف عن ابن عباس وقول السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود كما استفاضت الآثار عنهم بذلك كما هو مذكور عنهم في الكتب المنقولة عنهم بالاسانيد المشهورة لا يدل على ان الكلام يفارق المتكلم وينتقل الي غيره ولكن هذا دليل على ان الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع لأنه خلقه في غيره كما فسر به ذلك أحمد وغيره من الأئمة قال أبو بكر الاشتهر سئل أحمد عن قوله القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود فقال أحمد منه خرج هو المتكلم به واليه يعود ذكره الخلال في كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد * وما جاءت به الآثار مثل قول خباب بن الارت (تقرب الى الله بما استطعت فانك لن تقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه) وروى ذلك مرفوعاً ونحو ذلك أولى أن لا يدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل الي غيره ولكن هذا دليل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع لأنه خلقه في غيره * وقد بين السلف والأئمة وأتباعهم فساد قول الجهمية وأتباعهم الذين يقولون كلامه مخلوق بوجوه كثيرة * مثل قولهم لو كان مخلوقاً في غيره لكان صفة لذلك المحل ولا شتى لذلك المحل منه اسم كما في سائر الصفات مثل العلم والقدرة والسمع والبصر

والحياة وكما في الحركة والسكون والسواد والبياض وسائر الصفات التي تشترط لها الحياة فانها اذا قامت بمحل كانت صفة لذلك المحل دون غيره واشتق لذلك المحل منها اسم دون غيره * فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره وسمى بالاسم المشتق منها ذلك المحل دون غيره ﴿وطرد هذا عند﴾ اسلاف وجهور أهل الاثبات في اسماء الافعال كخالق والمادل وغير ذلك * وأما من لم يطرد ذلك بل زعم انه يوصف بصفات الافعال وهي عنده المفعولات المبانية له ويشتق له منها اسم فقوله متناقض ولهذا نقضت المعزلة قول هؤلاء بما ساموه لهم وبسط هذا موضع آخر *

والمقصود هنا التنبيه على الفرق بين المتكلم والمريد وغيرهما حيث جاءت النصوص باسم العليم والقدير والسميع والبصير ولم تأت باسم المريد والمتكلم بما يدل على مطلق الارادة والكلام وانما جاءت بما يدل على الكلام المحمود والارادة المحمودة لا باسم يشترك فيه المحمود والمذموم وأن الكلام والارادة مما يقوم بالرب تعالى ويوصف به ليس ذلك أمراً منفصلاً عنه كما تزعم الجهمية والمعتزلة والتنبيه على أنه لو كان كلام الله مخلوقاً في محل لكان ذلك المحل هو المتكلم به وكانت الشجرة مثلاً هي القائمة لموسى (اني انا الله لا اله الا أنا فاعبدني) ولو جب أن يكون ما أنطق الله به بدخ مخلوقه كلاماً له وقد قال تعالى (وقالوا الجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) * وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسلم عليه الحجر * وقال اني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لأعرفه الآن * وقد سبح الحصى بيديه حتى سمع تسبيحه * وأمثال ذلك كثير والله هو الذي أنطق هذه الاجسام * فلو كان ما يخلقه من النطق والكلام كلاماً له لكان ذلك كلام الله كما ان القرآن كلام الله * وكان لافرق بين أن ينطق هو وبين أن ينطق غيره من المخلوقات * وهذا ظاهر الفساد *

﴿وكان قدماء الجهمية﴾ تنكر أن يكون الله يتكلم فان حقيقة مذهبهم ان الله لا يتكلم * ولهذا قتل المسلمون أول من أظهر هذه البدعة في الاسلام الجعد بن درهم ضحى به خالد بن عبد الله القسري في يوم النحر * وقال ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً * ولم يكلم موسى تكليماً * تعالى الله عما يقول الجعد عنوا كبيراً * ثم نزل فذبحه * ثم انهم صاروا يقولون انه متكلم مجازاً * ثم بعد ذلك أظهروا القول بأنه متكلم

حقيقة وفسروا ذلك بأنه خالق للكلام في غيره * وكان هذا من التليس على الناس فإن المتكلم عند الناس من قام به الكلام لا من أحدثه في غيره * كما أن المرید والرحيم والسميع والبصير والعالم والقادر من قامت به الإرادة والرحمة والسمع والبصر والعلم والقدرة لا من أحدث ذلك في غيره وكذلك الإرادة

﴿ومن الجهمية والمعتزلة وغيرهم﴾ من يقول أنه لا إرادة له كما يقوله من يقوله من المعتزلة البغداديين ومنهم من يقول له إرادة أحدثها لافي محل كما يقوله البصريون منهم. والشيعية المتأخرون وافقوهم على ذلك ولهم قولان كلمة معتزلة وهو من أفسد الأقوال من وجهين * من جهة أنبأهم صفة لافي محل * ومن جهة أنبأهم حادثا أحدثه لا بإرادة *

﴿فهذا المصنف﴾ احترز عن مذهب هؤلاء وأحسن في ذلك ولكن هذا المصنف اختصر هذه العقيدة من كتب المتكلمين الصفاية الذين يثبتون ما ذكره من الصفات بما نبه عليه من الطرق العقلية ويسمون ذلك العقلیات

﴿وأما أمر المعاد﴾ فيجعلونه كله من باب السمعیات لانه ممكن في العقل والصادق قد أخبر به * وأما المعتزلة والفلاسفة والكرامية وغيرهم وكثير من أهل الحديث والفقهاء من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم وكثير من الصوفية وسلف الأئمة وأنتماء فيجعلون المعاد أيضا من العقلیات ويثبتونه بالعقل ويخوض أهل التأويل فيه كما خاضت الصفاية في ذلك ولكن المصنف سلك في ذلك طريقة أبي عبد الله الرازي فأثبت العلم والقدرة والإرادة والحياة بالعقل وأثبت السمع والبصر والكلام بالسمع ولم يثبت شيئا من الصفات الخبرية * وأما من قبل هؤلاء كأبي المعالي الجويني وأمثاله والقاضي أبي يعلى وأمثاله فيثبتون جميع هذه الصفات بالعقل كما كان يسلكه القاضي أبو بكر ومن قبله كأبي الحسن الأشعري وأبي العباس القلانسي ومن قبلهم كأبي محمد ابن كلاب والحارث المحاسبي وغيرها وهكذا السلف والأئمة كالامام أحمد بن حنبل وأمثاله يثبتون هذه الصفات بالعقل كما ثبتت بالسمع وهذه الطريقة أعلى وأشرف من طريقة هؤلاء المتأخرين كما سنبين ان شاء الله تعالى * وأيضا فائضة الصفاية المتقدمون كابن كلاب والحارث المحاسبي والأشعري وأبي العباس القلانسي وأبي عبد الله بن مجاهد وأبي الحسن الطبري والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وأبي اسحق الاسفرائيني وأبي بكر بن فورك وغيرهم يثبتون الصفات

الخبرية التي ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بها وكذلك سائر طوائف الاثبات كالسالية والكرامية وغيرهم وهذا مذهب السلف والائمة*

ولا ريب ان ما أثبتته هؤلاء الصفاتية من صفات الله تعالى ثابت بالشرع مع العقل وهو متفق عليه بين سلف الامة وأئمتها* وانما خصوا هذه الصفات بالذكر دون غيرها لانها هي التي دل العقل عليها عندهم كما نبه عليه المصنف* ولكن لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول فلا يلزم نفي ما سوى هذه من الصفات* والسمع قد اثبت صفات أخرى* وأيضا فان الرازي ونحوه ممن لم يثبت السمع طريقا الى اثبات الصفات* ولا نزاع بينهم انه طريق صحيح لكن يفرقون بين ما أثبتوه وبين ما توقفوا في ثبوته بأن العقل دل على ما أثبتناه ولم يدل على ما توقفنا فيه* ولهم فيما لم يثبتوه طريقان* منهم من نفاه ومنهم من توقف فيه فلم يحكم فيه باثبات ولا نفي* وهذه طريقة محققهم كالرازي والآمدی وغيرهما بل ومن الناس من يثبت صفات أخرى بالعقل* فالذي اتفق عليه سلف الامة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل* ومن غير تكييف ولا تمثيل فانه قد علم بالشرع مع العقل ان الله تعالى ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله كما قال تعالى ليس كمثله شيء وقال تعالى (هل تعلم له سميا) وقال تعالى (فلا تجملوا الله اندادا وانتم تعلمون) وقال تعالى (ولم يكن له كفوا احد) وقد علم بالعقل ان المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر* ويجب له ما يجب له* ويمتنع عليه ما يمتنع عليه* فلو كان المخلوق مماثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع* والخالق يجب وجوده وقدمه* والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه* بل يجب حدوثه وامكانه فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك فكان كل منهما يجب وجوده وقدمه ويمتنع وجوب وجوده وقدمه ويجب حدوثه وامكانه فيكون كل منهما واجب القدم* واجب الحدوث* واجب الوجود ليس واجب الوجود* يمتنع قدمه* لا يمتنع قدمه* وهذا جمع بين التقيضين*

(فإذا عرفت هذا) فنقول ان الله سمي نفسه في القرآن بالرحمن الرحيم* ووصف نفسه في القرآن بالرحمة والمحبة كما قال تعالى (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقال (ورحمتي وسعت كل شيء) وقال (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال (ان الله يحب المتقين) (ويحب

المحسنين * ويحب الصابرين * ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص * ونحو ذلك

﴿ ومن الناس ﴾ من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة كما جعل بعضهم ارادته عبارة عن ما يخلقه من المخلوقات * وهذا ظاهر البطلان لاسيما على أصل الصفاتية * ومنهم من جعل حبه ورحمته هي إرادته ونفى أن تكون له صفات هي الحب والرضا والرحمة والغضب غير الارادة

﴿ فيقال لهذا القائل ﴾ لم أثبت له ارادة وانه مرید حقيقة ونفيت حقيقة الحب والرحمة ونحو ذلك فان قال لان اثبات هذا تشبيه لان الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب ينزه عن مثل صفات المخلوقين * قيل له وكذلك يقول من ينازع في الارادة ان الارادة المعروفة ميل الانسان الى ما ينفعه وما يضره والله تعالى منزّه عن أن يحتاج الى عباده وهم لا يباغون ضره ولا نفعه بل هو الغنى عن خلقه كلهم

(فان قلت) الارادة التي ثبتها الله ليست مثل ارادة المخلوق كما انا قد اتفقنا وسائر المسلمين على انه حي عليم قدير * وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين * (قال لك) أهل الانبياء وكذلك الرحمة والمحبة التي ثبتها الله * وليست مثل رحمة المخلوق ومحبة المخلوق * (فان قلت) لا أعقل من الرحمة والمحبة الا هذا * (قال لك النفاء) ونحن لا نقبل من الارادة الا هذا ومعلوم عند كل عاقل ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة اليها كإرادته ورحمته ومحبته بالنسبة اليه فلا يجوز التفريق بين التماثلين فيثبت له احدي الصفتين وتنفي الأخرى * وليس في العقل ولا في السمع ما يوجب التفريق اذا اكثر ما يقال اني أثبت الارادة بالعقل لان وجود التخصيص في المخلوقات دلّ على الارادات * فيقال لك انتفاء الدليل المعين لا يقتضى انتفاء المدلول فرب ان مثل هذا الدليل لا يثبت في الرحمة والمحبة فمن أين نفيت ذلك * ثم يقال بل السمع أثبت ذلك أيضا وقد يسلك في اثبات ذلك نظير الطريق العقلي الذي أثبت به الارادة * فيقال ما في المخلوقات من وجود المنافع المحتاجين وكشف الضر عن المضرورين والاحسان الى المخلوقات وأنواع الرزق والمهدي والمسرات هو دليل على رحمة الخالق سبحانه والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذا الطريق تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته ومشيدته *

وتارة يدلمهم بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير في القرآن وان لم يكن مثل الأول أو أكثر منه ولم يكن أقل منه بكثير كقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقوله (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) وقوله في سورة الرحمن بعد أن ذكر كل نوع من هذه الأنواع (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وبالجملة ما ذكره في القرآن من الأمثال والآيات تارة يقرر بها نفس مشيئته وقدرته وخلقته وتارة يقرر بها احسانه وانعامه ورحمته * وهذه الطريقة مستلزمة للأولى من غير عكس * فانه يلزم من وجود الاحسان والرحمة وجود القدرة والمشيئة من غير عكس * وقس على هذا غيره من الصفات * وأمره هو أيضاً مما يعلم بالسمع وبالعقل أيضاً كما تعلم ارادته وكما تعلم محبته وهذه المسائل مبسوبة في مواضع * وانما ذكرنا في هذا الشرح ما يناسب حال هذه العقيدة المختصرة المشروحة وقد بسطنا في غير هذا الموضع الكلام في حجة الله وذكروا ان للناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال * أحدها ان الله تعالى يحب ويحب كما قال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه وهو سبحانه يحب ما أمر به ويحب عباده المؤمنين. وهذا قول سلف الأمة وأئمتها. وهذا قول أئمة شيوخ المعرفة * والقول الثاني أنه يستحق أن يحب لكنه لا يحب إلا بمعنى انه يريد وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية * والثالث انه لا يحب ولا يحب وانما محبة العباد له ارادتهم طاعته وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام والرازي ومما يوضح ذلك ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفاً على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بمقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم (قالوا لن تؤمن حتى توتي مثل ما أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمناً بالرسول ولا متلقياً عنه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله

لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه وما لم يخبر به ان علمه بعقله آمن به والا فلا فرق عند من سلك هذا السبيل بين وجود الرسول واخباره وبين عدم الرسول وعدم اخباره وكان ما ذكره من القرآن والحديث والاجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق *

﴿ثم الطريق النبوية﴾ ففهم من يحيل على القياس ومنهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقتين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية تحصل الايمان النافع في الآخرة بدون ذلك * ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا مع ان القرآن قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل ما في القرآن كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فأخبر انه يري عبادته من الآيات المشهودة التي هي أدلة عقلية ما يتبين ان القرآن حق *

وليس لقائل أن يقول انما خصصت هذه الصفات بالذكر لأن السمع موقوف عليها دون غيرها فان الأمر ليس كذلك لأن التصديق بالسمعيات ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك

﴿فصل﴾

فان قيل انما نفينا الرحمة والمحبة والرضا والغضب ونحو ذلك من الصفات لانه لا يعقل لها حقيقة تليق بالخالق الا الارادة فالحبة والرضا ارادة الاحسان والغضب ارادة العقاب منه فالفرق بينهما بحسب تعلقاتها لان هذه في نفسها ليست هذه قيل هذا باطل فان نصوص الكتاب والسنة والاجماع مع الادلة العقلية تبين الفرق فان الله سبحانه يقول (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضي لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) وقال تعالى (اذ يبيتون ما لا يرضي من القول) فيبين أنه لا يرضى هذه المحرمات مع أن كل شيء كائن بسببه وقال تعالى (والله لا يحب الفساد) وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام وباجماع سلف الامة قبل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم ان الله يحب الايمان والعمل الصالح ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان وانه يرضى هذا ولا يرضي هذا والجميع بمشيئته وقدرته والذين لم يفرقوا لهم تأويلات * تارة يقولون لا يرضاه لعباده المؤمنين فهم يقولون لا يحب الايمان والعمل الصالح ممن لم يفعله كما لم يرده ممن لم يفعله ويقولون انه يحب الكفر والفسوق والعصيان ممن فعله كما أراد من فعله * وفساد هذا القول

مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام مع دلالة الكتاب والسنة واجماع السلف على فسادهم . وتأويلهم الثاني قالوا لا يرضاه ديننا كما يقولون لا يريدونه ديناً ومعناه عندهم أنه لا يريد أن يثبت فاعله اذ جميع الموجودات والافعال عندهم بالنسبة اليه سواء لا يحب منها شيئاً دون شيء ولا يبغض منها شيئاً دون شيء . وقد بسط الكلام على فساد هذا القول وتناقضه في مواضع أخرى . وانما المقصود هنا التنبيه على ان ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصوراً على ما ذكره هؤلاء مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل وبعضها بالسمع فان من عرف حقائق أقوال الناس وطرفهم التي دعتهم الى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة فلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله وأهل البدع يتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها

﴿ فصل ﴾ ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما تميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين * فيذكرون اثبات الصفات وان القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه تعالى يرعى في الآخرة خلافاً للجهمية من المعتزلة وغيرهم * ويذكرون ان الله خالق أفعال العباد وأنه مرید لجميع الكائنات وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خلافاً للقدريّة من المعتزلة وغيرهم * ويذكرون مسائل الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وان المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ولا يتخذ في النار خلافاً للخوارج والمعتزلة وبحق قول القول في الايمان * ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجحلاً خلافاً للرجئة * ويذكرون امامه الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافاً للشيعة من الرافضة وغيرهم * وأما الايمان بما اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى والايمان برسوله والايمان باليوم الآخر فهذا لا بد منه * وأما دلائل هذه المسائل ففي الكتب المبسوطة السكبار * وهذا المصنف لم يسلك هذا الطريق بل أشار إشارة مختصرة الى دليل ما ذكره من الاحكام ولم يستوف الاحكام التي تذكر في المعتقدات وعذره في ذلك أن يقول ذكر جعل الاقرار بالربوبية والرسالة والمعاد فذكرت صفات الله الثبوتية وذكرته الرسالة وما جاءت به النبوات من الايمان بالمعاد وقولي أنه متكلم يناقض قول من قال القرآن مخلوق فان حقيقة قول أولئك أنه ليس بمتكلم واثبات الارادة عامة يتناول جميع

الكائنات وأثبت القدرة المطلقة تتضمن انه خالق كل شيء بقدرته وبهذين يخرج قول المعتزلة في الكلام والقدر والمعرض عليه يقول اقتضت على بعض الصفات دون بعض فان كنت اقتضت على ما يعلم بالعقل عندك فقد ذكرت السمع والبصر والكلام وأثبت ذلك بالسمع وان كنت ذكرت ما يتوقف تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم عليه فهو لا يتوقف عندك على إثبات السمع والبصر والكلام لأنك أثبت ذلك بالسمع وحقيقة الأمر أنك أثبت هذه الصفات السبع لأنها هي المشهورة عند المتأخرين من الكلائية كأبي المعالي وأمثلة بأنها العقليات ولكن لم يثبتها جميعها بالعقل بل أثبت بعضها بالسمع موافقة للرازي فلماذا لم تطرد له في ذلك طريق واحد وهو قد نبه على الأدلة تنبيهها يعلم به جنس ما يثبت به من الأدلة والافاذ كره من الأدلة لا يكفي في العلم بهذه الأحكام فان الدليل ان لم تقرر مقدماته ويحاجب عما يعارضها لم يتم فكيف اذا لم تقرر مقدماته بل ولا تثبت * ونحن نزيد على ما ذكره وعلى وجه تقريره *

(فأما قوله) فالدليل على وجوده الممكنات لاستحالة وجودها بنفسها واستحالة وجودها بممكن آخر ضرورة استثناء المعلول بعلمته عن كل ماسواه واقتدار الممكن الى علمته *
 (فهذا الدليل مبني على مقدمتين) (احدهما) أن الممكنات موجودة (والثانية) أن الممكن لا يوجد الا بواجب الوجود والمقدمة الاولى لم يقررها بحال ولا يمكن أن يسلك في ذلك طريقة ابن سينا وأمثلة من المتفلسفة الذين قالوا نفس الوجود يشهد بوجود واجب الوجود * فان الوجود إما ممكن وإما واجب والممكن مستلزم للواجب فثبت وجود الواجب على هذا التقرير *
 فان هذه الطريقة وان كانت صحيحة بل لا ريب لكن نتيجتها إثبات وجود واجب * وهذا لم يناع فيه أحد من العقلاء المعتبرين ولا هو من المطالب العالية ولا فيه إثبات الخالق ولا إثبات وجود واجب أبدع السموات والارض كما يسلمه الالهيون من الفلاسفة كارسطو وأتباعه المشائين وانما فيه ان الوجود وجود واجب * وهذا يسلمه منكرو الصانع كفرعون والذهرية المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم ويقولون ان هذا الوجود واجب الوجود بنفسه * والى هذا يؤل قول أهل الوحدة القائلين بان الوجود واحد * فانهم يقولون في آخر الأمر ما هم موجود مباين للسموات والارض * وما هم غير وجود الوجود الممكن (ومصنف العقيدة) أثبت الصانع بهذا الطريق * فانه لما أثبت انه صنع الممكنات أثبت علمه وقدرته * فلا بد أن يثبت أولا وجود

شيء ممكن ليس بواجب ليبنى عليه ثبوت وجود واجب مبدع لوجود ممكن ليم ماسلكه وأما
 مجرد اثبات وجود واجب فلا يفيد هذا المطلوب * فليفهم اللبيب هذا * ولا ريب أنه اختصر
 هذه العقيدة من كتب أبي عبد الله بن الخطيب وقد تكلمنا على ما ذكره أبو عبد الله الرازي
 مبسوطا في مواضعه ونحن نقدر وجود الممكنات ليم ما ذكره المصنف من الدليل ويتبين أن
 هذا الطريق أصح في العقل وأبين مما يذكر في كتب الأصول والأهيات التي اختصرت
 منها هذه العقيدة لكونها موافقة لطريقة القرآن فإن الفاضل إذا تأمل غاية ما يذكره المتكلمون
 والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق
 العقلية * وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما قد نهينا على بعضه في غير هذا الموضع *
 (فقول) أنه يمكن تقريرها بما نشاهد من حدوث الحوادث فإننا نشاهد من حدوث الحوادث
 حدوث الحيوان والنبات والمعادن * وهذه الحوادث ليست ممتعة فإن الممتع لا يوجد * ولا
 واجبة الوجود بنفسها فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم وهذه كانت معدومة ثم وجدت
 فقدمها ينفي وجوبها * ووجودها ينفي امتناعها وهذا دليل قاطع واضح بين على ثبوت الممكنات
 لكن من سلك هذه الطريق لم يحتاج إلى أن يثبت إمكانها بحدوثها ثم يستدل بإمكانها على الواجب
 بل نفس حدوثها دليل على اثبات الحدث لها فإن العلم بأن الحدث لا بد له من محدث أبين من
 العلم بأن الممكن لا بد له من واجب فتكون تلك الطريق أبين وأقصر وهذه أخفى وأطول
 حيث يستدل بالحدوث على الامكان ثم بالإمكان على الواجب * وإن كان بعض الناس يستدل
 بالحوادث على الحدث فإن الحوادث لا تختص بما هي عليه إلا بمخصص فانه يجوز أن تقع على
 خلاف ما وقعت عليه فتخصص أحد طرفي الممكن لا بد له من مخصص فهذا الاستدلال وإن
 كان صحيحا فليس بمسلك شديد فإن العلم بأن الحدث لا بد له من محدث أبين من هذا المحتاج
 إلى هاتين المقدمتين اللتين هما أخفى من ذلك ومن استدل على الجلي بالخفي فانه وإن تكلم حقا
 فلم يسلك طريق الاستدلال فإن كل مستلزم لشيء يصلح أن يكون دليلا عليه اذ يلزم من
 ثبوت المزوم ثبوت اللازم والدليل * وهذا من شأن الدليل فانه يلزم من ثبوته ثبوت المدلول
 عليه ولهذا يجب طرد الدليل ولا يجب عكسه لكن إذا كان اللازم والمدلول عليه أظهر من
 المزوم الذي هو الدليل كان الاستدلال بالمزوم على اللازم خطأ في البيان والدلالة وإن سلك المصنف

في اثبات الممكنات تقرير امكان الاجسام كلها* فهذا دليل طويل وفيه مقدمات متنازع فيها نزاعا طويلا وكثير من الناس يقدح فيها بما لم يمكن دفعه فاثبات الصانع بمثل هذه المقدمات لو كانت صحيحة كان الدليل باطلا

﴿ وأما المقدمة الثانية وهي ان الممكن لا بد له من واجب ﴾ فقد نبه على هذه المقدمة بقوله ﴿ لاستحالة وجودها بنفسها ﴾ فان الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم كانشاهده من المحدثات وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما ان المحدث لا يكون وجوده بنفسه كما قال تعالى ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ يقول سبحانه أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم* ومعلوم ان الشيء لا يوجد نفسه فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودا بنفسه بل ان حصل ما يوجد والا كان معدوما وكل ما أمكن وجوده بدل عن عدمه وعدمه بدل عن وجوده فليس له من نفسه وجود ولا عدم وهذا بين* ومما يقرره ان ما يمكن عدمه بدلا عن وجوده لا يكون وجوده بنفسه اذ لو كان وجوده بنفسه لكان واجبا بنفسه ولو كان واجبا بنفسه لم يقبل العدم وهو قد قبل العدم فليس موجودا بنفسه* يقرر ذلك ان ما كان موجودا فاما ان يكون مفقرا في وجوده الى غيره وإما ان لا يكون فان كان مفقرا في وجوده الى غيره لم يكن وجوده بنفسه بل بذلك الغير الذي هو مفقرا اليه أو به وبذلك الغير فلي التفسيرين لا يكون وجوده بنفسه وان لم يكن مفقرا في وجوده الى غيره كان موجودا بنفسه فالموجود بنفسه لا يكون مفقرا الى غيره* والمفقر الى غيره لا يكون موجودا بنفسه* فالموجود بنفسه الذي لا يفقر الى غيره واجب بنفسه اذ نفسه كافية في وجوده* فلا يتوقف وجوده على شيء غير إتيته ان قدر ان إتيته شيء غير وجوده* وان قدر ان إتيته هي وجوده كما هو قول أهل السنة كان قول القائل موجودا بنفسه أي هويته ثابتة بهويته حيث قدرت هويته لم يمكن عدمها فالموجود بنفسه لا يقبل العدم* وما قبل العدم فليس موجودا بنفسه فيفتقر الى غيره* فكل ممكن مفقر الى غيره* وهذه المقامات ثابتة في نفس الامر ويمكن تحريرها بوجوه من الطرق وال عبارات والمعني فيها واحد* فتبين قول المصنف لاستحالة وجود الممكنات بانفسها* ﴿ وأما قوله واستحالة وجودها بممكن آخر ضرورة استثناء المعلول بملته عن كل ماسواه* وافتقار المعلول الى علته ﴾ فمقصود أن يبين ان الممكنات كما لا توجد

بأنفسها فلا توجد بممكن آخر فيلزم أنه لا بد له من واجب بنفسه * وذلك لأنها لو وجدت
بممكن استغنت به عما سواه لان ذلك الممكن ان لم يكن علة تامة لوجودها لم توجد به
وان كان علة تامة لوجودها استغنت به عما سواه * فان العلة التامة تستلزم وجود
المعلول * فلا يقتصر المعلول الى غيرها فلو وجدت الممكنات بممكن لزم أن يستغنى به
عما سواه * وذلك الممكن من جملة الممكنات والممكن مفتقر الى غيره * فيلزم ان يكون مفتقرا
الى علة غير نفسه * والمفتقر الى غيره لا يكون مستغنيا بنفسه فيلزم أن يكون مفتقرا الى غيره
غير مفتقر الى غيره غنيا بنفسه ليس بغنى بنفسه * وهو جمع بين النقيضين فلو كان فاعل الممكنات
كلها ممكنا لزم ان يكون هذا الممكن غنيا بنفسه ليس بغنى بنفسه * فقيرا الى غيره غير فقير الى
غيره * حيث جعل ممكنا مفتقرا * وجعل معلولا بعلة تامة * فلا يفتقر فيلزم التناقض والامر
في هذا أوضح من هذا التطويل *

وانما سلك هذا المصنف طريقة أبي عبد الله بن الخطيب الرازي فان هذه طرقة * وكان
ينسج على منواله والا فالعلم بان جميع الممكنات تفتقر الى غيرها كالمعلم بان هذا الممكن مفتقر الى غيره *
فان الافتقار اذا كان من جهة كونه ممكنا سواه كان الامكان دليل الافتقار أو علة الافتقار فهو يعلمها
كلها فأي شيء قدر ممكنا كان الفقر ثابتا فيه الى غيره فلا بد لكل ممكن من مفتقر اليه كما لا بد
لهذا الممكن من غير يفتقر به (ومعلوم) ان افتقار الشيء الى بعض اشد من افتقاره الى نفسه
فاذا كان الممكن لا يوجد بنفسه ولا يكون موجودا بنفسه فكيف يكون موجودا ببعضه
وكيف يتصور ان يكون مجموع الممكنات موجودة بممكن من الممكنات وهي لا يكفي في وجودها
مجموع الممكنات والهيئة الاجتماعية لا تخرجها عن الامكان الذي هو علة الافتقار أو دليل الافتقار
وهذا بين والله الحمد *

﴿ فصل ﴾

فلما قرر اثبات الصانع أخذ يثبت وحدانيته * فقال (والدليل على وحدته انه لا تركيب فيه
بوجه والا لما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره الى ما تركب منه ويلزم من ذلك ان لا يكون
من نوعه اثنان اذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال * وهذا الدليل أخذه من كلام
أبي عبد الله الرازي وهو سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن سينا وأمثاله فان هذا هو عمدتهم فيما

يدعونه من التوحيد وهو حجة باطلة ومقصودهم فيما يدعونه من التوحيد وقد بين ذلك علماء المسلمين كما بينه أبو حامد الغزالي في تهافت الفلاسفة * وكما قد صرح الرازي وغيره في هذه الطرق في مواضع أخرى (وأما قوله ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان اذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال) فطريقهم في تقرير هذا أنه لو كان اثنان واجبا لوجود لكانا مشتركين في وجوب الوجود فان كان كل منهما ممتازا عن الآخر بتعيينه كان كل منهما مركبا بمابه الاشتراك ومابه الامتياز فيكون كل منهما مركبا وقد تقدم أن التركيب محال * وإن لم يكن أحدهما ممتازا عن الآخر لزم وجود اثنين بلا امتياز * وبهذه الحجة يثبتون إمكان الأجسام كلها لأنهم يقولون الجسم مركب إما من المادة والصورة * وإما من الجواهر الفردة * وكل مركب ممكن فهذه الحجة تقوم الصفات * وكانوا من أشد الناس تحجما لأنهم زعموا أن إثبات الصفات ينافي هذا التوحيد * وقد تفتن لفساد هذه الحجة من تفتن لها من الفضلاء كابي حامد الغزالي وغيره وذلك من وجوه (أحدها) أن يقال قول القائل أنه يلزم افتقاره إلى مركب منه وذلك ينافي وجوب الوجود ممنوع لأن غاية ما فيه أن مركب منه جزء من أجزائه وقول القائل أن المركب مفتقر إلى جزئه ليس بأعظم من قوله أنه مفتقر إلى كله فإن الافتقار إلى المجموع أشد من الافتقار إلى بعض المجموع فالمفتقر إلى المجموع مفتقر إلى كل جزء منه والمفتقر إلى جزء منه لا يلزم أن يكون مفتقرا إلى الجزء الآخر . ومعلوم أن افتقاره إلى الجميع هو افتقاره إلى نفسه وهو معنى قوله هو واجب بنفسه . فعلم أن وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المنافي لوجوب الوجود

﴿ الوجه الثاني ﴾ أن يقال وجوب الوجود الذي دل عليه الدليل ينفي أن يفتقر إلى أن يكون مفتقرا إلى شيء خارج عن نفسه إذ كانت الممكنات لا بد لها من وجود غير ممكن موجود بنفسه . وهذا ينفي أن يفتقر إلى شيء خارج عن نفسه فلو قيل أنه موجود بنفسه مستغن عن غيره وأنه مفتقر إلى غيره للزم الجمع بين النقيضين فاما ما هو داخل في مسمى نفسه فليس هو شيئا خارجا عن نفسه حتى يقال افتقاره إليه ينافي وجوده بنفسه

﴿ الوجه الثالث ﴾ أن يقال اسم الغير فيه اصطلاحان . أحدهما أن حد الغيرين ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر . والآخر أن الغيرين ما جاز مفارقة أحدهما الآخر بوجود أو إمكان أو زمان . ولأول اصطلاح المعتزلة والكرامية . والثاني اصطلاح السكالية والاشعرية

فان قيل بالثاني فجزؤه وصفته ليس بغير له فلا يكون ثبوته موجبا لافتقاره الى غيره . وان قيل
بالاول فثبوت الغير بهذا التغير لا بد منه فانه يمكن العلم بوجوده والعلم بوجوده والعلم بانه خالق
والعلم بعلمه والعلم بارادته وهم يعمرون عن ذلك بالعقل والعناية وهذه المعاني اغيار على هذا الاصطلاح
وثبوتها لازم لواجب الوجود . واذا كان ثبوت هذه الاغيار لازما له لم يحز القول بنفيها لان
نفيها يستلزم نفي واجب الوجود . وعلم ان مثل هذا وان سمي تركيبا فليس منافيا لوجوب الوجود
﴿ فاذا قيل ﴾ واجب الوجود لا يفتقر الى غيره * قيل لا يفتقر الى غير يجوز مفارقة له أم هو
لازم لوجوده * (فالاول) حق * (وأما الثاني) فمنوع ونين ذلك ﴿ بالوجه الرابع ﴾ وهو أن
يقال استعمال لفظ الافتقار في مثل هذا ليس هو المعروف في اللغة والعقل * فان هذا انما هو
تلازم بمعنى انه لا يوجد المركب الا بوجود جزءه أولا يوجد أحد الجزئين الا بوجود الآخر
أولا يوجد الجزء الا بوجود الكل أولا توجد الصفة الا بوجود الموصوف أولا يوجد الموصوف
الا بوجود الصفة * ومعلوم ان الشئين المتلازمين في الوجود لا يجب أن يكون أحدهما
مفتقرا الى الآخر بل ان كانا ممكنين جاز أن يكونا معلولى علة واحدة أوجبتها من غير أن
يفتقر أحدهما الى الآخر * وأما الامور المتلازمة كالابوة والبنوة لا يجب أن يكون أحدهما
مفتقرا الى الآخر فان افتقار الشئ الى غيره انما يكون اذا كان ذلك الغير مؤثرا في وجوده
كتأثير العلة * فأما المتلازمان اللذان يكون وجود أحدهما مستلزما لوجود الآخر معه فانه
وان قيل ان وجوده شرط لوجوده لكن لا يلزم أن يكون مفتقرا اليه بحيث يكون علة
له * واذا كان المراد بالافتقار هنا التلازم فذلك لا ينافي وجوب الوجود * يوضح ذلك
﴿ الوجه الخامس ﴾ وهو أن يقال لا ريب انه يمتنع أن يكون شيان كل منهما علة للآخر
لأن العلة متقدمة على المعلول فلو كان علة لعلة للزم تقدمه على نفسه لكونه علة العلة وتأخره
عن نفسه لكونه معلول العلة وذلك جمع بين النقيضين ولهذا كان الدور القبلي محالا ولا يمتنع
أن يكون شيان كل منهما شرط في الآخر لان ذلك انما يستلزم أن يكون كل منهما مع الآخر
وليس ذلك بمتنع ولهذا قيل الدور الممي ليس بمحال فالمركب غاية أن يكون كل من اجزائه
مشروطا بالجزء الآخر وأن يكون هو مشروطا باجزائه ولا يقتضي التركيب وجود جزء قبل جزء
ولا وجود جزء قبل اجزائه فاذا قيل إنه مفتقر الى جزئه كان معناه لا يوجد الا بوجود جزئه

معه ولا يستلزم ذلك وجود جزئه * ثم ذلك الجزء ليس هو علة له ولا هو خارجا عن نفسه فالقول بان وجوده يستلزم وجود الجزء حق والتعبير عن ذلك بانه يقتضي أن يكون مفتقرا الى جزئه وجزؤه غيره ليس له معنى الا ذلك * وهذا لا يقتضي أنه مفتقر الى علة ولا محتاج الى علة ولا شرط خارج عن واجب الوجود ولا دور قبلي وأما ما فيه من الدور المعنى فليس ذلك بمحال * ولا ينافي وجوب الوجود الا أن يثبت ان مثل هذا التمدد ينافي وجوب الوجود وهم لم يثبتوا ان التمدد ينافي وجوب الوجود الا بهذا فبطل أن يكون هذا دليلا على بطلان التمدد في وجوب الوجود

﴿ الوجه السادس ﴾ أن يقال قول القائل واجب الوجود بنفسه هل يقتضي أن يكون مفتقرا الى نفسه أم لا يقتضي ذلك فان اقتضاه كان افتقاره الى جزئه أولى وأحرى بالالتزام فلا يكون ممتنعا * وان قيل لا يقتضيه قيل وكذلك التركيب لا يقتضي أن يكون المركب مفتقرا الى جزئه فانه اذا كانت نفسه لا توجد الا بنفسه ولم يحسن أن يقال هو مفتقر اليها فالجميع الذي لا يوجد الا بأجزائه أولى أن لا يقال له هو مفتقر الى واحد منها إذ المركب ليس الا الاجزاء وصورة التركيب *

﴿ الوجه السابع ﴾ أن يقال المعنى المعروف من لفظ التركيب أن يكون الجزآن مفترقين فيركبهما جميعا مركب لأن المركب اسم مفعول ركبته مركب فهو مركب كما يركب الطيخ من أجزائه والأدوية المركبة من أجزائها وأمثال ذلك * ومعلوم ان المركب بهذا الاعتبار مفتقر الى من يركبه غيره * إذ لو كانت ذاته تقتضي التركيب لم يجز عليه التفرق * وواجب الوجود بنفسه لا يكون مفتقرا الى شيء خارج عن نفسه لأن ذلك جمع بين التقيضين * ولا ريب ان مثبتة الصفات ليس فيهم بل ولا في سائر فرق الأمة من يثبت هذا التركيب في حق الله تعالى . ولكن المتفلسفة يسمون الموصوف مركبا ويسمون الصفات أجزاء فيقولون الانسان مركب من الحيوانية والناطقة والنوع مركب من الجنس والفصل . فما أن يريدوا بالحيوانية والناطقة جوهرأ أو عرضا فان أرادوا بها جوهرأ وهو الحيوان والناطق فالحيوان والناطق هما الانسان وليس الجوهر الذي هو الناطق غير الجوهر الذي هو الانسان ولا هو غير الجوهر الذي هو حيوان ناطق لكن الذهن مجرد هذه المعاني في الذهن فيتصور الناطق مطلقا والحيوان مطلقا

والانسان مطلقا لكن تجريد الذهن لها لا يقتضى أن يكون في الخارج ثلاثة جواهر والعلم بهذا ضرورى . وان قيل إنه مركب من الحيوانية والناطقة وهما عرضان فالعرض لا يقوم الا بالجواهر والحيوانية والناطقة صفة الانسان فكيف يكون الجوهر مركبا من صفاته وصفاته لا قيام لها الا به وهي مفترقة اليه . واذا قالوا الوسمين هذا تركيبا لم تنازع في الالفاظ نزاعا لا فائدة فيه . نقول كل موجود فلا بد أن يكون مركبا بهذا الاعتبار فان وجود ذات عارية عن جميع الصفات ممتنع ووجود موجود مطلق لا يتعين ولا له حقيقة يختص بها عن سائر الحقائق ممتنع وكل ما يختص وتميز عن غيره فلا بد له من خاصة * وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع ولسنا محتاجين هنا الى اثبات وجوب مثل هذا بل يكفي أن نقول لانسلم امتناع مثل هذا المعنى الذى سميتموه تركيبا * وكثير من المتكلمين لا يسمون الاتصاف تركيبا بل يسمون التقدير تركيبا لان المقدر مركب من الاحزاء الفردة اومن المادة والصورة * وهذا ايضا فيه نزاع فطوائف من اهل الكلام كالمشائية والضرارية والنجارية والكلابية يقولون ليس بمركب بحال ومن قال انه مركب قال لا يمكن وجود اجزائه بدونه كما لا يمكن وجوده بدون اجزائه وحينئذ يقال لهم كما قيل للمتفلسفة وهم يسمون نفي مثل هذا التركيب توحيدا ويدخلون في ذلك نفي الصفات فيجعلون نفي علم الله وقدرته وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته من التوحيد ويسمون انفسهم الموحدين كما يدعى المعتزلة انهم اهل التوحيد والعدل ويعنون بالتوحيد نفي الصفات * ولما كان ابو عبد الله محمد بن التومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات لقب اصحابه بالموحدين * وقد صرح في كتابه الكبير بنفي الصفات ولهذا لم يذكروا في مرشدته شيئا من الصفات الثبوتية لاعلم الله ولا قدرته ولا كلامه ولا شيئاً من صفاته الثبوتية وانما ذكر السلوب * والتوحيد الذى بعث الله به رسوله وانزل به كتابه هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو توحيد الوهيته المتضمن توحيد ربوبيته كما قال تعالى (والهيم اله واحد) وقال تعالى (لاتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاي اى فارهبون) وقال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وقال تعالى (لقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) * والمشركون كانوا يقولون بان رب العالمين واحد لكن كانوا يعبدون معه غيره كما قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

وقال تعالى (واثن سألهم من خلق السموات والارض ليقوان الله) * وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأني تسحرون

(ونحن نوجه ذلك بمدح حجته) ووجه نظمها أن يقال واجب الوجود لا تركيب فيه وما لا تركيب فيه فهو واحد فواجب الوجود واحد وانما قلنا لا تركيب لأن المركب مفتقر الى ما تركيب منه وما تركيب منه غيره وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره فواجب الوجود لا تركيب فيه وهذا معنى قوله (الدليل على وحدته انه لا تركيب فيه بوجه والا لما كان واجب الوجود لذاته) أي لو كان فيه تركيب بوجه لما كان واجب الوجود لذاته ثم قال (ضرورة افتقاره الى ما تركيب منه) أي لو كان مركبا لزم ضرورة أن يفتقر الى ما تركيب منه ثم انه حذف تمام الحجة وهو اذا افتقر الى ما تركيب منه كان مفتقرا الى غيره وواجب الوجود لا يفتقر الى غيره (وأما قوله ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان اذ لو كان اثنان واجب الوجود فان كان بينهما امتياز لزم تركيبهما مما به الاشتراك وما به الامتياز والا لزم عدم التمييز) فيقال. الجواب عن ذلك من طريقين * أحدهما انه اذا اشتراك في وجوب الوجود وامتناز كل منهما بتعيينه فمعلوم أن وجوب أحدهما ليس هو عين وجوب الآخر كما ان عينه ليست عينه بل هذا واجب وهذا واجب كما ان هذا عين وهذا عين واشتراكهما في وجوب الوجود المطلق كاشتراكهما في التمييز المطلق والمطلق انما يكون مطلقا في الازهان لافي الاعيان فعين هذا واجبة وجوبا يخصصها وعين هذا واجبة وجوبا يخصصها والذهن مجرد وجوبا مطلقا وتعيينا مطلقا واذا كان كذلك بطل قول القائل ان كلا منهما مركب مما به الاشتراك ومما به الامتياز بل مما به الاشتراك وهو الوجوب مثل ما به الامتياز وهو التمييز وهذه الحجة كثيرة في كلامهم والفاظ فيها واقع لاحيلة فيه وانما نشأ الغلط حيث أخذوا في الوجوب ما يشتركان فيه وفي التمييز ما يخص وهذا يمكن معارضته بمثله بان يقال هما مشتركان في التمييز اذ هذا معين وهذا معين ويمتناز كل منهما بوجوبه اذ لكل منهما وجوب يخصصه واذا أمكن العكس تبين أن ما فعلوه تحكم محض (الطريق الثاني) أن يقال هب ان هذا تركيب مما به الاشتراك والامتياز لكن دليله على نفي مثل هذا التركيب باطل كما تقدم

* فصل *

﴿ وأما قوله * والدليل على علمه إيجاده الاشياء لاستحالة إيجاده للاشياء مع الجهل ﴾ فهذا الدليل مشهور عند نظار المسلمين أولهم وآخرهم والقرآن قد دل عليه كما في قوله تعالى ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ والمتفلسفة أيضا سلكوه * وبيانه من وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان إيجاده للاشياء هو بارادته كما سيأتي والارادة تستلزم تصور المراد قطعاً وتصور المراد هو العلم فكان الإيجاد مستلزماً للارادة والارادة مستلزمة للعلم فلا إيجاد مستلزم للعلم * ﴿ الثاني ﴾ ان المخلوقات فيها من الاحكام والاتقان ما يستلزم علم الفاعل لها لان الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم * وبهذين الطريقين يتقرر ما ذكره ﴿ ولهم طرق ﴾ منها ان من المخلوقات ما هو عالم والعلم صفة كمال * ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً * وهذا له طريقان ﴿ أحدهما ﴾ أن يقال نحن نعلم بالضرورة ان الخالق أكمل من المخلوق وان الواجب أكمل من الممكن ونعلم ضرورة انا اذا فرضنا شيئين أحدهما عالم والآخر غير عالم كان العالم أكمل منه * فاذا لم يكن الخالق سبحانه عالماً يلزم أن يكون غير عالم أي جاهلاً وهو ممتنع * ﴿ الثاني ﴾ أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منهم ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه بل هو أحق والله سبحانه وله المثل الأعلى لا يستوى هو والمخلوق لافي قياس تمثيل ولا قياس شمول بل كل ما أثبت لمخلوق فالخالق به أحق * وكل نقص تنزه عنه مخلوق فنزبه الخالق عنه أولى *

* فصل *

﴿ وأما قوله والدليل على قدرته إيجاده الاشياء وهي إما بالذات وهو محال لان كان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديماً وهو باطل فتعين أن يكون فاعلاً بالاختيار وهو المطلوب ﴾ فقد يقال هذا انما أثبت به أنه فاعل بالاختيار وان كان لم يقرر مقدمات دليله وفعله بالاختيار يثبت الارادة ولا يثبت القدرة وهو قد أثبت الارادة فيما بعد فظاهر هذا انه كرر دليل الارادة ولم يذكر على القدرة دليلاً لكن تقرير ذلك أن يقال إنه إما أن يكون المبدع للاشياء مجرد ذات عارية عن الصفات يستلزم وجوده المفعول كما يقول المتفلسفة القائلون بقديم الافلاك وإما أن يكون ذاتاً موصوفة بالصفات لا يجب معها وجود المخلوقات كما عليه أهل الملل *
﴿ واذا أردت التقسيم الحاصر قلت ﴾ الفاعل إما مجرد الذات * وإما الذات بصفة * فان كان الاول

فمعلوم ان العلة المتامة تستلزم وجود المعلوم فاذا كان مجرد الذات هو الواجب فمجرد الذات علة تامة فيلزم وجود المعلوم جميعه ويلزم قدم جميع الحوادث وهو خلاف المشاهدة * وان كان الثاني فالصفة التي يصلح بها الفعل هي القدرة . أو يقال فاذا لم يكن موجبا لذاته بل بصفة تعين أن يكون مختارا فانه إما موجب بالذات وإما فاعل بالاختيار والمختار انما يفعل بالقدرة اذ القادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل . فاما من يلزمه المفعول بدون ارادته فهذا ليس بقادر بل ملزوم بمنزلة الذي تلزمه الحركات الطبيعية التي لا قدرة له على فعلها ولا تركها

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما قوله والدليل على أنه حي علمه وقدرته لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحى ﴾ فهذا دليل مشهور للنظار يقولون قد علم أن من شرط العلم والقدرة الحياة فان ما ليس بحي يمتنع أن يكون عالما اذ الميت لا يكون عالما والعلم بهذا ضروري . وقد يقولون هذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ولا غائبا فتقدير عالم لا حياة به يمتنع بصريح العقل . ﴿ وكذلك قوله والدليل على ارادته تخصيصه الاشياء بخصوصيات واستحالة المخصص من غير مخصص ﴾ فان هذا دليل مشهور للنظار ويقرر هكذا ان العالم فيه تخصيصات كثيرة مثل تخصيص كل شيء بماله من القدر والصفات والحركات كطول وقصره وطعمه ولونه وريحه وحياته وقدرته وعلمه وسمعه وبصره وسائر ما فيه مع العلم الضروري بانه من الممكن أن يكون خلاف ذلك اذ ليس واجب الوجود بنفسه . ومعلوم ان الذي المجردة التي لا ارادة لها لا تخصص وانما يكون التخصيص بالارادة * ولوقيل التخصيص هو باسباب معلومة كالارض والاشجار تكون مختلفة فاذا سقيت بماء واحد اختلف ثمارها لاختلاف القوابل كما ان الشمس تختلف آثارها بحسب القوابل كما تبيض الثوب وتسود وجه القصار وتلين اليايس الذي لم ينضج بما تجذبه اليه من الرطوبة وتجنف الرطب الذي كمل نضجه لانقطاع الرطوبة عنه * قيل هب ان الامر كذلك فما الموجب لاختلاف القوابل حتى خصت هذه الشجرة وهذا الجسم بسبب اخر فلا بد أن ينتهي الأمر الى سبب لا سبب فوقه * فان قيل هو شيء صدر عنه كما تقول المتفلسفة لا يصدر عن الواحد الا الواحد والصادر الاول هو العقل وصدر عن العقل عقل ونفس وفلك * فهذا باطل لانه ان كان الصادر الأول واحدا من كل وجه لم يصدر عنه أيضا الا واحد . وان كان فيه كثرة فقد صدر عن

الواحد أكثر من واحد . وان قيل الكثرة عدمية لزم أن يصدر عن العدم وجود . ثم يقال
الفلك الثامن كثير الكواكب دون التاسع فما الموجب لكثرة كواكبه . ثم قيل السبب الاول
ان كان فيه اختصاص بصفة وقدر كان تخصيصه بالارادة لان التخصيص بذات الارادة لها
ممتنع بصريح العقل وان قيل ليس له اختصاص بصفة وقدر قيل هذا يقتضى أن يكون
وجودا مطلقا والمطلق لا يكون الا في الازهان لا في الاعيان

﴿ فصل ﴾

كثير من النظائر كابن كلاب وموافقيه كالاشمري واكثر متبعيه من أهل الكلام والرأى
والحديث والتصوف من أصحاب الائمة الاربعة وغيرهم كلقاضى أبى يعلى وأبى المعالى الجوينى
وأبى الوليد الباجي وأبى منصور المتريدى وغيرهم يقولون انه يعلم المعلومات كلها بعلم واحد
بالمعين ويريد المرادات كلها بارادة واحدة بالمعين بل يقولون ان كلامه الذى يتضمن كل أمر
أمر به وكل خبر أخبر به هو أيضا واحد بالمعين وان كان جمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا
معلوم بالضرورة بعد التصور التام * ثم تنازع القائلون بهذا الاصل هل كلامه معنى فقط والقرآن
العربى لم يتكلم به ولا بالتوراة العبرانية ولا تكلم بشئ من الحروف أو الحروف والاصوات التى
نزل بها القرآن وغيره وهى قديمة أزلية على قولين * ومن القائلين بقدم أعيان الحروف والحروف
والاصوات من لا يقول هى واحدة بالمعين بل يقول هى متعددة وان كانت لانهاية لها ويقول
ثبوت حروف أو حروف ومعان لانهاية لها فى آن واحد وانها لم تزل ولا تزال * ومن القائلين
بقدم معنى الكلام وانه لم يتكلم بحروف من يقول القديم خمسة معان ومنهم من يقول ذلك
المعنى يعود الى الخبر ويجعل الامر داخلا فى معنى الخبر ومنهم من يرد الخبر الى العلم ومنهم من
يقول مع ذلك ان العلم ليس صفة قائمة بالعلم

وأما أقوال السلف وعلماء الاسلام فى هذا الاصل وما فى ذلك من نصوص الكتاب والسنة
فهذا أعظم من أن يسمه هذا الشرح ومن كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد
الرزاق وعبد بن حميد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وبقى بن مخلد وعبد الرحمن بن ابراهيم
رحيم وعبد الرحمن بن أبى حاتم ومحمد بن جرير الطبرى وأبى بكر بن المنذر وأبى بكر بن عبد
العزيز وأبى الشيخ الاصفهاني وأبى بكر بن مردويه وغيرهم من ذلك ما تطول حكايته وكذلك

الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية واصل الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب السنة لأبي داود السجستاني ولأبي بكر الأثرم ولعبد الله بن أحمد بن حنبل وحنبل بن اسحاق ولأبي بكر الخلال ولأبي الشيخ الاصفهاني ولأبي القاسم الطبراني ولأبي عبد الله بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والابانة لأبي عبد الله بن بطة وكتاب الاصول لأبي عمر الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية له واضعاف هذه الكتب وذلك مثل ما ذكره الخلال وغيره عن اسحاق ابن راهويه حدثنا بشر بن عمر قال سمعت غير واحد من المفسرين يقول (الرحمن على العرش استوى أي ارتفع)

وقال البخاري في صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء ارتفع وقال مجاهد استوى (علا) على العرش وقال البغوي في تفسيره قال ابن عباس وأكثر مفسري السلف استوى الى السماء ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل بن أحمد وروى البيهقي عن الفراء استوى أي صعد وهو كقول الرجل كان قاعدا فاستوى قائما

وروى الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك أنه قال عن يوم الجمعة وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وروى أبو بكر الأثرم عن الفضيل بن عياض قال ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف لان الله وصف فابغ فقال (قل هو الله أحد الله الصمد) فلا صفة أبغ مما وصف به نفسه ومثل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يضحك فليس لنا أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف وكيف واذا قال لك الجهمي أنا كفرت برب ينزل فقل أنت أنا أو من برب يفعل ما يشاء

وقال البخاري في كتاب خالق الافعال والفضيل بن عياض اذا قل لك الجهمي أنا اكفر برب ينزل عن مكانه فقل أنا أو من برب يفعل ما يشاء قال البخاري وحدث يزيد بن هرون عن الجهمية فقال من زعم ان الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامة فهو جهمي وروى الخلال عن سليمان بن حرب انه سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال يا أبا اسماعيل الحديث ينزل الله الى السماء الدنيا أي تحول من مكان الى مكان فسكت حماد بن زيد ثم قال هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء وهذا نقله الاشعري في كتاب المقالات عن أهل السنة والحديث فقال

ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم يأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول﴾ ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ولا يحدثون في دينهم ما لم يأذن به الله ويقولون ان الله يحيى يوم القيامة كما قال ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وان الله يقرب من خلقه كما يشاء كما قال ﴿ونحن اقرب اليه من حبل الوريد﴾

(ثم قال الاشعري وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب)

وقال أبو عثمان النيسابوري الملقب بشيخ الاسلام في رسالته المشهورة في السنة قال وثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه في كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكيف بل يثبتون له ما ثبت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكفون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجىء والايان في ظلال من النعمان والملائكة وقوله عز وجل ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وقال سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد الغنبري يقول سمعت ابراهيم بن أبي طالب سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحاق بن ابراهيم يعني ابن راهويه فسأل عن حديث النزول صحيح هو فقال نعم فقال لبعض قواد عبد الله يا أبا يعقوب أتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل قال أثبتته فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبتته فوق فقال اسحاق قال الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) فقال له الأمير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحاق أعز الله الأمير من يحيى يوم القيامة من يمنعه اليوم وروى باسناده عن اسحاق قال قال لي الأمير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي تروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا كيف ينزل قال قلت أعز الله الأمير لا يقال لامر الرب كيف ينزل انما ينزل بلا كيف هو باسناده أيضا عن عبد الله بن المبارك انه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان فقال عبد الله يا ضعيف ليلة النصف أي وحدها هو ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل ألم يحل ذلك المكان فقال عبد الله بن المبارك ينزل كيف شاء قال أبو عثمان النيسابوري فلما صحح خبر النزول عن النبي صلى الله عليه وسلم أقربه أهل السنة وقبلوا الحديث وأثبتوا النزول على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا

تشبيهه له بنزول خلقه وعلومه وعرفوا واعتقدوا وتحققوا ان صفات الرب تعالى لا تشبه صفات
الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق سبحانه وتعالى عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا* وروى
اليهقي باسناده عن اسحاق بن راهويه قال جمعني وهذا المبتدع يعني ابن صالح مجلس الامير عبد
الله بن طاهر فسألني الامير عن اخبار النزول فثبتها فقال ابراهيم كفرت برب ينزل من سماء
الى سماء فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء فرضي عبد الله كلامي وانكر على ابراهيم* وقال حرب
ابن اسماعيل الكرمانى في كتابه المصنف في مسائل أحمد واسحاق مع ما ذكر فيها من الآثار
عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم قال (باب القول في المذهب) هذا
مذهب أئمة العلم وأصحاب الآثار المعروفين بها المقتدى بهم فيها وادركت من أدركت من علماء
العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو
مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم
وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدى وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم
وذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد والامامة وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
من اشتراط الساعة وأمر البرزخ وغير ذلك (الى أن قال) وهو سبحانه بائن من خلقه لا يخلو من
علمه مكان والله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد والله أعلم بحده والله تعالى على عرشه عز
ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لا يشك بصير لا يرتاب عليم لا يجهل جواد لا يبخل
حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى يقظان لا يسهو رقيب لا يفتل يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر
ويقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويسخط ويفض ويكرم ويمفو ويفر ويغفر ويعطي
ويمنع ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء متكما عالما تبارك الله أحسن الخالقين

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة قال أخبرني به يوسف بن موسى ان أبا عبد الله
يعني أحمد بن حنبل قيل له أهل الجنة ينظرون الى ربهم ويكلمونه ويكلمهم قال نعم ينظر اليهم
وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء* واذا شاء وقال أيضا أخبرني عبد الله بن حنبل
أخبرني أبي حنبل بن اسحاق قال قل عني نحن نؤمن بان الله على العرش كيف شاء وكما شاء
قال الخلال وأخبرني علي بن عيسى ان حنبلا حدثهم قال قلت لأبي عبد الله الله يكلم عبده
يوم القيامة قال نعم فمن يقضى بين الخلائق الا الله عز وجل يكلم عبده ويسأله الله متكما يزل

الله متكلماً يأمر بما شاء ويحكم بما شاء وليس له عدل ولا مثل كيف شاء وأين شاء قال الخلال
وان محمد بن علي بن بجران يعقوب بن بختان حدثهم ان أبا عبد الله سئل عن زعم ان الله لم يتكلم
بصوت قال بلى يتكلم بصوت وهذه الاحاديث كما جاءت نزويها لكل حديث وجه يريدون
ان يوهوا على الناس بان من زعم ان الله لم يكلم موسى فهو كافر *

وأخبرنا المروزي سمعت أبا عبد الله وقيل له ان عبد الوهاب قد تكلم وقال من زعم ان الله كلم
موسى بلا صوت فهو جهمي عدو الله وعدو الاسلام فتبسم أبو عبد الله وقال ما أحسن ما قال
عافاه الله * وعن عبد الله بن أحمد أيضاً سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم
بصوت فقال أبي بل تكلم تبارك وتعالى بصوت وهذه الاحاديث نزويها كما جاءت وحديث
ابن مسعود اذا تكلم الله بلوحي سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان قال أبي والجهمية
تنكره قال أبي وهؤلاء كفار يريدون ان يوهوا على الناس ان من زعم ان الله لم يتكلم فهو كافر
﴿قلت﴾ قد بين الامام أحمد وغيره من السلف ان الصوت الذي تكلم الله تعالى به ليس هو الصوت
المسموع * وسئل أحمد عن قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال هو الرجل
يرفع صوته به هذا معناه وقال في قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم يحسنه بصوته *
وقال البخاري في كتاب خلق الافعال ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينادي بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وليس هذا لغير الله قال البخاري وفي هذا دليل على
ان صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لان صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب
وان الملائكة يصمقون من صوته فاذا نادى الملائكة لم يصمقوا قال تعالى ﴿فلا تجملوا الله أن ينادي﴾
فليس لصفة الله ند ولا مثل ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين * ثم روى بإسناده حديث
عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل
الجنة واحداً من أهل النار يطلبه بمظلمة وذكر الحديث الذي رواه أيضاً في صحيحه في هذا
المعنى في قوله ﴿حتى اذا فزع عن قلوبهم﴾ الآية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول ليك وسعديك فينادي بصوت ان الله
يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثنا الى النار قال يا رب ما بعث النار قال من كل ألف اراه قال

تسمائة وتسعة وتسعون حينئذ تضع الحامل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وذكر البخاري حديث ابن مسعود الذي استشهد به أحمد وذكر الحديث الذي رواه في صحيحه عن عكرمة قال سمعت أبا هريرة يقول أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان (فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) * وذكر البخاري حديث ابن عباس المعروف من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن نفر من الانصار وقد رواه أحمد ومسلم في صحيحه وسأقه البخاري من طارق ابن اسحاق عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ما تقولون في هذه النجوم التي يرمي بها قلوبنا حين رأيناها يرمي بها مات ملك ولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن إذا قضى الله في خلقه أمرا يسمعه حملة العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض لم يسبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم فيقولون لا تسألون من فوقكم ثم يسبحون فيسألونهم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الأمر الذي كان يهبط الخبر من السماء إلى السماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثون به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض فيحدثهم فيخطئون ويصيبون فيحدث به الكهان * قال البخاري ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس يخلق وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعال فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت وأن أفعال العباد مخلوقة فضيق عليه حتى مضى لسبيله وتوَجَّع أهل العلم لما نزل به *

قال البخاري وفي اتفاق المسلمين دليل على أن نعيما ومن نحما نحوه ليس بما رقى ولا مبتدع * وقال أبو عبد الله ابن حاتم في كتابه في أصول الدين ومما يجب الإيمان به التصديق بأن الله متكلم وأن كلامه قديم وأنه لم يزل متكلم في كل أوقاته موصوفاً بذلك وكلامه قديم غير محدث كالعالم والقدرة قال وقد علم أن المذهب أن كون الكلام صفة ومتكلماً به ولم يزل موصوفاً بذلك ومتكلماً إذا شاء وبما شاء ولا نقول أنه ساكت في حال ومتكلم في حال من حيث حدوث الكلام قال ولا خلاف عن أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل أن الله لم يزل متكلماً قبل أن يخلق الخلق وقبل كل الكائنات وأن الله كان

فيما لم يزل متكلمًا كيف شاء وكما شاء اذا شاء أنزل كلامه واذا شاء لم ينزل فقد ذكر ابن حامد
 انه لا خلاف في مذهب أحمد انه سبحانه لم يزل متكلمًا كيف شاء وكما شاء ثم ذكر قولين هل
 هو متكلم دائمًا بمشيئته أو انه لم يزل موصوفًا بذلك متكلمًا اذا شاء وساكتًا اذا شاء لا بمعنى انه
 يتكلم بعد ان لم يزل ساكتًا فيكون كلامه حادثًا كما يقوله الكرامية فان قول الكرامية في
 الكلام لم يقل به أحد من أصحاب أحمد وكذلك ذكر القولين أبو بكر عبد العزيز في أول
 كتابه الكبير المسمى بالمتقن وقد ذكر ذلك عنه القاضي أبو يعلى في كتاب ايضاح البيان في
 مسألة القرآن قال أبو بكر لما سأله انكم اذا قلتم لم يزل متكلمًا كان ذلك عبثًا فقال لأصحابنا
 قولان أحدهما انه لم يزل متكلمًا كالعالم لان ضد الكلام الخرس كما ان ضد العلم الجهل قال
 ومن أصحابنا من قال أثبت لنفسه انه خالق ولم يجز أن يكون خالقًا في كل حال بل قلنا انه خالق
 في وقت ارادته أن يخلق وان لم يكن خالقًا في كل حال ولم يبطل أن يكون خالقًا كذلك وان
 لم يكن متكلمًا في كل حال لم يبطل أن يكون متكلمًا بل هو متكلم خالق وان لم يكن خالقًا في
 كل حال ولا متكلمًا في كل حال قال القاضي أبو يعلى في هذا الكتاب نقول انه لم يزل متكلمًا
 وليس بمتكلم ولا مخاطب ولا آمر ولا ناه نص عليه أحمد في رواية حنبل فقال لم يزل الله
 متكلمًا عالمًا غفورًا قال وقال في رواية عبد الله لم يزل الله متكلمًا اذا شاء وقال حنبل في موضع
 آخر سمعت أبا عبد الله يقول لم يزل الله متكلمًا والقرآن كلام الله غير مخلوق **قلت** أحمد أخبر
 بدوام كلامه سبحانه ولم يخبر بدوام تكلمه بالقرآن بل قال والقرآن كلام الله غير مخلوق قال
 القاضي قال أحمد في الجزء الذي رد فيه على الجهمية والزنادقة وكذلك الله يتكلم كيف شاء من
 غير أن نقول من جوف ولا فم ولا شفيتين وقال بعد ذلك بل نقول ان الله لم يزل متكلمًا اذا شاء
 ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق **وقل** أبو اسماعيل الانصاري الملقب بشيخ الاسلام في
 مناقب الامام أحمد لما ذكر كلامه في مسألة القرآن وترتيب حدوث البدع قال وجاءت طائفة
 فقالت لا يتكلم بعد ماتكم فيكون كلامه حادثًا قال وهذه اغلوطة أخرى في الدين غير واحدة
 فأنبه لها أبو بكر بن خزيمة وكانت نيسابور دار الآثار تمد اليها وتشد اليها الركائب ويطلب منها
 العلم فابن خزيمة في بيت ومحمد بن اسحاق يعني السراج في بيت وأبو حامد بن الشرقي في بيت
 قال فطار لتلك الفتنة الامام أبو بكر فلم يزل يصيح بتشويهها ويصنف في ردها كأنه منذر جيش

حتى دون في الدفاتر وتمكن في السرائر وتفسر في الكتابيب ونقش في المحاريب ان الله متكلم
 ان شاء تكلم وان شاء سكت قال جزي ذلك الامام وأوائلك النفر على نصر دينه وتوقير نبيه
 خيرا **قلت** لفظ السكون يراد به السكوت عن شيء خاص وهذا مما جاءت به الآثار كقول
 النبي صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت
 عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها والحديث المعروف عن سلمان مرفوعا وموقوفًا
 الحلال ما أحله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه والعلماء
 يقولون مفهوم الموافقة أن يكون الحكم في السكوت عنه أولى منه في المنطوق به ومفهوم المخالفة
 أن يكون الحكم في السكوت مخالفًا للحكم في المنطوق به وأما السكوت المنطوق به فهذا هو
 الذي ذكروا فيه القولين والقاضي أبو يعلى وموافقه على أصل ابن كلاب يتأولون كلام أحمد
 والآثار في ذلك بأنه سكوت عن السماع لا عن التكليم وكذلك تأول ابن عقيل كلام أبي اسماعيل
 الانصاري وليس مرادهم ذلك كما هو بين لمن تدبر كلامهم مع ان السماع على أصل النفاة انما
 هو خلق ادراك في السامع ليس سببا يقوم بالتكلم فكيف يوصف بالسكوت لكونه لم يخلق
 ادراكا لغيره فاصل ابن كلاب الذي وافقه عليه القاضي وابن عقيل وابن الزاغوني وغيرهم أنه
 منزّه عن السكوت مطلقا فلا يجوز عندهم أن يسكت عن شيء من الاشياء اذ كلامه صفة قديمة
 لازمة لذاته لا تتعلق عندهم بمشيتته كالحياة حتى يقال ان شاء تكلم بكذا وان شاء سكت عنه
 ولا يجوز عندهم أن يقال ان الله سكت عن شيء كما جاءت به الآثار بل يتأولونه على عدم خلق
 الادراك منزّه عن الخرس باتفاق الامة هذا مما احتجوا به على قدم الكلام وقالوا لو لم يكن
 متكلمًا لزم اتصافه بضده كالسكوت والخرس وذلك ممتنع عندهم سواء قيل هو سكوت
 مطلق أو سكوت عن شيء معين * وقال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه
 الذي سماه **الفصول في الاصول** عن الائمة **الفحول** * وذكر اثني عشر إماما الشافعي ومالك وسفيان
 الثوري وأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وابن المبارك واسحاق بن راهويه والبخاري وأبو
 زرعة وأبو حاتم قال فيه سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبا بكر عبيد
 الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أبا حامد الاسفرائيني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وقفهاء
 الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل مسموعا

من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي صلى الله
 عليه وسلم وهو الذي نزلوه نحن بالسفينة فابين الدفين وما في صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا
 ومنقوشا كل حرف منه كالبناء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه
 لعائن الله والملائكة والناس أجمعين قال أبو الحسن وكان الشيخ أبو حامد شديد الانكار على
 الباقلاني وأصحاب الكلام قال ولم نزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينتسبوا الى
 الاشعري ويترؤن ممانبي مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبابهم من الحوم حواله على ما سمعت
 عدة من المشايخ والأئمة منهم الحافظ المؤتمن بن أحمد الساجي يقولون سمعنا جماعة من المشايخ
 الثقة قالوا كان الشيخ أبو حامد أحمد بن طاهر الاسفرائيني امام الأئمة الذي طبق الارض
 علما وأصحابا اذا سمي الى الجمعة من قطعية الكرخ اني الجامع المنصور يدخل الرباط المعروف
 بالروزي المحاذي للجامع ويتبيل على من حضر ويقول اشهدوا على بان القرآن كلام الله غير
 مخلوق كما قال أحمد بن حنبل لا كما يقول الباقلاني ويتكرر ذلك منه فقليل له في ذلك فقال حتي
 تنتشر في الناس وفي أهل البلاد ويشيع الخبر في أهل البلاد اني بريء مما هم عليه يعني الاشعرية وبرئ
 من مذهب أبي بكر الباقلاني فن جماعة من المتفهمة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية ويترؤن
 عليه فيعتنون بمذهبه فاذا رجعوا الى بلادهم اظهروا بدعتهم لا محالة فيظن ظان انهم مني تعلموه
 وأنا قلته وأنا بريء من مذهب الباقلاني وعقيدته قال وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سمع من
 العجلي سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد اظن أبا اسحاق الشيرازي أحدهم قلوا كان
 أبو بكر الباقلاني يخرج الى الحمام مبرقا خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفرائيني * والكلام على
 ما وقع من انكار أبي حامد وغيره من أئمة الاسلام على القاضي أبي بكر مع جلالة قدره وكثرة
 رده على أهل الاتحاد والبدع بسبب هذا الاصل الذي بني عليه مذهبه طويل وبسطه موضع
 آخر * وانما المقصود هنا التنبيه على بعض من أثبت هذا الاصل ولم يوافق النفقة والحارث المحاسبي
 قد ذكر القولين عن أهل السنة الملتبئين الصفات والقدر فقل في كتاب فهم القرآن لما تكلم على
 مالا يدخل فيه النسخ وما يدخل فيه النسخ وما يظن انه متعارض من الآيات وذكر عن
 أهل السنة في الارادة والسمع والبصر قولين في مثل قوله تعالى ﴿لندخن المسجد الحرام ان شاء الله﴾
 وقوله تعالى ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ وقوله تعالى ﴿انما أمره اذا أراد شيئا أن

يقول له كن فيكون ﴿ وكذلك قوله ﴿ انا معكم مستمعون ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ﴾ ورسوله والمؤمنون ونحو ذلك فقال ذهب قوم من أهل السنة الى أن الله استماعا حادثا في ذاته وذکر ان هؤلاء وبعض أهل البدع تأولوا ذلك في الارادة على الحوادث قال فأما من ادعى السنة فأراد اثبات القدر فقال ارادة الله تحدث من تقدير سابق للارادة * وأما بعض أهل البدع فزعموا ان الارادة انما هي خلق حادث وليست مخلوقة ولكن بها كون الله المخلوقين قال وزعموا ان الخلق غير المخلوق وان الخلق هو الارادة وانها ليست بصفة لله من نفسه قال وكذلك قال بعضهم ان رؤيته تحدث * قال محمد بن الهيصم في كتاب حمل الكلام لما ذكر حمل الكلام وانه مبني على خمسة فصول ﴿ أحدها ﴾ ان القرآن كلام الله وقد حكي عن جهم بن صفوان ان القرآن ليس كلام الله على الحقيقة وانما هو كلام خلقه الله فنسب اليه كما قيل سماء الله وأرض الله وكما قيل بيت الله وشهر الله * وأما المعتزلة فانهم أطلقوا القول بانه كلام الله على الحقيقة ثم وافقوا جهما في المعنى حيث قالوا كلام خلقه باثنا عنه * وقال عامة المسلمين ان القرآن كلام الله على الحقيقة وانه تكلم به (والفصل الثاني) ان القرآن غير قديم فان السكالية وأصحاب الاشعري زعموا ان الله لم يزل متكلما بالقرآن وقال أهل الجماعة انما تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل وكذلك سائر الكتب (والفصل الثالث) ان القرآن غير مخلوق فن الجهمية والنجارية والمعتزلة زعموا انه مخلوق وقال أهل الجماعة انه ليس بمخلوق (والفصل الرابع) انه غير بائن منه فان الجهمية وأتباعهم من المعتزلة قالوا ان القرآن بائن من الله وكذلك سائر كلامه وزعموا ان الله خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى وخلق كلاما في الهواء فسمعه جبريل ولا يصح عندهم انه وجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة * وقال أهل الجماعة بل القرآن غير بائن من الله وانما هو موجود منه وقائم به *

وذکر محمد بن الهيصم في مسألة الارادة والخلق والمخلوق وغير ذلك ما يوافق التي ليست أعيانها قديمة ولا مخلوقة وهو يحكي ذلك عن أهل الجماعة * وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افتري على الله في التوحيد قال وادعى المعارض ان قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الي السماء الدنيا حين يمضي من الليل الثالث فيقول (هل من مستغفر هل من تائب هل من داع) قال فادعى ان

لا ينزل بنفسه انما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش وكل مكان من غير زوال لانه الحي القيوم
والقيوم بزعمه من لا يزول قال فيقال لهذا المعارض وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان ومن
ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان لان أمر الله ورحمته تنزل في كل ساعة ووقت وأوان فبال
النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره أو الاسحار
أفأمره ورحمته تدعوان العباد الى الاستغفار أو يقدر الامر والرحمة ان يتكلما دونه فيقول (هل
من داع فأجيب له هل من مستغفر فأغفر له هل من سائل فأعطيه) فان قررت مذهبك لزمك
أن تدعى ان الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله وهذا
محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء * قد علمت ذلك ولكن تكابرون وما بال أمره ورحمته
ينزلان من عنده الليل ثم يمكثان الى طلوع الفجر ثم يرفعان لان رفاة يرويه ويقول في حديثه
حتى ينفجر الفجر وقد علمت ان شاء الله ان هذا التأويل أبطل باطل ولا يقبله الا كل جاهل
وأما دعواك أن تفسير القيوم الذي لا يزول عن مكانه ولا يتحرك فلا يقبل منك هذا التفسير
الا بامر صحيح مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه أو التابعين لان الحي
القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويتبعض ويبسط ويقوم ويجلس
اذا شاء لان ذلك أمانة ما بين الحي والميت لان كل متحرك لا محالة حي وكل ميت غير متحرك
لا محالة ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة
اذ فسر نزوله مشروطا منصوصا ووقت له وقتا موضوعا لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبسا
ولا عوبصا قال ثم أجمل المعارض جميع ما أنكره الجهمية من صفات الله تعالى وذواته المسماة
في كتابه وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم فعد منها بضعة وعشرين صفة نقشا وأخذ يتكلم
عليها ويفسرها بما حكى المريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا خلاف ما عني الله ورسوله وخلاف
ما تأولها الفقهاء والصالحون لا يعتمد في أكثرها الا على المريسي فبدأ منها بالوجه * ثم بالسمع
والبصر والغضب والرضا والحب والبغض والفرح والكره والضحك والمعجب والسخط
والارادة والمشيمة والاصابع والكف والقدمين وقوله (كل شيء هالك الا وجهه فاينما تولوا
فثم وجه الله) (وهو السميع البصير) (وخلقت يدي) (وقالت اليهود يد الله منلوثة ويد الله فوق
أيديهم) (والسموات مطويات بيمينه) وقوله (فانك باعيننا) (وهل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل

من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفا صفا) (الذين يحملون العرش ومن حوله) وقوله (ويحذركم
 الله نفسه) (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة) (وكتب ربكم على نفسه الرحمة وتعلم ما في
 نفسى ولا أعلم ما في نفسك) (والله يحب التوابين ويحب المتطهرين) * قال عمدة المعارض الى هذه
 الصفات فنسقها ونظم بعضها الى بعض كما نظمها شيأ بعد شيأ ثم قررها أبو ابا في كتابه وتلطف
 بردها بالتأويل كتلطف الجهمية معتمدا فيها على الرابع الجهمي بشر بن غياث المريسي عند
 الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بالله ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل
 فزعم أن هؤلاء المؤمنين بها يكيفون وينسبون بذوات أنفسهم وان العلماء بزعمه قالوا ليس
 في شيء منها اجتهاد رأى ليدرك كيفية ذلك أو يشبه فيها شيء مما هو في الخلق قال وهذا
 خطأ كما أن الله ليس كمثل شيء فكذلك ليس ككيفية شيء * قال أبو سعيد عثمان بن سعيد
 فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع ان قوله كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو في
 الخلق خطأ فانا لا نقول له كما قال هي عندنا له ونحن لا نكيفها ولا نشبهها بما هو في الخلق
 موجود أشد إلغا منكم غير اننا كما لا نشبهها ولا نكيفها لا نكفر بها ولا نكذبها ولا نبطلها
 بتأويل الضلال كما أبطلها امامك المريسي * قال وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأى في تكييف
 صفات الله فانا لا نجيز اجتهاد الرأى في كثير من الفرائض والاحكام التي تراها باعيننا ونسمعها
 باذاننا فكيف في صفات الله التي لم ترها بالعيون وقصرت عنها الظنون غير أننا لا نقول فيها كما
 قال المريسي ان هذه الصفات كلها شيء واحد وليس السمع منه غير البصر ولا الوجه منه غير
 اليد ولا الذات غير النفس وان الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعا من بصر ولا بصرا
 من سمع ولا وجها من يدين ولا يدين من وجهه وهو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه وأعلى
 وأسفل ويد ونفس وعلم ومشية وارادة مثل خلق السموات والارض والجبال والتلال والهواء
 التي لا يعرف لشيء منها شيء من هذه الصفات والذوات ولا يوقف بها منها على شيء فالله
 تعالى عندنا أن يكون كذلك فقد ميز الله تعالى في كتابه السمع من البصر وذكر الآيات
 الواردة في ذلك فقال تعالى (اننى معكم أسمع وأرى وإنا معكم مستمعون) وقال (ولا يكلمهم
 الله ولا ينظر اليهم) ففرق بين الكلام والنظر دون السمع فقال عند السمع والصوت (قد سمع
 الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) (ولقد

سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ولم يقل رأي الله قول التي تجادل في زوجها
وقال تعالى في موضع الرؤية (الذي يراك حين تقوم وتقبل في الساجدين) وقال تعالى (وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ولم يقل يسمع الله تقبلت ويسمع الله عملكم فلم
يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السمع فيما يرى كما انها عنده خلاف ما عندكم وذكر كلاما طويلا
في الرد على النفاة ﴿قلت﴾ وكلام أهل الحديث والسنة في هذا الاصل كثير جدا

وأما الآيات والاحاديث الدالة على هذا الاصل فكثيرة جدا يتعذر أو يتعسر حصرها لكن
نذكر بعضها وقد جمع الامام أحمد كثير من الآيات الدالة على هذا الاصل وغيره مما يقوله
النفاة وذكرها عنه الخلال في كتاب السنة وذلك كقوله تعالى (فلما أتاه نودي يا موسى
اني أنا ربك فاخضع لعليك نك بالواد المقدس طوي وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى)
وقوله تعالى (واذ نادى ربك موسى ان ات القوم الظالمين) وقوله تعالى (فلما جاءها
نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) وقوله تعالى (فلما أتاه
نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني أنا الله رب
العالمين) وقوله تعالى (وهل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوي) فوقت النداء
بقوله فلما يقوله اذ فلم انه كان في وقت مخصوص لم يناداه قبل ذلك وقوله تعالى (ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتكم المرسلين) وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)
فاخبر سبحانه انه قال لهم ذلك بعد ان خلق آدم وصوره لا قبل ذلك وقال تعالى (ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وقال تعالى (وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق) وقال تعالى (بديع السموات والارض واذا
قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) وقال تعالى (انما امره اذا اراد شيأ أن يقول له كن فيكون)
واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وان الفعل المضارع للاستقبال وقال تعالى (واذا قال ربك للملائكة)
وقال تعالى (واذا سألك عبادي عني فني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان) وقال تعالى (وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقال تعالى (ثم استوى الي السماء وهي دخان) وقال
تعالى (الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) وقال تعالى (هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في
ظلل من الغمام) وقال تعالى (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بمض آيات ربك)

وقال تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وقال تعالى ﴿ثم جعلناكم فئات في الارض من بعدهم لننظر
 كيف تعملون﴾ وقال تعالى ﴿واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها
 القول فدمرناها تدميرا﴾ وقال تعالى ﴿واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه
 من وال﴾ وقال تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله﴾ وقال موسى ﴿ستجدني ان شاء
 صابرا﴾ وقال اسما عيل ﴿وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين﴾ وقال صاحب مدين لموسي
 (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) وأدوات الشرط تخص الفعل للاستقبال ومن هذا
 الباب قوله صلى الله عليه وسلم من حلف فقال ان شاء الله فان شاء فعل وان شاء ترك مرواه
 أهل السنن واتفق الفقهاء على ذلك وكذلك ما في الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم
 عن سليمان انه قال لا طوفن الليلة على تسمين امرأة تأتي كل امرأة بفارس يقاتل في سبيل الله
 فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تلد منهم الا امرأة جاءت بشق ولد قال النبي صلى
 الله عليه وسلم ولو قال ان شاء الله لقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعين وقال تعالى ﴿كل يوم هو
 في شأن﴾ وقال تعالى ﴿فذهبوا بآياتنا انا معكم مستمعون﴾ وقال تعالى لموسي وهرون ﴿انني
 معكما أسمع وأرى﴾ وقال تعالى (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلا ورسلنا اليهم يكتوبون)
 وقال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) وقال تعالى (قد سمع الله
 قول التي تجادلك في زوجها) وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث) وقال تعالى (فبأي حديث
 بعده يؤمنون) وقال تعالى (ومن أصدق من الله حديثا) وقال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال
 تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم) وقال تعالى (قل ان كنتم
 تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (ان تكفروا فان الله غني عنكم
 ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) فاخبر ان طاعته سبب لمحبه ورضاه ومعصيته
 سبب لسخطه وأسفه وقال تعالى (اذ كروني أذكركم وجواب الشرط مع الشرط كالسبب مع
 مسببه ومثله في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من ذكرني في نفسه ذكرته
 في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
 من تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) وقال تعالى (ومن يقتل مؤمنا
 متعمدا جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وأما أفعاله المتعمدة

الى المفعول به الحادثة وذكرها في القرآن العزيز فكثيرة جدا كقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى فسنيسره للعسرى) وقوله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا فسوف يحاسب حسابا عسيرا) وقوله تعالى (من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يتقضى ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا) وقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخريين) وقوله تبارك وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج نخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله الا هو فاني تصرفون) وقوله تعالى ﴿أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ وقوله تعالى ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولا لها كذبوه﴾ وقال تعالى ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وقال تعالى ﴿ثم جعلناكم على شريعة من الأمر فاتبعوها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ وقوله تعالى ﴿ثم أوردنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا ومثل هذا كثير في القرآن والاحتجاج به ظاهر على قول الجمهور الذين يحملون الخلق غير المخلوق وهو الصواب فان الذين يقولون الخلق هو المخلوق قولهم فاسد وقد بين فسادهم في غير هذا الموضع وشبهتهم انه لو كان غيره لكان ان كان قديما لزم قدم المخلوق وان كان محدثا احتاج الى خلق آخر فيلزم التسلسل وان كان قائما به فيكون محلا للحوادث وقد أجابهم الناس عن هذا كل قوم بجواب يبين فساد قولهم وطائفة منعت قدم المخلوق كالأرادة فانهم سلموا انها قديمة مع حدوث المراد وطائفة منعت قيامه به وقالت لا يقوم به الخلق فلا يكون محلا للحوادث فاذا قالوا ان الخلق هو المخلوق ولا يقوم به فلان يجوز ان يكون غير المخلوق ولا يقوم به أولى وطائفة قالت لا نسلم انه اذا افتقر المخلوق المنفصل الى خلق أن يفتقر ما يقوم به من الخلق الى خلق آخر بل يكفي فيه القدرة والمشيئة فانهم اذا جوزتم وجود الحادث الذي يباينه بمجرد القدرة والمشيئة فوجود ما لا يباينه بهما أولى بالجواز وهو لا وغيرهم

يؤمنونهم في قيام الحوادث به وطائفة منعت امتناع التسلسل في الآثار والافعال وقالت انما تمتنع في الفاعلين لافي الفعل كما قد بسط في موضع آخر

وأما الاحاديث الدالة على هذا الاصل التي في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها عن النبي صلى الله عليه وسلم فاكثرت من ان يحصيها واحد كقوله في الحديث المتفق على صحته عن زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الحديدية على أثر سماء كانت من الليل فقال أنذرون ماذا قال ربكم الليلة قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فمن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب* وفي الصحيحين في حديث الشفاعة يقول كل من أوى العزم من الرسل مع آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله* وقوله في الحديث الصحيح اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفوان وقوله في الحديث الصحيح ان الله يحدث من امره ما يشاء ومما أحدث ان لا يتكلموا في الصلاة* وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث التجلي المتفق على صحته من غير وجه ويقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يمرون وقوله في الحديث المتفق عليه لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ اذا بدأته عليها طعامه وشرابه فله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته* وقوله في الحديث الصحيح يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة* وقوله في حديث الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة وهو حديث أبي هريرة الذي يقول الله فيه أولست قد أعطيت اليهود والمواثيق ان لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلى اشقي خفلك فيضحك الله منه ثم ياذن له في دخول الجنة وفي حديث بن مسعود وهو حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الله يا ابن آدم ارضى ان اعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول أي رب استهزئ بي وانت رب العالمين وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاتسألوني مما ضحكتم فقالوا لم ضحكتم فقال من ضحك رب العالمين حين قال استهزئ بي وانت رب العالمين فيقول اني لا استهزئ بك والكي على ما اشاء قادر وفي حديث أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينظر اليكم اذلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرحكم قريب فقال

له أبو رزين أو يضحك الرب قال نعم قال لن نمدم من رب يضحك خيرا وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي فإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أنني على عبدي فإذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدني عبدي فإذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) قال الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق عليه (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر) وقوله في الحديث الصحيح حديث الانصاري الذي أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله فلما أصبح الرجل وغدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد ضحك الله الليلة أو قال عجب من فعالكما أو قال من أفعالكما الليلة وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتموا الدنيا واتقوا النساء) وفي الصحيح عنه أنه قال (إن الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وإنما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) وفي الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا في أصحابه إذ جاءه ثلاثة نفر فاما رجل فرأى في الحلقة فرجة فجلس فيها وأما رجل فجلس خلفهم وأما رجل فانطلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم عن هؤلاء نفر أما الرجل الذي جلس في الحلقة فرجل آوى الى الله فأواه الله وأما الرجل الذي جلس في خلف الحلقة فاستحي فاستحي الله منه وأما الرجل الذي انطلق فاعرض فاعرض الله عنه وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (يقول الله تعالى من عاد الى وايا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبصره وبني يبطش وبني يمشي ولئن سألتني لاعطينه ولئن استعاذني لاعينده وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) وفي

الصحيحين عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يفضهم الا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) وفي الصحيح عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) فقالت عائشة انا لا نكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن اذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه فكره لقاء الله وكره لقاءه) وفي الصحيحين عن أنس قال (أنزل علينا ثم كان من المنسوخ أبلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا) وفي حديث عمر بن مالك الرواسي قال (آيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارض عني قال فاعرض عني ثلاثا فقلت يا رسول الله ان الرب ليرضى فارضى عني فرضى عني) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فملوا برسول الله) وهو حينئذ يشير الى رابعيته وقال اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله) وفي صحيح مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده (اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي) وفي رواية سبقت وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يرجعون الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي قالوا أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ما جلس قوم يدك ارون الله الاحفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرم الله فيمن عنده) وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله الارض ويطوي السموات يمينه ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض) وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدمه وينظر أشأم منه فلا يرى الا شأ ما قدمه وينظر

أمامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة فليفعل فإن لم يجد فبكامة طيبة) وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكرا فإذا وجدوا قوما يذكرون الله ينادوا هلموا الى حاجتكم قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله مارأوك قال فيقول وكيف لرأوني قال يقولون لورأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذا وأكثر لك تسبيحا قال يقول فما يسألوني قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يارب مارأوها قال يقول لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فما يتعذرون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله مارأوها قال يقول فكيف لرأوها قال يقولون لورأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أنني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليدنوا أحدكم من ربه حتى ليقتفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم يارب فيقرره ثم يقول قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وهو قوله تعالى (هاؤم افروا كتابيه) وأما الكافر والمنافق فينادون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين فاخبر صلى الله عليه وسلم انه سبحانه يقول قولاً ثم يقول العبد ثم يقول الرب تعالى قولاً آخر وهذا الاصل العظيم دلت عليه الكتب المنزلة من الله القرآن والتوراة والانجيل وكان عليه سلف الامة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء وكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما قوله والدليل على كونه متكلماً انه أمر ونه لانه بمثل الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ولا معنى لكونه متكلماً الا ذلك ﴾ فنقول السلف والأئمة وغيرهم لهم في اثبات كونه متكلماً طريقان فانهم يثبتون ذلك بالسمع تارة وبالعقل أخرى كما يوجد مثل ذلك في كلام الامام أحمد وغيره من الأئمة وفي كلام متكلمي الصفاتية كعبد العزيز المكي^(١) وأبي محمد بن كلاب وأبي عبد الله بن كرام

وأبى الحسن الأشعري ونحوهم * والطرق التي أظهروها من العقليات قد دل القرآن عليها *
وأرشد إليها كما دل القرآن على الطرق العقلية التي يثبت بها سائر قواعد العقائد المسماة بأصول الدين
(لكن الدليل) قد تنوع عباراته وتراكيبه فانه تارة يركب على وجه الشمول المنقسم الى قياس
تداخل وقياس تلازم وقياس تعاند الذي يسمي بالحمل والشرطي المتصل والشرطي المنفصل *
وتارة يركب على وجه قياس التمثيل المفيد لليقين بان يحمل المشترك بين الأصل والفرع الذي يسمي
في قياس التمثيل المناط والوصف والعلة والمشارك والجامع ونحو ذلك من العبارات هو الحد الاوسط
في قياس الشمول فاذا قال ناظم القياس الاول نبيذ الجبوب المسكر حرام قياسا على خمر الغناب
لانه خمر فكان حراما قياسا عليه فهذا كما يقال في نظم قياس الشمول هذا النبيذ خمر وكل خمر حرام
أوفيه الشدة المطربة وما فيه الشدة المطربة فهو حرام وما يثبت به هذه المقدمة الكبرى يثبت به كون
المشارك علة الحكم وبهذا تبين ان قياس التمثيل قد يكون أتم في البيان من قياس الشمول فاما ما يقوله
طائفة من النظار من أن قياس الشمول هو الذي يفيد اليقين دون التمثيل فهذا لا يصح الاجاب
المراد بان يوجد ذلك في مادة يقينية وهذا في مادة ظنية وحينئذ فقد يقال بل ذلك يفيد اليقين دون
هذا وسبب غلظهم انهم تعودوا كثيرا استعمال التمثيل في الظنيات واستعمال الشمول في اليقينية
عندهم فظنوا هذا من صورة القياس وليس الامر كذلك بل هو من المادة * وقد بسط الكلام
على هذا في مواضع غير هذا الموضع كالرد على الغالطين في المنطق وغير ذلك * ثم القياس تارة يعتبر
فيه القدر المشترك من غير اعتبار الاولوية وتارة يعتبر فيه الاولوية فيؤلف على وجه قياس الاولى وهو
ان كان قد يحمل نوعا من قياس الشمول والتمثيل فله خاصة يمتاز بها عن سائر الانواع . وهو ان يكون
الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه . وهذا النمط هو الذي كان
السلف والأئمة كالامام أحمد وغيره من السلف يسلكونه من القياس العقلي في أمر الربوبية وهو
الذي جاء به القرآن وذلك ان الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس الشمول الذي تستوي
أفراده ولا تحت قياس التمثيل الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع فان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في
نفسه المذكورة باسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولكن يسلك في شأنه قياس الاولى كما قال (والله المثل
الاعلى) فانه من المعلوم ان كل كمال ونعت ممدوح لنفسه لا تنقص فيه يكون لبعض الموجودات المخلوقة
الحديثة . فالرب الخالق الصمد القيوم القديم الواجب الوجود بنفسه هو أولى به وكل نقص وعيب يجب

أن ينزه عنه بعض المخلوقات المحدثه الممكنة فالرب الخالق القدوس السلام القديم الواجب وجوده
بنفسه هو أولى بأن ينزه عنه

وأما اذا سلك مسلك المشبهين لله بنخفه المشركين به الذين يحملون له عدلا وندا ومثلا فيسوون
بينه وبين غيره في الامور كما يفعله أهل الضلال من أهل الفلسفة والكلام من المعتزلة وغيرهم
فان ذلك يكون قولاً باطلاً من وجوه (منها) ان تلك القضية الكلية التي تنمى وغيره قد لا يمكنها
اثباتها عامة الا بمجرد قياس التمثيل وقياس التمثيل ان أفاد اليقين في غير هذا الموضع ففي هذا
الموضع قد لا يفيد الظن للعلم بانتفاء الفارق

(ومنها) أنهم اذا حكموا على القدر المشترك الذي هو الحد الاوسط بحكم يتناوله والمخلوقات
كانوا بين أمرين اما أن يحملوه كالمخلوقات أو يحملوا المخلوقات مثله فينتقض عليهم طرد الدليل
فيبطل . مثال ذلك اذا قال الفيلسوف ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد . وهو واحد فلا
يصدر عنه الا واحد . فانه يحتاج أن يعلم أولا قوله الواحد لا يصدر عنه الا واحد فانه هذه
قضية كلية وكل قياس شمولي فلا بد فيه من قضية كلية . وعلمه بان كل واحد لا يصدر عنه
الا واحد اما ان يكون باستقراء الآحاد وإما بقياس بعضها الى بعض وهذا استقراء ناقص
وهذا تمثيل وهما عنده لا يفيدان اليقين . فان قال أعلم بالبدئية ان الواحد لا يصدر عنه الا
واحد كان هذا مكابرة لعقله فان العلوم الكلية المطابقة للامور الخارجية ليست مفروضة في الفطرة
ابتداء بدون العلم بامور معينة منها لكن كثرة العلم بالامور المعينة الجزئية بمجرد العقل الكليات
فتبقى القضية العامة ثابتة في العقل لا تحتاج الى شواهد وأمثلة جزئية لان يكون علم تلك القضية
العقلية من تركيب قضايا آخر . وقوله الواحد لا يصدر عنه الا واحد ليس من هذا ولا من
هذا . ثم اذا تصور مفردات هذه القضية علم يقينا انه ليس عنده منها علم بل علم ان الواقع خلافها
فان قوله الواحد ان عني به الواحد الذي لا يعلم منه أمران ليس أحدهما الاخر فليس في الوجود
واحد بهذا الاعتبار فانه يعلم ان واجب الوجود موجود وانه واجب الوجود وانه عاقل ومعقول
وعقل وان له عناية وأمثال هذه المعاني التي ليس أحدها هو الآخر فان الوجوب ليس
هو الوجود ولا الوجوب هو الوجود هو العاقل ولا العاقل هو المعقول ولا العقل والمعقول هو
ذو العناية وان قال هذه كلها سلوب واضافت محضة كان مكابرا لعقله فان كون الشيء يعقل ليس

هو كونه بعقل ولا كونه عالما مجرد نسبة محضة الى المعلوم كالامور الاضافية التي لا يتغير بها حال
المضاف كالتيامن والتياسر فانه من المعلوم ان كون الشيء متيامنا أو متياسرا عنك لا يختلف به
حالك في الموضعين وأما كون الشيء عالما فيخالف كونه غير عالم كما ان كونه محبا يخالف كونه
غير محب وكونه قادرا يخالف كونه غير قادر ومن جعل الشيء حال كونه عالما وحل كونه غير
عالم سواء فهو مصاب في عقله وهذا من أعظم السفسطة وكذلك من جعل كونه ذا عناية هو
مجرد كونه عاقلا فان هذا من أعظم السفسطة والعقل الصريح يعلم ان كون الشيء عالما ليس هو
مجرد كونه مريدا ولا مجرد كونه مريدا هو مجرد كونه عالما وتوقيل ان أحدهما يستلزم الآخر
فالتلازم لا يوجب كون الملزوم هو اللازم واذا قيل في أي موجود فرض ان علمه هو إرادته
وارادته هي حياته وأن ذلك هو وجوده كان فساد هذا من أيين الأمور في العقل كما اذا قيل ان
هذه التفاحة طعمها هو مجرد لونها ولونها هو مجرد ريحها وريحها مجرد شكها وشكها هو عين
ذاتها فهذا الكلام من تصوره من الناس وفهمه حتى الصبيان المميزين علم ان قائله من أضل الناس
وأجهلهم فهذا الواحد الذي يصفونه يمتنع في الوجود الواجب فهو في غيره أشد امتناعا ولهذا
يؤثر بهم الأمر الى أن يجعلوه وجودا مطلقا بشرط الاطلاق كما يجعله المنزلة ذاتا مجردة من
الصفات وكلاهما مما يعلم بصريح العقل انتفاء ثبوته في الخارج بل المطلق لا بشرط بمتنع ثبوته
في الخارج وهم يعملون موضوع العلم الالهي هذا الموجود المنقسم الى واجب وممكن وجوهر
وعرض وعلة ومعلول ويعملون هذا هو الفلاسفة لأولى والحكمة العظمى وهي يعلمون ان
الكليات المقسومة سواء سميت جنسا أو لم تسم جنسا لا توجد في الخارج كلية فليس في الخارج
الحيوان المنقسم الى ناطق وأعجم ولا الوجود المنقسم الى جوهر وعرض بل كل حيوان يوجد
في الخارج فهو من هذا القسم وكل موجود يوجد في الخارج فهو إما قائم بغيره وهو المقسوم
الصادق على أقسامه فهو مطلق لا بشرط الاطلاق فانه لو شرط فيه الاطلاق لم يصدق على
المعينات فان المعين ليس مطلقا بشرط الاطلاق فاذا كان المطلق لا بشرط الاطلاق لا يوجد
في الخارج فلا يوجد فيه حيوان مطلق بشرط الاطلاق ولا انسان مطلق بشرط الاطلاق وهذا
بين جميع العقلاء ثم قالوا في الموجود الواجب الوجود انه وجود مطلق بشرط الاطلاق وقد
علم بصريح العقل ان الوجود المطلق بشرط الاطلاق لا يكون في الخارج وانما هو أمر يقدر

في العقل فعاد الوجود الواجب الذي أبدع العالم كله وهو ربه وما لك الى أمر يقدر في العقل
لا حقيقة له في الخارج عن الذهن ولا ثبوت له في نفس الأمر وهذا عين التعطيل للوجود
الواجب الذي شهد به الموجود من حيث هو وجود فان الوجود من حيث هو وجود يشهد
بوجود واجب الوجود كما قال ابن سينا وغيره وأصابوا في ذلك فانه لا ريب ان ثم وجودا وانه
اما واجب واما ممكن والممكن لا بد له من واجب فثبت انه لا بد في الوجود من موجود واجب
فهذا البيان الذي ذكره في اثبات واجب الوجود حق واضح مبين لكنهم زعموا مع ذلك انه
وجود مطلق بشرط الاطلاق لا يتعين ولا يتخصص بحقيقة يمتاز بها عن سائر الموجودات
بل حقيقته وجود محض مطلق بشرط نفي جميع القيود والمعينات والمخصصات وهم يعلمون
في المنطق وكل عاقل تصور هذا الكلام ان هذا لا حقيقة له ولا وجود له الا في الذهن لا في
الخارج فصار الموجود الواجب الذي يشهد به الوجود في الخارج لا يوجد الا في الذهن
وهذا من آيين التناقض والاضطراب والجمع بين النقيضين حيث جعلوه بموجب البرهان
الحق موجودا في الخارج وبموجب سلب الصفات وهو التوحيد الذي تخيلوه معدوما في
الخارج فصار قولهم مستلزما لوجوده وعدمه وكذلك قول من سلك سبيلهم من القرامطة
الباطنية كاصحاب رسائل اخوان الصفا ومثالهم من الاتحادية اهل وحدة الوجود كابن سبين
وابن عربي ونحوهما بل وسبيل نفاة الصفات من اهل الكلام كالمعتزلة وغيرهم بل وسبيل سائر من
نفي شيئا من الصفات فان لازم كلامه تطيله ونفيه مع اقراره بثبوته فيكون جامعا بين النقيضين وهذا
مبسوط في غير هذا الموضع وانما المقصود هنا التنبيه على مثال اقتسام الفاسدة التي يحملونها براهين
فيما خالفوا فيه الحق ثم اذا تبين ان هذا الواحد ليس له حقيقة في الخارج قيل لمن قال الواحد
لا يصدر عنه الا واحد ما معنى الصدور أنت لا تعني به حدوثه عنه ولا فعله له بمشيئته وقدرته فعلا
يسبق به الفاعل مفعوله وانما تعني به لزومه له ووجوبه به ونحن لا نتصور في الموجودات شيئا
صدر عنه وحده شيئا منفصل عنه كان لازما له قبل هذا الوجه بل ما لزمه وحده كان صفة له
إما أن يكون اللازم للملزم وحده شيئا منفصلا عنه فهذا بيان غير معقول ومعروف فهذا
الصدور الذي ذكرته غير معروف فقولك في هذه القضية الكافية الواحد لا يصدر عنه الا واحد
يقتضي الحكم على كل ما يتصور انه واحد بانه لا يصدر عنه الا واحد فذا لم يتصور هذا الصدور

ولا يعلم صدق هذا السلب في صورة معينة من صور هذه القضية الكلية فنأين تعلم هذه القضية الكلية واذا استدلووا على ذلك بالنار التي لا يصدر عنها الا الاحراق وبسائر الاجسام البسيطة كالماء أو بالشمس التي يصدر عنها الشعاع لم يكن ثبوت من هذه المعينات داخل في قضيتهم الكلية فان الاحراق لا يصدر عن النار وحدها بل لا بد من محل قابل للاحراق ولهذا لا يصدر عنها الاحراق في السمنندل والياقوت ونحوهما من الاجسام التي لا تقبل الاحراق وكذلك المبردات ثم ان الاحراق له موانع تمنعه فهو موقوف على ثبوت شروط وانتفاء موانع غير النار فلم يصدر صادرا عن النار بالمعنى الذي أرادوه بالحجة وهو لزومه لذات النار بحيث لا ينفك عنها وانما يعقل هذا اللزوم في صفات اللزوم كاستدارة الشمس والضوء القائم بها ونحو ذلك فن هذا لازم لها لا يفارق ذاتها بخلاف الضوء القائم بما يقابلها من الاجسام وهو الشعاع المنعكس على الاجسام المسطحة كالارض والقائمة كاشخاص الجبال والحيوان والنبات والحيطان فان هذا ليس لازماً لذات الشمس بل هو موقوف على وجود هذه الحال التي يقوم بها هذا العرض وهو ايضا ممنوع عنها بالحجب كالسحاب والكسوف وغير ذلك وهذا الشعاع كالمظلل يكون بسبب الحجاب بينها وبين ما يظله الحجاب فيوجد تارة ويعدم أخرى ولهذا يوجد لليل تارة والنهار أخرى * فهذا بيان ان ما قدروه من الواحد ومن الصدور عنه أمر لا يعقل في الخارج أصلاً فضلاً عن أن يكون قضية كلية عامة وأما اذا قدروا واحداً يفرضونه في أنفسهم وصدوراً يفرضونه في أنفسهم فلا ريب أن هذا ملازمة حكم يكون في أنفسهم لكن لا يعلم أنه مطابق للخارج حتى يعلم أن هذا الواجب الوجود هو هذا الواحد وان ابداعه للعالم هو هذا الصدور ولو علموا ذلك لم يحتاجوا الى هذا القياس * فهذا القياس لا يفيد شيئاً اذ مطلوبه علم معين بقضية كلية وتلك القضية لا مرد لها أصلاً الا ما يدعونه في ذلك المعين فهم ان علموا ثبوت الحكم لذلك المعين بدون تلك القضية لم يحتاجوا اليها وان لم يعلموا ثبوت الحكم للمعين بدون تلك القضية لم يعلم صدق القضية عليه فلا يفيد بل اذا عورضوا بنقيض ما قالوه كان أبين في القياس فيقال لهم ليس في الوجود واحد يصدر عنه واحد بل كل صادر في الوجود فهو عن اثنين فضاء فلا حادث عن المخلوقات الا عن أصليين كأولاد بين أبوين والتسخين والتدبير والاحراق والاغراق وغير ذلك لا بد فيه من اثنين والشعاع المنبسط

لا بد فيه من اثنين فذا لم يكن في الوجود واحد لا يصدر عنه واحد كان قول القائل ليس كل واحد لا يصدر عنه لا واحد أصح في العقل والقياس من قولهم بل او قال الواحد الذي ذكره لا يصدر عنه شيء أصلا لكان قوله أصح في العقل والقياس من قولهم وكذلك اذا قيل الواحد الذي ذكره لا يصدر عنه شيء الا مع غيره لكان قوله أصح من قولهم وذلك يقتضي أن يكون للرب شريك وولد اذ مقصودهم بالصدور هو لزومه اياه وهذا هو التولد العقلي وحقيقة قولهم ان العقول والنفوس متولدة عنه وقولهم بالعلة والمعلول هو القول بالتولد والمتولد عنه فقلست طرد شيخ الاسلام كلامهم الى أن قال فإنه يحتاج أن يعلم أولا انهم (جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم * ذاكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل * لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع وبيننا ان قول هؤلاء أفسد من قول مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله وقالوا ان آلهتنا تشفع لنا فان أولئك كانوا يقولون ان الرب فعل مختار والملائكة مخلوقون له ولكن ضلوا في بعض ما وصفوه كما ضلت النصارى في بعض ما ذكره وأما هؤلاء فاعظم ضلالا من اليهود والنصارى ومشركي العرب فانهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقا لشيء ولا يفعل فعلا بمشيئته واختياره ولا يجعلون الملائكة عباده بل يجعلون العقل الاول هو رب كل مسوي الله والشفاعة عنده ليست سؤالا من الله تعالى من الشافع بل توجه الى الشافع حتى يفيض منه على المستشفع ما ليس لله ولا للشافع به علم عنده ولا يحصل بقدرته ولا بمشيئته والمقصود هنا التنبيه على أن طرق السلف والائمة الموافقة للطرق التي دل القرآن عليها وأرشد اليها هي أكل الطرق وأصحابها وأكثر الناس صوابا في العقليات أقربهم اليهم كما ان أكثرهم صوابا في السمعيات أقربهم اليهم اذ العقل الصريح لا يخالف السمع الصحيح بل يصدقه ويوافقه كما قال تعالى (وبرى الذين أتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) وقال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئتكم بالحق وأحسن تفسيراً) ولهذا كان المنكامة الصفتية كابن كلاب ولا شمري وابن كرام خيرا وأصح طريقا في العقليات والسمعيات من المعتزلة والمعتزلة خيرا وأصح طريقا في العقليات والسمعيات من المتسفة وان كان في قول كل

من هؤلاء ما يشكر عليه وما خالف فيه العقل والسمع ولكن من كان أكثر صوابا وأقوم
 قبلا كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلا وتفصيلا * قالت عائشة أمرنا رسول الله
 صلي الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وهذا من القسط الذي أمر الله به وأنزل به
 كتبه وبعث به رسله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وقال
 تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
) والمقصود هنا التنبيه على طرق الناس في إثبات كون الله متكلمًا تنبيهًا مختصرا بحسب ما يحتمله
 جواب هذا السؤال والطرق نوعان سمعية وعقلية وإن كانت العقلية هي أيضا شرعية سمعية
 باعتبار أن السمع دل عليها وأرشد إليها وإن الشرع أحبا ودعى إليها لكن صاحب هذا المختصر
 إنما سلك طريقا سمعية اتباعا لمتبوعه أبي عبد الله بن الخطيب وهذه الطرق مبنية على مقدمتين
 (أحدهما) أنه أمرناه ومن كان كذلك فهو متكلم والمقدمة الأولى مدلول عليها بأن الرسل
 بلغوا أمره ونهيه وكل من المقدمتين واضحة فإن الكلام نوعان انشاء وإخبار والانشاء أمر
 ونهي وإباحة فإذا ثبت له نوع من أنواع الكلام ثبت مطلق الكلام فثبت أنه متكلم * وأما
 الثانية فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل أنهم يخبرون عن الله بأنه أمر بكذا ونهي عن
 كذا فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى ووجد كون الله متكلمًا هو جحد لما بلغت عنه
 الرسل من الأمر والنهي * فإن قيل فما الفرق بين هذه الطرق وبين الطرق التي أثبت بها السمع
 والبصر وهو السمع * قيل هناك أثبت السمع والبصر بنفس الأخبار المنفصل مثل قوله (وهو
 السميع البصير) وهنا أثبت تكلمه بمجرد إرسال الرسل من غير تعيين نص حيث قال علمنا
 أن الله أرسل رساله بتبليغ أمره ونهيه ولم يتعرض لأخبار السمع بأنه متكلم * فإن قيل إذا أثبت
 المثبت تكلمه بالسمع وجب أن يكون السمع قد علمت صحته قبل العلم بكونه متكلمًا لكن
 الرسول إذا قال أن الله أرسلني إليكم بأمركم بتوحيده وينهاكم عن الاشرار به مثلاً فإن لم يعلموا
 قبل ذلك جواز كونه متكلمًا لم يعلموا إمكان إرساله فلا يثبت السمع * قيل الجواب من وجهين
 أحدهما أن ما علم بالسمع وقوعه يكفي فيه الامكان الذهني وهو كونه غير معلوم الامتناع بل كل
 مخبر أخبرنا بخبر ولم نعلم كذبه جوزه صدقه ومتى كان فيه الصدق ممكنًا لم يحز التكذيب بل
 أمكن أن يقام الدليل الدال على صدقه ووجوب تصديقه فيجب تصديقه وهذا الموضع

يفلظ فيه كثير من النظار فيظنون أنه يحتاج فيما يطالب الدليل على وقوعه أو فيما قام لدليل على وجوده العلم بإمكانه قبل ذلك وإنما يجب أن لا يعلم امتناعه فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمبادرات العقول وما لا تعرفه العقول أو ما تعجز عن معرفته فما عجز العقل إمكانه ولم يعلم هل يكون أم لا يكون تخبر الرسل بوقوعه أم عدم وقوعه وما لم يعلم بالعقل إمكانه ولا امتناعه تخبر الرسل أيضا بما بإمكانه وما بوقوعه المستلزم إمكانه وليكن لا تخبر الرسل بوجوده ولا إمكانه وما علم عدمه لا تخبر بوجوده فلا تأتي الرسل صلوات الله عليهم بما يعلم تقيضه وليكن قد تأتي بما لم يكن يعلم كما قال تعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ فذكر في ذلك ما لا تكفرون به وكذلك الوحي النازل على الأنبياء يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون لا يأتيهم بما يعلمون خلافه قل تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمحت طائفة منهم أن يضيؤك وما يضيئون لأنفسهم وما يضررونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

﴿ الوجه الثاني ﴾ ان يقال امكالات التكلم معلوم بذني نظر العقل فانه اذا عرف انه حي عليم تقدير علم انه يمكن ان يكون متكلماً فان الكلام من الصفات المشروطة بالحياة والصفات المشروطة بالحياة انما تمتنع عليه سبحانه ما يمتنع منها كالنوم والاكل والشرب لتضمنها نقصا يزره عنه وايس في الكلام نقص بل سنيين ان شاء الله انه من صفات الكمال . وبين ما يستحيل اتصافه به فهذا تقرير ما ذكره ويمكن ان يسلك في ذلك طريقا نعم مما ذكره فانه استدلال بالامر والنهي خاصة والتحقيق ان الخبر يدل أيضا على انه متكلم كما ان الامر يدل على ذلك والرسل يبلغون عنه تارة الامر والنهي وتارة الخبر اما عن نفسه واما عن مخلوقاته فيبلغون خبره عن نفسه باسمائه وصفاته وخبره عن مخلوقاته بالقصص كما يبلغون الخبر عن ملائكته وأنبيائه ومن تقدم من الامم المؤمنين والمكذبين ويبلغون خبره عما يكون في القيامة من الثواب والعقاب والوعود والوعيد بل ما تنبأه لرسول من خبره أكثر مما تنبأه من أمره والخبر في القرآن أكثر من الامر وذا قيل لا معنى لكونه متكلماً الا انه مخبر مني * والتحقيق ان يقال لزم من كونه امر نهيا ان يكون متكلماً ويلزم من كونه مخبرا منبئا ان يكون متكلماً ﴿ وأما قول القائل ﴾

لا معنى لكونه متكلماً إلا أنه أمرناه وأنه مخبر فقيه نظر فإن المتكلم يكون تارة آمراً وتارة مخبراً وهو في حالة كونه مخبراً متكلم وإن لم يكن آمراً وفي حال كونه آمراً متكلم وإن لم يكن مخبراً سواء قدر إمكان انفكاك أحدهما عن الآخر أو قدر تلازمهما في حق بعض المتكلمين *

ولقائل أن يقول هذا الذي ذكره قليل الفائدة فإنه إن كان المقصود به إثبات كونه متكلماً على من يقر بالرسول فجميع هؤلاء يقرّون بأنه متكلم إذ لا يمكن أحداً ممن يؤمن بالتوراة أو الانجيل أو القرآن أن ينكر أن الله تكلم وهذه الكتب مملوءة بذكر ذلك وأهل الملل مطبقون على ذلك وإن كان مقصوده إثبات ذلك على من لا يقر بالرسول فتقرير المسئلة تقرير لهذا * فحاصله أن ما ذكره من كونه متكلماً هو حقيقة أن الرسول صادقون فيما أخبروا عنه فإذا أثبت ذلك بصدق الرسول كان أثباتاً للشيء بنفسه (وإنما المقصود) إثبات أنه متكلم حقيقة بكلام يقوم بنفسه خلافاً للمتفلسفة التي تجعل كلامه إنما هو تعريف فعل وهو ما يفيض على النفوس من التعريفات وللجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يجعلون كلامه ما يخلقه في غيره من الحروف والاصوات وهذا الذي اعتنى به السلف في الرد على من يقول القرآن مخلوق خلقه الله في الهواء لم يتم به كلام فكيف بمن يقول ليس كلامه إلا ما يحدث في النفوس من التعريف والاعلام من غير أن يكون له كلام منفصل عن نفوس الأنبياء والمرسلين * وقد بسطنا القول في مسألة الكلام واضطراب الناس فيها في غير هذا الموضع

(ولا ريب) أنه سلك في هذا الاعتقاد مسلك الصفاتية المخالفين للمعتزلة * ولهذا عد هذه الصفات السبع * وأما المعتزلة فيقتصرون على أنه حي عالم قادر * وقد يزيد البصريون الإدراك كالسمع والبصر *

(وأما كونه متكلماً ومريداً) فهذا عندهم من باب المفعولات لا من باب الصفات إذ معنى كونه متكلماً عندهم أنه خلق كلاماً في غيره كسائر ما يخلقه من المخلوقات بخلاف كونه حياً عالماً قادراً أو مدركاً عند البصريين فإن ذلك ثبت له لذاته سواء خلق شيئاً أو لم يخلقه * ولهذا كان عام التعلق لا يختص بمعلوم دون معلوم كما تختص الإرادة والكلام بمراد دون مراد ومأمور دون مأمور * وهذا القدر الذي أثبتته من كونه متكلماً آمراً ناهياً لا ينزعه فيه معتزلي بل ولا متفلسف الهي يقر بانبوات في الجملة كما يقر بها المتفلسفة الذين حقيقة أمرهم أنهم يؤمنون ببعض الصفات

ويكفرون ببعض كما ان اليهود والنصارى يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض * (ولقائل أن يقول) ان هذا السؤال ليس لازماله في مسألة الكلام بل وفي سائر المسائل فانه لم يثبت شيأ من الصفات القائمة بنفسه وانما أثبت أحكام الصفات وأثبت الاسماء * والمعتزلة توافق على الاسماء والاحكام بل والفلاسفة أيضا توافق على اطلاق ما ذكره من الاسماء والصفات فلا يكون في هذا الاعتقاد فرق بين مذهب الصفاتية أهل الاثبات كابن كلاب والاشعري وأتباعها ولا بين المعتزلة كابي علي وأبي هاشم وأبي الحسين البصري وأمثالهم * بل هذا الاعتقاد مشترك بين المعتزلة والاشعرية وغيرهم من الطوائف * يبين هذا انه لم يذكر في اعتقاده ما يتميز به الاشعرية عن المعتزلة ولا ذكر أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا ذكر مسألة الرؤية وان رؤية الله جائزة في الدنيا واقعة في الآخرة ولا ذكر أيضا مسائل القدر * وان الله خالق أفعال العباد وانه مريد للكائنات ولا ذكر أيضا مسائل الاسماء والاحكام وان الفاسق لا يخرج عن الايمان بالكلية * ولا يجب انفاذ الوعيد بل يجوز العفو عن أهل الكبائر * ولا ذكر مسائل الامامة والتفضيل * وكل هذه الاصول تذكر في مختصرات المعتقدات التي يصنفونها متأخروا الاشاعرة كالعقيدة القدسية لابي حامد والعقيدة البرهانية المختصرة من إرشاد أبي المعالي ونحوها فضلا عن الاعتقاد الذي تذكره أئمة الاشعرية كالقاضي أبي بكر وذويه فانهم يزيدون على ذلك اثبات الصفات الخبرية واثبات العلو وأمثلة ذلك فضلا عن الاعتقاد الذي ذكره الاشعري في المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث فان فيه جملا مفصلة فضلا عما يذكره السلف والأئمة الكبار من الاثبات والتفصيل المبين للسنة الفاصل بينها وبين كل بدعة ولهذا كان أصحاب هذا المصنف مع انتسابهم الى الاشعري انما هم في باب الصفات مقرون بما تقر به المعتزلة ولا يقرون بما تقر به الاشعرية من الزيادات وبحوث أبي عبد الله بن الخطيب تعطيمهم ذلك فان الوقت والحيرة ظاهر على كلامه في اثبات الصفات ومسألة الرؤية والكلام وأمثالها بخلاف مسائل القدر فانه جازم فيها بمخالفة المعتزلة وهذه الطريقة تشبه من بعض الوجوه طريقة ضرار بن عمرو وحسين النجار وأمثالهما ممن كان يقر بالقدر ولكنه في الصفات بين المعتزلة والاشعرية أو تشبهه طريقة الواقفية الذين كانوا يقفون في القرآن فلا يقولون هو مخلوق ولا غير مخلوق * وكلام أئمة السنة في ذم هؤلاء وكلام متكلمي الصفاتية كالاشعري وغيره في ذلك مشهور معروف

(فإن قيل) فالمعتزلة لا تقر بمنكر ونكير والصراط والميزان ونحو ذلك مما ذكره هذا المصنف (فيل
المعتزلة) في ذلك على قولين منهم من يثبت ذلك ومنهم من ينفيه على أن ما ذكره ليس فيه ما يدل
على اثبات هذه الأمور وإنما فيه الإقرار بكل ما أخبر به الرسول من هذه الأمور وليس في
المعتزلة ولا غيرهم من المسلمين من يقول لا أقرب ما أخبر به الرسول بل كل مسلم يقول إن ما أخبر
به الرسول فهو حق يجب تصديقه به * وكل المسلمين من أهل السنة والبدعة يقولون آمنت بالله
وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله فانه متى لم يقر بهذا فهو كافر كفرا ظاهرا ولا
يتميز بهذا القول الجمل مذهب أهل السنة عن غيرهم ولهذا لا يكتفى امام من أئمة السنة بمجرد هذا
ومن نقل عن الشافعي وغيره انه اكتفى بهذا فقد كذب عليه وانما هذا قول بعض المتأخرين وهو
قول صحيح لا يخالف فيه الا كافر لكن العلم بالسنة مفصلا مقام آخر فليبتدع اذا نازع السني
لا ينازعه في تصديق الرسول في كل ما أخبر به لكن ينازع هل أخبر بذلك الرسول أم لا وهل
خبره على ظاهره أم لا وهو لم يثبت لا هذا ولا هذا * اذ هما من علم النقل ودلالة الالفاظ وليس
فيما ذكره شيء من هذا وهذا * كما ان كلامه في التوحيد ليس مبني على أصول الأشعرية ولا أصول
المعتزلة بل على أصول المتفلسفة فهو متردد بين الفلسفة والاعتزال واخذ من بحوث المنتسبين الى
الأشعرية كالرازي ونحوه ما قد يتوله هؤلاء وهؤلاء * وكذلك يحكي عنه خواص اصحابه انه كان في
الباطن يميل الى ذلك وقد ظهر ذلك في خواص الحديث من اصحابه كالفشيري وغيره ومعلوم
انه تكلم بمبلغ علمه وحسب اجتهاده ونهاية عقله وغاية نظره * ولكن المقصود ان تعرف المقالات
والمذاهب وما هي عليه من الدرجات والراتب ليعطى كل ذي حق حقه ويعرف المسلم أين يضع رجله
(اذا تبين هذا) فنحن ننبه على ما يميز به أهل السنة عن المعتزلة ومن هو أبعد عن
الحق منهم كالتفلسفة (فنقول) اذا ثبت بهذا الدليل انه سبحانه متكلم وثبت ان الرسل أخبروا
بذلك فنقول الذي أخبر به الرسل انه متكلم بكلام قائم بنفسه هذا هو الذي ننبه وهذا
هو الذي فهمه عنهم اصحابهم ثم تابعوه باحسان بل علموا هذا من دليل الرسل بالاضطرار
ولم يكن في صدر الامة وسلفها من ينكر ذلك وأول من ابتدع خلاف ذلك الجعد بن درهم ثم
صاحبه الجهم بن صفوان وكلاهما قتل * أما الجعد بن درهم الذي كان يقال انه معلم مروان بن
محمد آخر خلفاء بني أمية وكان يقال له الجعدي نسبة الى الجعد فانه قتله خالد بن عبد الله القسري

ضحى به بواسط يوم النحر وقال (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فني مضح بالجمع بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خيلا ولم يكلم موسى تكليما تعلي الله عما يقول الجعد علوا كبيرا) ثم نزل فذبحه وكانوا أول ما ظهروا بدعتهم قالوا ان الله لا يتكلم ولا يكلم كما حكى عن الجعد وهذه حقيقة قولهم فكل من قال القرآن مخلوق حقيقة قوله ان الله لم يتكلم ولا يكلم ولا يامر ولا ينهى ولا يحب فلما رأوا ما في ذلك من مخالفة القرآن والمسلمين قالوا انه يتكلم مجازا يخلق شيئا يعبر عنه لا انه في نفسه يتكلم فلما شنع المسلمون عليهم قالوا يتكلم حقيقة ولكن المتكلم هو من أحدث الكلام وفعله ولو في غيره فكل من أحدث كلاما ولو في غيره كان متكلمًا بذلك الكلام حقيقة وقالوا المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام وهذا الذي استقر عليه قول المعتزلة وهم يوهون على الناس فيقولون أجمع المسلمون على أن الله متكلم ولكن اختلفوا في معنى المتكلم هل هو من فعل الكلام أو من قام به الكلام وما زعموه من أن المتكلم يكون متكلمًا بكلام قائم بغيره قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة *

وكان قدماء الصفاية من السلف والأئمة والكلاية والكرامية والاشعرية يحققون هذا المقام ويثبتون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيره فيه ولكن الرازي ونحوه أعرض عنه وقال هذا بحث لفظي وزعم انه قليل الفائدة ثم سلك مسلكا ضعيفا في رد عليهم قد بيناه في غير هذا الموضع وهذا غلط عظيم جدا من وجهين أحدهما ان المسألة اذا كانت سمعية وانت انما ثبت انه متكلم بان الرسل بلغت أمره ونهيه لذي هو كلامه كان من ثبوت ذلك البحث عن مراد الرسل بكونه أمرا ناهيا متكلمًا هل مراده بذلك انه خلق كلاما في غيره أو انه قام به كلاما يتكلم به والدلائل السمعية مقرونة بالبحث عن الفاظ الرسل ولغاتهم التي بها خُصوا لخلق فصارت هذه المقدمة هي الركن المعتمد في الرد على المعتزلة كما سلكه قدماء الصفاية وأئمتهم بل هي الركن المعتمد في معنى كونه متكلمًا اذا ثبت ذلك بالطرق السمعية (الثنى) ان المسألة ليست لغوية فقط بل كون الصفة اذا قامت بمحل هل يعود حكمها على ذلك المحل أو على غيره هو من البحوث العقلية النافعة في هذا المقام والسلف رضي الله عنهم عرفوا حقيقة المذهب وردوه بناء على هذا الاصل كما ذكره البخاري في كتاب خلق الافعال وقال قل ابن مقاتل سمعت ابن المبارك يقول من قال اني أنا الله لا إله الا أنا مخلوق فهو كافر ولا ينبغي للمخلوق أن يقول ذلك وقال انا

لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وقل سليمان بن داود الهاشمي من قال ان القرآن مخلوق فهو كافر وان كان القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بان يخلد في النار اذ قل (أنا ربكم لأعلى) وزعموا ان هذا مخلوق ومن قال اني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني مخلوق فهذا أيضا قد ادعى ما ادعى فرعون فلم صار فرعون أولى بان يخلد في النار من هذا وكلاهما عنده مخلوق فاخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه * قال البخاري قال أبو الوليد سمعت يحيى بن سعيد وذكر له ان قوما يتولون القرآن مخلوق فقال كيف يصنعون بقل هو الله أحد الله الصمد كيف يصنعون بقوله اني أنا الله لا إله الا أنا * وروى عن وكيع بن الجراح انه قال لا تستخفوا بقولهم القرآن مخلوق فانه من شر قولهم انما يذهبون لي التعطيل *

ومعنى كلام السلف من قال ان كلام الله مخلوق حقيقة قوله ان الله تعالى لا يتكلم وان المحل الذي قام به اننى أنا الله لا إله الا أنا هو المدعى لالهيته كما ان فرعون لما قام به أنا ربكم الاعلى كان مدعى الربوبية وكلام السلف مبنى على ما يعلمونه من ان الله خالق أفعال العباد وأقوالهم واذا كان كلامه مخرجه في غيره كان كل كلام كلامه وكان كلام فرعون كلامه اذ المتكلم من قام به الكلام فلا يكون متكلمًا بكلام يكون في غيره كسائر الصفات والأفعال فانه لا يكون عالما بعلوم غيره ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره * ولا حيا بحياة تقوم بغيره * وكسائر الموصوفين فان الشيء لا يكون حيا عالما قدرا بحياة أو علم أو قدرة تقوم بغيره ولا يكون متحركا أو ساكنا بحركة أو سكون يقوم بغيره كما لا يكون متولوا بلون يقوم بغيره

(وهنا) أربع مسائل مسألتان عقليتان ومسألتان سمعيتان لغويتان (الاولى) ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل فكان هو الموصوف بها فالعلم والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك المحل هو العالم القادر المتكلم أو المتحرك أو الساكن * (الثانية) ان حكمها لا يعود على غير ذلك المحل فلا يكون عالما بعلوم غيره ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره ولا متكلمًا بكلام يقوم بغيره ولا متحركا بحركة تقوم بغيره وهاتان عقليتان *

(الثالثة) انه يشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم اذا كانت تلك الصفة مما يشتق لمحلها منها اسم كما اذا قام العلم أو القدرة أو الكلام أو الحركة بمحل قيل عالم أو قادر أو متكلم أو متحرك بخلاف اصناف الروح التي لا يشتق لمحلها منها اسم * (الرابعة) انه لا يشتق الاسم للمحل لم يقم به تلك

الصفة فلا يقال لمحل لم يقم به العلم أو القدرة أو الإرادة أو الكلام أو الحركة أنه عالم أو قادر أو مرید أو متكلم أو متحرك *

والجهمية والمعتزلة عارضوا هذا بالصفات الفعلية فقالوا أنه كما أنه خالق عادل بخالق وعدل لا يقوم به بل هو موجود في غيره فكذلك هو متكلم مرید بكلام وإرادة لا تقوم به بل يقول الكلام بغيره ممن سلم لهم هذا النقص كالاشعري ومن أتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد أظهر تناقضهم ولم يجيبوهم بجواب مستقيم وأما السلف وجمهور المسلمين من جميع الطوائف فلم يتردوا أصلهم وقالوا بل الأفعال تقوم به كما تقوم به الصفات والخلق ليس هو المخلوق وذكر البخاري أن هذا جماع العلماء ومن قال الصفات تنقسم إلى صفات ذاتية وفعلية ولم يجعل الأفعال يقوم به فكلامه فيه تلبس فانه سبحانه لا يوصف بشيء لا يقوم به وإن سلم أنه يتصف بما لا يقوم به فهذا هو أصل الجهمية الذين يصفونه بمخلوقاته ويقولون أنه متكلم ومرید وراض وغضبان ومحب ومبغض وراحم لمخلوقات يخلقها منفصلة عنه لا بأمور تقوم بذاته

(إذا تبين ذلك) فالسلف لما علموا هذا علموا أن قول من قال أنا الله لا إله إلا أنا مخلوق يوجب أن يكون هذا الكلام كلاماً للشجرة لا كلاماً لله لانه قام بالشجرة لم يقم بالله * كما أن كلام فرعون قام به وإن كان الله خالق ذلك كله فانه خالق العباد وأفعالهم وكلامهم وهذا أيضاً ما بين أنه لو كان من يخلق الكلام في غيره متكلماً لوجب أن يكون كل كلام في لوجود كلامه وهذا يقوله غالبية الجهمية الاتحادية كصاحب الفصوص ونحوه فانه يقول

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا شره ونظامه

ومعلوم أن هذا الكلام أعظم من كفر عباد الأصنام * كما ذكره ابن مبارك وغيره من السلف وأيضاً فإن الله تعالى قد أنطق أشياء كما قل تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) وقال (حتى إذا ما جاوزوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فهو منطلق كل شيء وخالق نطقه ولا نزاع أنه خالق النطق في غير الحى المختار وإنما تنازعت القدرية في خالق أقوال الأحياء وأفعالهم فإن كان حقيقة كلامه ما خلقه في غيره من الكلام فهذا جميعه كلامه وما في هذا الكلام المخلوق من ضمير المتكلم

إيمان يعود إلى خالقه أو إلى محله فن عاد إلى خالقه كانت شهادة الأعضاء شهادة الله وكان قول فرعون
 أنا ربكم الأعلى قولاً لله وكان قولهم لجلودهم لمشهدتهم علينا قولاً لله وكان قول الجلود أنطقنا الله
 الذي أنطق كل شيء بمعنى نطقت نفسي ولم يكن فرق عندهم بين نطق ونطق وإن عاد الضمير
 إلى محله كان الكلام المخلوق في الشجرة نتي أن الله لا إله إلا أنا كلاماً للشجرة فتكون الشجرة
 هي القائلة أنني أنا الله لا إله إلا أنا وهذا حقيقة قولهم لما ثبت من أن الكلام كلام لمن قام به فيكون
 ضمير المتكلم فيه عائداً إلى محله ولما كان هذا المعنى مستقراً في فطر الناس وعقولهم كان السلف
 يقصدون بمجرد قولهم القرآن كلام الله الرد على هؤلاء الجهمية الذين حقيقة قولهم أن القرآن
 ليس كلام الله وإنما هو كلام لجسم مخلوق وحقيقة قولهم أن الله لم يكلم موسى وإنما كلمه مخلوق
 لمن مخلوقاته قال البخاري قال عبد الرحمن بن عوف سمعت سفيان بن عيينة في السنة التي ضرب
 فيها المريسقي فقام ابن عيينة من مجلسه منضبطاً قال ويحكم القرآن كلام الله قد صحبت الناس
 وأدركتهم هذا عمرو بن دينار وهذا ابن المنكدر حتى ذكر منصوراً والإعشى ومسريراً كدام
 فقال ابن عيينة قد تكلموا في الاعتزال ولرفض والقدر وأمرؤنا باجتناب القوم فما نعرف
 القرآن إلا كلام الله ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله وما أشبه هذا القول بقول النصارى
 لا تجالسوه ولا تسمعوا كلامهم وابن عيينة أخرج هذا القول عن الرافض والاعتزال لأن المعتزلة
 أولاً الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية وإنما كانوا يتكلمون في الوعيد
 وانكار القدر وإنما حدث فيهم بنى الصفات بعد هذا ولهذا لما ذكر الإمام أحمد ابن حنبل في رده
 على الجهمية قول جهم قل فنبه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره واشتهر هذا القول عن
 أبي لهذيل العلاف والنظم وأشبههم من أهل الكلام وأما الرافضة فلم يكن في قدامهم من
 يقول بنى الصفات بل كان الغلو في التجسيم مشهوراً عن شيوخهم هشام بن الحكيمة وأمثاله .
 وقال البخاري حدثني الحسن بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة قال حدثنا سفيان بن عيينة قال أدركت
 مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق . قلت كان
 المريسقي قد صنف كتاباً في بنى الصفات وجعل يترؤف بمكة في أواخر حياة ابن عيينة فشاع بين علماء
 أهل مكة ذلك وقالوا صنف كتاباً في التعطيل فسمعوا في عقوبته وجبسه وذلك قبل أن يتصل
 بالأمموني ويجري من الحنة ما جرى . وقول ابن عيينة ما أشبه هذا الكلام بكلام النصارى هو كما قال كما

قد بسط في غير هذا الموضع فن عيسى مخلوق ويحملونه نفس الكلمة لا يحملونه المخلوق بالكلمة
 وأيضا ثمة نصارى كمنشكين أحد فضلائهم الا كابر يقوون ان الله ظهر في صورة البشر متراثيا لنا
 كما ظهر كلامه لموسى في الشجرة فالصوت المسبوع هو كلام الله وان كان خلقه في غيره وهذا
 المرئي هو الله وان كان قد حل في غيره . قال البخاري وقال علي بن عاصم ما الذين قالوا بأن الله ولدا
 أ كفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم . قال وقال علي ابن عبد الله يعني بن المديني القرآن كلام
 الله من قال انه مخلوق فهو كافر لا يصلي خفه . قال وقال أبو الوليد من قال القرآن مخلوق فهو كافر
 ومن لم يعقد قلبه على ان القرآن ايس بمخلوق فهو خارج عن الاسلام قال وقال أبو عبيد نظرت
 في كلام اليهود والنصارى والمجوس فرأيت قوما أضل في كفرهم منهم واني لاستجمل من لا يكفرهم
 الا من لا يعرف كفرهم . قال وقال معاوية بن عمار سمعت جعفر بن محمد يقول القرآن
 كلام الله ايس بمخلوق . وهذا باب واسع كبير منتشر في كتب السنة والحديث . فهذا تمام
 ما قررته في مسألة الكلام

﴿ فصل ﴾

وللنفس طرق أخرى في اثبات كون الله متكلاما منها ما في القرآن من الاخبار عن ذلك كقوله تعالى
 (قل الله يقول الله) وقوله (وكلم الله موسى تكليما) وقوله (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)
 وما ذكره في القرآن من كلمة وكلماته كقوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وقوله (وتمت كلمة ربك
 صدقا وعدلا) وما فيه من ذكر مناداته ومناجاته كقوله (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
 نجيا) وقوله (ويوم يناديهم أين شركائي) الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين
 واذا نودي ربك موسى ان انت القوم الظالمين) وما في القرآن من ذكر أنبائه وقصصه كقوله
 (قد نبأنا الله من أخباركم) وقوله (نحن نقص عليك أحسن القصص) وما في القرآن من
 ذكر حديثه كقوله ﴿ الله لا اله الا هو اجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من
 الله حديثا ﴾ وقوله ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ من القول منه وقوله (ولكن حق القول مني
 لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقوله تعالى (قوله الحق وله الملك) الآية وما ذكر في
 القرآن انه منه أو ما أضيف اليه فن كان عينا قائمة بنفسها أو أمرا قائما بتلك العين كان مخلوقا
 كقوله في عيسى (وروح منه) وقوله (وسخر لكم في السموات وفي الارض جيما منه)

وقوله تعالى (وما يكمن من نعمه فن الله) * وأما ما كان صفة لا تقوم بنفسها ولم يذ كر لها محل غير الله كان صفة له فكما قول والعلم والامر اذا أريد به المصدر كان المصدر من هذا الباب كقوله تعالى (أله الخلق والأمر) * وان أريد به المخلوق المكون بالامر كان من الاول كقوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) * وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه وعلم الله وبين عبد الله وبيت الله وثيقة الله وقوله (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرياً سوياً) * وهذا أمر معقول في الخطاب فإذا قلت علم فلان وكلامه ومشيتته لم يكن شيئاً بائناً عنه * والسبب في ذلك ان هذه الامور صفات لما تقوم به فاذا أضيفت اليه كان ذلك اضافة صفة لموصوف اذ لو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره *

و علم ان الاستدلال على الكلام بمثل هذه السمعيات أكمل من الاستدلال على السمع والبصر بالسمعيات لان ما أخبر الله به عن نفسه من قوله وكلامه ونبأه وقصصه وأمره ونهيته وتكليمه ونذاته ومناجاة وأمثال ذلك اضعاف اضعاف ما أخبر به من كونه سميعاً بصيراً * وأيضاً فإنه نوع لا خبر عن كل نوع من أنواع الكلام وثني ذلك وكرره في مواضع ولا يحصى ما في القرآن من ذلك الا بكلفة ومن المعلوم بالاضطرار ان المخاطبين لا يفهمون من هذا الكلام عند الاطلاق انه خالق صوت في غيره وإنما يفهمون منه هو الذي تكلم بذلك وقوله كذا في حديث الامك ولشأن في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بوحى يتلى * فلو كان المراد بهذه الجمل الكثيرة العظيمة البينة الصريحة خلاف مفهومها ومقتضاها لوجب بيان ذلك اذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز * ثم لا يتدر أحد أن يحكى عنهم انهم جعلوا الكلام كلاماً لمن أحدثه في غيره بل لا يوجد في كلامهم قل ويقول تكلم ويتكلم لا اذا كان الكلام قائماً بذاته * واذا احتجت الجهمية من المعزلة ونحوهم بان أحدثنا انما كان متكلاً لانه فعل الكلام * قيل هو لم يحدثه في غيره ولم يبين كلامه نفسه وانهم يجعلون الكلام البائن للمتكلم كلاماً له فان قلوا ولا نعقل الكلام الا كلاماً لمن فعله بمشيئته وقدرته فان كلام أحدنا لم يكن كلاماً له بمجرد قيامه بذاته بل لكونه فعله * قيل أما كلام أحد فهو قائم به وهو تكلم به في ذاته ومشيتته وقدرته فهو قد جمع الوصفين انه قائم بذاته وانه تكلم به بمشيئته وقدرته فليس جعلكم الكلام كلاماً لمجرد كونه فعله بأولى من جعل غيركم الكلام كلاماً له لمجرد كونه قام بذاته

وهذا موضع تنازعت فيه الصفائية بعد اتفاقهم على تضليل الجهمية من الفلاسفة والمعتزلة ونحوهم
على قولين مشهورين حتى القائلون بأن الكلام معني قائم بنفس المتكلم وراء الاصوات تنازعوا
في ذلك كما ذكره أبو محمد بن كلاب فيما حكاه عنه أبو بكر بن فورك * قال بن فورك فاما صريح
عبارته وما نص عليه في كتاب الصفات الكبيرة في تحقيق الكلام فانه قال فاما الكلام فانه
على ما شاهدناه منه معني قائم بالنفس يقوم يزعمون أنه نعت لها وقوم يزعمون أنه فعل من أفعالها
الا أنهم يعبر عنه بالألفاظ والكتابات والإيماء وكل ذلك قد يسمى كلاما وقولا لادائه ما يؤدي
عن تلك المعاني الخفيات * وكذلك أبو بكر عبد العزيز ذكر في كتابه ما ذكره القاضي أبو يعلى
عنه أن أصحاب الامام أحمد تنازعوا في معنى قولهم القرآن غير مخلوق هل المراد به أنه صفة لازمة
له كالعلم والقدرة أو أنه يتكلم اذا شاء ويسكت اذا شاء وهذه المسألة متعلقة بمسئلة قيام الافعال
بذاته المتعلقة بمشيتها هل يجوز أم لا كالاتيان والمجيء والاستواء ونحو ذلك * وتسمى مسألة
حلول الحوادث وكل طائفة من طوائف الامة وغيرهم فيها على قولين حتى الفلاسفة لهم فيها
قولان المتقدمهم ومتأخريهم * وذكر أبو عبد الله الرازي أن جميع الطوائف تلزمهم هذه المسألة وان
لم يلتزموها * وأول من صرح بنفيها الجهمية من المعتزلة ونحوهم ووافقهم على ذلك أبو محمد بن
كلاب وأتباعه كالخارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري ومن
وافقهم من أتباع الأئمة كالقاضي أبي يعلى وأبي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني وهو
قول طائفة من متأخري أهل الحديث كابي حاتم البستي والخطابي ونحوهما وكثير من
طوائف أهل الكلام يثبتها كالمشامية والكرامية وزهيرية وأبي معاذ التومني وأمثالهم كما
ذكره الأشعري عنهم في المقالات وهو قول أساطين فلاسفة المتقدمين * وكابي البركات
صاحب المعبر وأمثاله من المتفلسفة وهو قول جمهور أئمة الحديث كما ذكره عثمان بن سعيد
الدارمي وامام الأئمة أبو بكر بن خزيمة وغيرهما عن مذهب السلف والأئمة وكما ذكره شيخ
الاسلام أبو اسعيل الانصاري وأبو عمر بن عبد البر النمري وقوله طوائف من أصحاب أحمد
كالخلال وصاحبه وأبي حامد وأمثالهم وقوله داود بن علي الاصفهاني وأتباعه وهو مقتضى
ما ذكره عن السلف والأئمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى عبد الله بن المبارك وأحمد
ابن حنبل والبخاري صاحب الصحيح وأمثالهم وعنه يدل كلام السلف فهو لا اذا قالوا المتكلم

من قام به الكلام وهو يتكلم بمشيئته وقدرته خصموا المعتزلة وانقطعت حججهم عنهم فانهم
اعتبروا الوصفين جميعا فن جعل المتكلم من قام به الكلام وان لم يكن متكلم بمشيئته وقدرته
أو جملة من فعله بمشيئته وقدرته وان لم يكن قائما به لحذف أحد الوصفين

ولاريب أن الطرق الدالة على الاثبات والنفي اما السمع واما العقل * (أما السمع) فليس مع النفاة
منه شيء بل القرآن والاحاديث هي من جنب الاثبات كقوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا
أن يقول له كن فيكون) وقوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله (وقل
اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله (خلق السموات والارض في ستة أيام ثم
استوى على العرش) وقوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وقوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم
الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وأمثال ذلك مما في القرآن فإنه كثير
جدا • وكذلك الاحاديث الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام لما صلى بهم صلاة الصبح بالحدبية
على أثر سماء كانت من الليل (أندرون ماذا قل ربكم الليلة قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه قال
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب) وما يذكره من خطابه للعباد يوم القيامة
وخطابه للملائكة وأمثال ذلك بل كلما نحتاج به المعتزلة على أن القرآن مخلوق من نحو هذا فإنه
لا يدل على أنه بائن منه وإنما يدل على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته فيمكن هؤلاء التزامه ويكون
قولهم متضمنا للايمان بجميع ما أنزله الله مما يدل على أنه يتكلم بمشيئته وقدرته وعلى أن كلامه
غير مخلوق بخلاف غيرهم فإنه يقرر بعض النصوص ويرد بعضها بتحريف أو تقويض ومن جملة
متكلم بمشيئته وقدرته وقال أن كلامه قائم به زال عنه هذا كله والمنازع لهم يحتاج أن يقرر بالعقل
امتناع ذلك ثم يبين أنه يمكن تأويله

(فاما الطرق المقنية) فالمثبتون يقولون أنها من جانبهم دون جنب النفاة كما تزعم النفاة أنها من
جنبهم وذلك أنهم قالوا أن قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال كما أن ما يقوم
به من العلم والقدرة صفة كمال ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أو كل ممن لا يقدر
على ذلك • كما أن قدرته على أن يبدع الاشياء صفة كمال والقادر على الخلق أو كل ممن لا يقدر
على الخلق وقالوا الحي لا يخلو عن هذا والحية هي المصححة لهذا كما هي المصححة لساير الصفات
واذا قدر حي لا يقدر على أن يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عاجزا بمنزلة الزمن والاخرس

كما أنه اذا قدر حي لا يسمع ولا يبصر كان أصم أعمى * فما من طريق يسلكه الصفائية في اثبات صفاته الا يسلك هؤلاء نظيره من اثبات ذلك

ولا ريب ان النفاة نوعان (أحدهما) وهم الاصل المستزلة ونحوهم من الجهمية هؤلاء ينفون الصفات مطلقا وحجتهم على نفي قيام الافعال به من جنس حجتهم على نفي قيام الصفات به * وهم يسوون في النفي بين هذا وهذا كما صرحوا بذلك وايس لهم حجة تختص بنفس قيام الحوادث وأما مثبتة الصفات الذين ينفون الافعال الاختيارية القائمة به كابن كلاب والاشعري فانهم فرقوا بين هذين بأنه لو جاز قيام الحوادث به لم يخل منها لان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وبهذا استدلو على حدوث الاجسام لانها لا تخوم من الاعراض الحادثة كالحركة والسكون والاجتماع ولافتراق (فجانبهم الاولون) بثلاثة أجوبة (أحدها) ان استدلالهم بقيام الافعال به على حدوثه هو نظير استدلال المستزلة بقيام الصفات به على حدوثه وقلوا الصفات أعراض والاعراض لا تقوم الا بحسم فترقم أنتم بين الصفات وهي اللازمة وبين الاعراض وهو فرق صوري يرجع في الحقيقة الى الاصطلاح فن جاز أن تقوم به الصفات التي هي أعراض في غيره ولا يكون جسما محدثا جاز أن تقوم به لافعال التي هي حركات في غيره ولا يكون جسما محدثا وهذا الزام *

(الثاني) قلوا لهم لانسلم ان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وقد اعترف أبو عبد الله الرازي وأبو الحسن الآمدي ونحوهما بفساد هذا الاصل وعليه بنى الاشعري واصحابه كلامهم في مسألة امتناع قيام الحوادث به ومسألة القرآن ونحوهما من المسائل *

(الثالث) هب انه لا يخلو عنه وعن ضده وان ذلك يستلزم تعاقب الحوادث لكن لانسلم ان ذلك يستلزم حدوث مقام به * قلوا والدليل الذي ذكرتموه على حدوث العلم من هذا الوجه دليل ضعيف وقد لزمكم الفلاسفة فيه الزام لم تفصلوا عنه ولا يمكنكم الانفصال عنه لا تجوز ذلك على القديم فانهم قالوا ما حدث بعد ن لم يكن فلا بد له من سبب حادث فن ذلك الحادث ممكن والممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر الا بمرجع والمرجح ان لم يجب حصول الممكن عند حصوله لم يكن مرجحا تاما فافتقر الى تمامه * ثم القول في حدوث ذلك التمام كاقول في حدوث الاول فلا بد من مرجح تام يجب عنده الحادث فلا بد لكل حادث من سبب تام يحصل

الحادث عند تمام ذلك السبب فإذا كان العالم محدثا بعد أن لم يكن ولم يحدث سبب يقتضي حدوثه فم يمكن حين ابداعه أمر يوجب ترجيحه لم يكن قبل ابداعه بل الحالان سواء فيلزم ترجيح الحدوث بلا مرجح *

وهذا الموضع هو أصعب المواضع على المتكلمين في بحثهم مع الفلاسفة في مسألة حدوث العالم * وهذه الشبهة أقوى شبه الفلاسفة فانهم لما رأوا أن الحدوث يمتنع إلا بسبب حادث قالوا والقول في ذلك الحادث كقول في الاول * وقل هؤلاء المثبتة لقيام الافعال الاختيارية بالله تعالى وعلى أصلنا بطلان كلام الفلاسفة فانه يقل لهم أنهم تجوزون قيام الحوادث بالقديم اذ الفلك قديم عندكم والحركات تقوم به * وتجوزون حوادث لا أول لها وتعاقب الحركات على الشيء لا يستلزم حدوثه وإذا كان كذلك فلم يجوز أن يكون الخالق للعالم له افعال اختيارية تقوم به يحدث بها الحوادث ولا يكون تسلسلها وتعاقبها دليلا على حدوث ما قامت به * قال هؤلاء لاصحابهم الذين اثبتوا حدوث العالم بهذه الطرق تسط عليكم الفلاسفة في مسألة حدوث العالم فانكم اذا اثبتتم حدوث العالم وقلمت المحدث لا بد له من محدث لان تخصيص الحوادث ببعض الاوقات دون بعض لا بد له من مخصص قال لكم الدهرية فانتم تجوزون الحدوث من غير سبب حادث يقتضي التخصيص ببعض الحوادث دون بعض * فان قلتم القديم يخصص مثلا عن مثل بلا سبب أصلا جوزتم تخصيص أحد اثنين على الآخر بغير مخصص وهذا يفسد عليكم اثبات العالم بالصانع وهو المقصود بطريقكم فسلكتم طريقا لم تحصل المقصود من العرفان * وسلطتم عليكم أهل الضلال والعدوان * كن أراد أن يفزو العدو بغير طريق شرعي فلا فتح بلادهم ولا حفظ بلادهم بل سطهم حتى صاروا يحاربونه بعد ان كانوا عاجزين عنه * ولهذا ذم السلف والائمة أهل الكلام المحدث المخاف للكتاب والسنة اذ كان فيه من الباطل في الادلة والاحكام ما أوجب تكذيب بعض ما أخبر به الرسول وتسلب المدعى على أهل الاسلام وايس هذا موضع بسط الكلام في هذه الامور الكبيرة العظيمة * بل نهينا عليها تنبيهها مختصرا بحسب ما يحتمله هذا المقام * فن الكلام في مسألة الكلام حير عقول أكثر الانام * الذين ضللت معرفتهم واتباعهم لما بعث الله به رسوله الكرام * ولهم طرق سمعية في تقريره يطول ذكرها

(وأما الطرق العقلية) فمن وجوه (أحدها) أن الحلي إذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده
 كالسكوت والخرس وهذه آفة يتنزه الله عنها فتميز اتصافه بالكلام وهذا المسلك يسلكونه
 في إثبات كونه سميعا بصيرا أيضا فإنه إذا كان حيا ولم يكن سميعا بصيرا لزم اتصافه بضده
 ذلك من الصمم والعمى (الثاني) أن الكلام صفة كمال وهنا من جعله صفة لا تتعلق بمشيتته
 واختياره جعله كالعلم والقدرة ومن قل إنه يتعلق بمشيتته وقدرته قل كونه متكلمًا يتكلم إذا
 شاء صفة كمال * وقد يقول بطرد ذلك في كونه فاعلا لأفعال الاختيارية القائمة بنفسه وبجمل
 هذا كاه من صفات الكمال وقد يقول القدرة على ذلك هي صفة الكمال إذ الكمال لا يجوز
 أن يفارق الذات فإنه لم يزل ولا يزال كاملا مستحقا لجميع صفات الكمال * فالقدرة على كونه
 يقول ما شاء ويفعل ما شاء صفة كمال فالقدرة وحدها غير القدرة مع ما يقتزن بها من المقدورية *
 وهذا يأنى على أن ما يقوم به من ذلك هل كله مسبوق بالعدم أو لم يزل ذلك يقوم به * وفيه
 لهم قولان * أحدهما أنه مسبوق بالعدم كما تقول الكرامة وغيره * والثاني أنه ليس مسبوقا
 بالعدم وهو مذهب أكثر أهل الحديث وكثير من أهل الكلام والفقهاء والتصوف * (الثالث)
 أن يقال المخلوق ينقسم إلى متكلم وغير متكلم والمتكلم أكل من غير المتكلم وكل كمال هو في
 المخلوق مستفاد من الخالق فالخالق به أحق وأولى ومن جعله لا يتكلم فقد شبهه بالموات
 والجماد الذي لا يتكلم وذلك صفة نقص إذ المتكلم أكل من غيره قال تعالى في ذم من يعبد
 من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)
 وقال في الآية الأخرى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) وقال تعالى (ضرب
 الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه إنما وجهه لا يأت بخير هل
 يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) فعاب الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء
 إذ كان من المعلوم أن المعجز عن النطق والفعل صفة نقص فلنطق والقدرة صفة كمال * والفرق
 بين هذه الطريق وبين التي قبلها أن هذه استدلال بما في المخلوق من الكمال على أن الخالق
 أحق به وأنه يمتنع أن يكون مضاهيا للنقص والأولى أنه مستحق لصفات الكمال من
 حيث هي هي مع قطع النظر عن كونها ثابتة في المخلوقات لا متناع النقص عليه بوجه من
 الوجوه سبحانه وتعالى *

﴿ فصل ﴾

﴿ قال ﴾ وللدليل على كونه سميعا بصيرا السمعيات ﴿ قلت ﴾ اثبات كونه سميعا بصيرا وانه ليس هو مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات هو قول أهل الاثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف والائمة وأهل الحديث والفقهاء والتصوف والمتكلمين من الصفاية كابي محمد بن كلاب وابي العباس القلانسي وأبي الحسن الاشعري وأصحابه وطائفة من المعتزلة البصريين بل قد ماؤم على ذلك ويجعلونه سميعا بصيرا نفسه كما يجعلونه عالما قادرا لنفسه * واثبات ذلك كاثبات كونه متكلميا بل هو أقوى من بعض لوجوه فن المعتزلة البصريين يثبتون مدركا مثل كونه عليما قديرا بخلاف كونه متكلميا فانه من باب كونه خالقا

وللناس في اثبات كونه سميعا بصيرا طرق ﴿ أحدها ﴾ السمع كما ذكره وهو ما في الكتاب والسنة من وصفه بانه سميع بصير ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى لان الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر * وفرق بين السمع والبصر وهو لا يفرق بين علم وعلم لتنوع المعلومات قال تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) وفي موضع آخر (انه سميع عليم) قال تعالى (فان عزمو الطلاق فان الله سميع عليم) ذكر سمعه لا قواهم وعلمه ليتناول باطن أحوالهم وقل موسى وهرون (اني معكما أسمع وأرى) وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ على المنبر (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعم بما ظنكم به ان الله كان سميعا بصيرا) ووضع إبهامه على أذنه وسببته على عينه * ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق * فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك

﴿ الطريق الثاني ﴾ انه لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف بضد ذلك وهو العمى والصمم كما قالوا مثل ذلك في الكلام وذلك لان المصحح لكون الشيء سميعا بصيرا متكلميا هو الحياة فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك فجاءت لا توصف بذلك لانتهاء الحياة فيها واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قبلا لذلك فان لم يتصف به لزم اتصافه باضداده بناء على ان القابل للضدين لا يتخو من اتصافه باحدهما اذ لو جاز خلق الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لا صفة لها وهو وجود جوهر بلا عرض يقوم به * وقد علم بالاضطرار

امتناع خلق الجوهر عن الاعراض وهو امتناع خلق الاعيان ولذات عن الصفات وذلك بمنزلة
أن يقدر المقدر جسم لا متحركا ولا ساكنا ولا حيا ولا ميتا ولا مستديرا ولا ذا جوانب
ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم على نكار زعم من زعم تجويز وجود
جوهر خال عن جميع الاعراض وهو الذي يحكي عن قدماء الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية
عن جميع الصور وبذلك هذا عن شيعة أفلاطون وقد رد ذلك عليهم أرسطو وأتباعه * وقد
بسطنا الكلام في الرد على هؤلاء في غير هذا الموضع وبينا أن ما يدعيه شيعة أفلاطون من
اثبات مادة في الخارج خالية عن جميع الصور ومن اثبات خلافه موجود غير الاجسام وصفاتها
ومن اثبات المثل لأفلاطونية وهو اثبات حقائق كلية خارجة عن الذهن غير مقارنة للاعيان
الموجودة كل ذلك أمور ذهنية جردها الذهن وانتزعا من الحقائق الموجودة المعينة فظنوها
ثابتة في الخارج عن أذهانهم كما ظن قدماء الفينيقية من العدد * وجود في الخارج بل
وما ظنه أرسطو وشيعته من اثبات مادة في الخارج مغايرة للجسم المحسوس وصفاته واثبات
ماهيات كلية الاعيان مقارنة لاشخاصها في الخارج هو أيضا من باب الخيال حيث اشتبه عليه
ما في الذهن بما في الخارج وفرق بين الوجود والمهية في الخارج * وأصل ذلك أن الماهية في
غالب اصطلاحهم أسم لما يتصور في الاذهان والوجود اسم لما يوجد في الاعيان والفرق بين
ما في الذهن وما في الخارج لا يتأزع فيه عاقل فهمه * لكنهم بعد ما ظنوا أن في الخارج ماهية
لشيء الموجود مغايرة للشخص الموجود في الخارج * وهذا غلط بل ما في النفس سواء سمي
وجودا ذهنيا أو ماهية ذهنية أو غير ذلك هو مغاير لما في الخارج سواء سمي ذلك وجودا أو ماهية
أو غير ذلك * وأما أن يقال أن في الخارج في الجوهر المميز الموجود كالإنسان مثلا جوهرين
أحدهما ماهية والاخر وجوده فهذا باطل كبطلان قولهم أنت فيه جوهرين أحدهما مدته
والآخر صورته وكقولهم أنه مركب من حيوانية والناطقية والحيوانية والناطقية أن أرادوا
أنها جوهران وهما الحيوان والناطق فالشخص المميز هو الحيوان وهو الناطق وليس هذا شخصان
أحدهما حيوان والاخر ناطق وإن أرادوا نفس الحياة والناطق فهذان صفتان قمتان بالإنسان
وصفة الموصوف قائمة به قيام المرض بالجوهر والجوهر لا يتركب من أعراضه القائمة به ولا
يكون وجود أعراضه سابقا لذاته والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع

(والمقصود هنا) ان ارسطو واتباعه وأمثاله من أهل الفلاسفة أنكروا على من جوز منهم وجود مادة بلا صورة فهم مع اصناف أهل الكلام وسائر العقلاء متفقون على امتناع خلو الجسم عن جميع الصفات والاعراض وان جوز ذلك الصالحى ابتداء فلم يجوزوه دواما والجمهور ممنعوه ابتداء ودواما وان ما نازع النس في استلزامه لجميع اجناس الاعراض فقل انه لا بد أن يقوم به من الاعراض المتضادة واحدة منها وما لا ضده لا بد أن يقوم به واحد من جنسه وهذا قول الأشعري ومن اتبعه وقيل لا بد أن يقوم به لا كوان وهي الحركة أو السكون والاجتماع والافتراق ويجوز خلوها عن غيرها وهو قول البصريين من المعتزلة وقيل يجوز خلوها عن الاكوان دون الالون كما يذكر الكمي واتباعه من البغداديين منهم وهؤلاء قد يتنازعون في قبول الشيء من الاجسام بكثير من الاعراض ويتفقون على امتناع خلو الجسم عن العرض وضده بعد قبوله له وذلك لان خبر الموصوف عن الضدين اللذين لاثبات لهما مع قبوله لهما ممتنع في العقول وبهذا يتبين ان الحى القابل للسمع والبصر والكلام ما ان يتصف بذلك وإما ان يتصف بضده وهو الصمم والبكم والخرس ومن قدر خلوها عنهما فهو مشابه للقرامطة الذين قالوا لا يوصف بانه حى ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز بل قالوا لا يوصف بالانجاب ولا باسباب فلا يقال هو حى عالم ولا يقال ليس بحى عالم ولا يقال هو عالم قدير ولا يقال ليس بقدير عليم ولا يقال هو متكلم مرید ولا يقال ليس بمتكلم مرید * قالوا الآن في الاثبات تشبيهها بما ثبت له هذه الصفات وفي النفي تشبيهه بما ينفي عنه هذه الصفات وقد غرّبهم في ذلك من قل من متكلمة الظاهرية كابن حزم ان اسماء الحسنی كالحی والعليم والتقدير بمنزلة اسماء الاعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ولا قدرة وقالوا فرق بين الحى وبين العليم وبين التقدير في المعنى أصلا ومعلوم ان مثل هذه المقالات سفسطة في العقليات وقرمطة في السمعيات فانا نعلم بلا ضطرر الفرق بين الحى والتقدير والعليم والملك والقدوس والغفور * وان العبد اذا قل رب اغفرلى وتب على انك أنت الثواب الغفور كان قد أحسن في مناجاة ربه * واذا قال اغفرلى وتب على انك أنت الجبار المتكبر الشديد العقاب لم يكن محسنا في مناجاة * وان الله أنكر على المشركين الذين امتنعوا من تسميته بالرحمن فقال تعالى (واذ قيل لهم سجدوا للرحمن قلوا لا الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) * وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنی فدعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)

وقال تعالى (كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أئمة تتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله الا هو عليه توكلت واليه متاب) * وقال تعالى (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) * ومعلوم ان الاسماء اذا كانت أعلاماً وجامدات لا تدل على معنى لم يكن فرق فيها بين اسم واسم فلا يلحد أحد في اسم دون اسم ولا ينكر عاقل اسما دون اسم بل قد يمتنع عن تسميته مطلقا ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من اسمائه وانما امتنعوا عن بعضها وأيضا فالله له الاسماء الحسنى دون السوآى وانما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيئ بمعناه فلو كانت كلها بمنزلة الاعلام الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم الى حسنى وسوآى بل هذا القائل لو سمي معبوده بالليت والعاجز والجاهل بدل الحي والمالم والقادر لجاز ذلك عنده * فهذا ونحوه قرمطة ظاهرة من هؤلاء الظاهرية الذين يدعون الوقوف مع الظاهر وقد قالوا بنحو مقالة القرامطة الباطنية في باب توحيد الله واسمائه وصفاته مع ادعائهم الحديث ومذهب السلف وانكارهم على الأشعري وأصحابه أعظم انكار * ومعلوم ان الأشعري وأصحابه أقرب الى السلف والأئمة ومذهب أهل الحديث في هذا الباب من هؤلاء بكثير * وأيضا فهم يدعون انهم يوافقون أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل القرآن والصفات وينكرون على الأشعري وأصحابه والأشعري وأصحابه أقرب الى أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل القرآن والصفات منهم تحقيقا وانتسابا * أما تحقيقا فن عرف مذهب الأشعري وأصحابه ومذهب ابن حزم وأمثاله من الظاهرية في باب الصفات تبين له ذلك وعلم هو وكل من فهم المقاتلين ان هؤلاء الظاهرية الباطنية أقرب الى المعتزلة بل الى الفلاسفة من الأشعرية * وان الاشعرية أقرب الى السلف والأئمة وأهل الحديث منهم وأيضا فان امامهم داود وأكابر أصحابه كانوا من المثبتين للصفات على مذهب أهل السنة والحديث ولكن من أصحابه طائفة سلكت مسلك المعتزلة وهؤلاء وافقوا المعتزلة في مسائل الصفات وان خالفوه في القدر والوعيد * وأما الانتساب فانتساب الأشعري وأصحابه الى الامام أحمد خصوصا وسائر أئمة أهل الحديث عموما ظاهر مشهور في كتبهم كلها * وما في كتب الأشعري مما يوجد مخالفا للامام أحمد وغيره من الأئمة فيوجد في كلام كثير من المنتسبين الى أحمد كأبي الوفاء ابن عقيل وأبي الفرج ابن الجوزي وصدة بن الحسين وأمثلهما هو أبعد عن قول أحمد

والأئمة من قول الأشعري وأئمة أصحابه ومن هو أقرب إلى أحمد والأئمة من مثل ابن عقيل وابن الجوزي ونحوهما كابي الحسن التميمي وابنه أبي الفضل التميمي وابن ابنه رزق الله التميمي ونحوهم وأئمة أصحاب الأشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني وشيخه أبي عبد الله بن عبد الله بن مجاهد وأصحابه كابي علي بن شاذان وأبي محمد بن اللبان بل وشيوخ شيوخه كابي العباس القلانسي وأمثاله * بل والحافظ أبو بكر البيهقي وأمثاله أقرب إلى السنة من كثير من أصحاب الأشعري المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة * فإن كثيرا من متأخري أصحاب الأشعري خرجوا عن قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة إذ صاروا واقفين في ذلك كما سننبه عليه * وما في هذا الاعتقاد المشروح هو موافق لقول الواقفة الذين لا يقولون بقول الأشعري وغيره من متكلمة أهل الإثبات وأهل السنة والحديث والسلف بل يثبتون ما وافقه عليه المعتزلة البصريون فإن المعتزلة البصريين يثبتون ما في هذا الاعتقاد ولكن الأشعري وسائر متكلمة أهل الإثبات مع أئمة السنة والجماعة يثبتون الرؤية ويقولون القرآن غير مخلوق ويقولون إن الله حي بجماعة عالم بعلم قادر بقدره وليس في هذا الاعتقاد شيء من هذا الإثبات * وقد رأيت اعتقادا مختصرا لصاحب مصنف هذا الاعتقاد المشروح وهو مشهور بالعلم والحديث وهو في الظاهر أشعري عند الناس ورأيت اعتقاده على هذا النمط ذكر فيه أن الله متكلم أمرناه كما يوافق عليه المعتزلة ولم يذكر أن القرآن غير مخلوق ولا أثبت الرؤية بل جعلها مما تأول وكان يميل إلى الجهمية الذين ناظروا أحمد بن حنبل وسائر أئمة السنة في مسألة القرآن ويرجع جانبهم وحكي عنهم ذم وسب لأحمد بن حنبل وهو بنى اعتقاده وركبه من قول الجهمية ومن قول الفلاسفة القائلين بقدوم العقول والنفوس وهو من جنس القول المضاف إلى ديمقراطيس وليس هذا مذهب الأشعرية بل هم متفقون على أن القرآن غير مخلوق وعلى أن الله يرى في الآخرة وإن قيل إن في ذلك تديسا أو خطأ أو غير ذلك فليس المقصود هنا تصويب قائل معين ولا تخطئته ولا بيان ما في مقاليته من الخطأ والصواب وموافقة السلف ومخالفتهم * بل أن يعلم مقالة كل شخص على حقيقتها * ثم الحق يجب اتباعه بما أقام الله عليه من البرهان * ثم هذا الاعتقاد المشروح مع أنه ليس فيه زيادة على اعتقاد المعتزلة البصريين فاعتقاد المعتزلة البصريين خير منه فإن في هذا المعتقد من اعتقاد المتفلسفة في التوحيد ما لا يرضاه المعتزلة * كما نبهنا عليه فيما تقدم وبيناه أن ما ذكره

من التوحيد ودليله هو مأخوذ من أصول الفلاسفة وأنه من أبطال الكلام * وهذه الجمل نافعة فإن كثيرا من الناس ينتسب إلى السنة أو الحديث أو اتباع مذهب السلف أو الأئمة أو مذهب الإمام أحمد أو غيره من الأئمة أو قول الأشعري أو غيره ويكون في أقواله ما ليس بموافق لقول من انتسب إليهم * فمعرفة ذلك نافعة جدا كما تقدم في الظاهرية الذين ينتسبون إلى الحديث والسنة حتى أنكروا التماس الشرعي المأثور عن السلف والأئمة ودخلوا في الكلام الذي ذمه السلف والأئمة حتى نفوا حقيقة أسماء الله وصفاته وصاروا مشاهرين للقرامطة الباطنية بحيث تكون مقالة المعتزلة في أسماء الله أحسن من مقالهم فهم مع دعوى الظاهر يقرمطون في توحيد الله وأسمائه * وأما السفسطة في العقبات فظاهرة فنه من المعلوم بصريح العقل امتناع ارتفاع تقيضين جميعا وأنه لا واسطة بين النفي والاثبات فمن قل أنه لا يصف الرب بالاثبات فلا يقول أنه حي عليم قدير ولا يصفه بالنفي فلا يقول ليس بحي عليم قدير فقد امتنع عن التقيضين جميعا والامتناع عن التقيضين كالجمع بين التقيضين فن التقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان * وهذا مما رأيته قد اعتمد عليه أئمة القرامطة كصاحب (كتاب الأقاليد المملوكية أبي يعقوب السجستاني) فنه قالوا نحن لم نجمع بين التقيضين * فنقول أنه حي وليس بحي بل رفعنا التقيضين فقلنا لا موصوف ولا لا موصوف (قال هذا القرمطي المصنف) الذي رأيته من أفضل هؤلاء القرامطة (الأقليد العاشر) في أن من عبد الله بنى الصفات والحدود لم يعبد حق عبادته اذ عبادته واقعة لبعض المخلوقين فن قوما من الاوائل وجماعة من فرق الاسلام لم يعبدوا الله حق عبادته ولم يعرفوه بحقيقة المعرفة فقالوا ان الله غير موصوف ولا محدود ولا منموت ولا مرئي ولا في مكان وتوهموا ان هذا المقدار تمجيد لله عز وجل وتمظيم له وانهم قد تخلصوا من الشرك والتشبيه واذا هم قد وقعوا في الخيرة واليه لانهم لما نفوا الصفات والحدود والنعوت عن الباري قدست عظمته لئلا يكون بينه وبين خلقه مشابة ولا مماثلة فنحن نسألهم بعد عن الموصوف والحدود والمنعوت من خلقه أهو الصفة والحد والثنت أم الموصوف غير صفته والحدود غير حده والمنعوت غير نعمته * فن قالوا ان الصفة هي الموصوف والحد هو المحدود والثنت هو المنعوت لزمهم أن يقولوا ان السواد هو الاسود والبياض هو الابيض * وان قالوا الموصوف غير صفته والمنعوت غير نعمته والمحدود غير حده وهو أعنى لموصوف والمحدود والمنعوت جميعا مخبوق هذا الخلق الذي

نزهتموه عن الصفة والحد والتمت أشركتم الخالق بالمخلوق الذي هو الصفة والحد والتمت في
 باب انها غير الموصوف عندكم وان جاز أن يشارك المخلوق الخالق في وجهه من الوجوه لم لا يجوز أن
 يشاركه في جميع الوجوه قال فاذا من عبد الله بنى الصفات واقع في التشبيه الخلق كما ان من عبده بسمة
 الصفات واقع في التشبيه الجلي * ثم أخذ يرد على المعتزلة لكن رده عليهم ما أثبتوه من الحق واحتج
 عليهم بما وافقوه فيه من النفي فنه بهذا الطريق تمكنت القرامطة الزنادقة الملاحدة من افساد دين
 الاسلام حيث احتجوا على كل مبتدع بما وافقهم عليه من البدعة من النفي والتعطيل والزموه لازم
 قوله حتى قرروا التعطيل المحض قل القرمطي ومن اطمأنت به طائفة من أهل هذه النحلة في اقامة
 رأيهم من أن المبتدع سبحانه غير موصوف ولا ممنوع انهم ائتموا له الاسامي التي لا تنعري عن
 الصفات والتموت فقالوا انه سميع بالذات بصير بالذات عالم بالذات ونفوا عنه السمع والبصر
 والعلم ولم يعلموا ان هذه الاسامي اذا لزم ذاتها من الذوات لزمته الصفات التي من أجلها وقعت
 الاسامي اذ لو جاز ان يكون علما بغير علم أو سميما بغير سمع أو بصيرا بغير بصر لجاز ان يكون
 الجاهل مع عدم العلم علما والاعمى مع فقد البصر بصيرا والاصم مع غيبوبة السمع سميعا فلما لم
 يجوز ما وصفناه صح ان العالم انما صار عالما لوجود العلم والبصير لوجود البصر والسميع لوجود
 السمع * قال فان قال قائل منهم * انما نفينا عن البصير البصر اذ كان اسم البصير متوجها نحو ذات
 الخالق لانه هكذا شاهدنا ان من كان اسمه البصير لزمه من أجل البصر ان يجوز عليه العمى
 ومن كان اسمه السميع لزمه من أجل السمع ان يجوز عليه الصمم ومن كان اسمه العالم يلحقه من
 أجل العلم ان يجوز عليه الجهل * والله تعالى لا يلحق به الجهل والعمى والصمم فنفيما عنه ما يلزم
 بزواله ضده * يقال له ليس علة وجوب العمى البصر ولا علة وجوب الصمم السمع ولا علة وجوب
 الجهل العلم ولو كانت العلة فيه ما ذكرناه كان واجبا انه متى وجد البصر وجد العمى أو متى
 وجد السمع وجد الصمم أو متى وجد العلم وجد الجهل فلما وجد البصر في بعض ذوي البصر
 من غير ظهور عمى به ووجد السمع كذلك في بعض ذوي السمع من غير وجود صمم يتبعه
 ووجد العلم في بعضهم من غير وجود جهل به صح ان العلة في ظهور الجهل والصمم والعمى
 ليس هو العلم والسمع والبصر بل في قبول امكان الآفة في بعض ذوي العلم والسمع والبصر
 والله تعالى ذكره ليس بعجل الآفة ولا الآفة بداخله عليه فهو اذا كان اسم العالم والسميع

والبصير يتوجه نحو ذاته ذا علم وسمع وبصر فتعالى الله عما أضاف إليه الجهلة المغترون من هذه
الاسامى بأنها لازمة له لزوم لذوات بل هذه الاسامى مما توجه نحو الحدود المنصوبة من العلوى والسفلى
والروحاني والجسماني لمصلحة العباد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قل ويقال لهم ان كان الاستشهاد الذي
استشهدتموه صحيحا فان الاستشهاد الآخر الذي لا يفارق الاستشهاد الاول مثله في باب
الصحة لانكم ان كنتم هكذا شاهدتم ان من كان عالما من أجل علمه أو سميعا من أجل سمعه
أو بصيرا من أجل بصره جاز عليه الجهل والعمى والصمم فنحن كذلك شاهدنا ان من كان عالما
فان العلم سابقه ومن كان بصيرا كان البصر قريبه ومن كان سميعا كان السمع شهيد به فان جاز
لكم ان تعدوا حكم الشاهد على الغائب في أحدهما فتقولوا جاز ان يكون في الغائب عالم بغير
علم وبصير بغير بصر وسميع بغير سمع جاز لنا ان تعدى حكم الشاهد على الغائب في الباب الآخر
فتقول انا وان كنا لم نشاهد عالما بعلم الا وقد جاز عليه الجهل وبصيرا بالبصر الا وقد جاز عليه
العمى وسميعا بالسمع الا وقد جاز عليه الصمم ان يكون في الغائب عالم يعلم لا يجوز عليه الجهل
وبصير بالبصر لا يجوز عليه العمى وسميع بالسمع لا يجوز عليه الصمم والافاء الفصل * ولا سبيل
لهم الى التفصيل بين الاستشهادين فاعرفه * فليتدبر المؤمن المليم كيف الزم هؤلاء الزنادقة
الملاحدة المنافقون الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركي العرب للممتزلة ونحوهم
من نفاة الصفات نفى اسماء الله الحسنى وان تكون اسوه الحسنى لبعض المخلوقات فيكون
المخلوق هو المسمى باسمائه الحسنى كقولهم في الاول والآخرة والظاهر والباطن ان ظاهره هو محمد
الناطق والباطن هو على الاساس ومحمد هو لاول وعلى هو الآخر * وتأويلهم قوله تعالى (بل يدها
مبسوطتان) ان اليد الواحدة هو محمد والآخرى على وقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) ان يديه هما أبو بكر
وعمر لكونهما كانا مع أبي لهب في الباطن فامرهما بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فعجزا عن ذلك فنزل
الله (تبت يدا أبي لهب) وامثال هذه التأويلات المعروفة عن القرامطة وأصل كلامهم استدلالهم
بما يزعمونه من نفى التشبيه والزامهم اسكل من وافقهم على شيء من النفي بطرد مقالته واتباع
لوازمها ولازمها التعطيل الذي يتصدونه قال القرمطي وأيضاً فنزه خالقه عن الصفة والحد
والنعت ولم يجرده عما لا صفة له ولا حد ولا نعت فقد أثبت بما لم يجرده عنه واذا كان إثباته لم يوجد
ينفى الصفة والحد والنعت فقد كان إثباته مهما غير معروف لان ما لا صفة له ولا حد ولا نعت

ليس هو الله بزعمه فقط بل هو والنفس والعقل وجميع الجواهر البسيطة من الملائكة وغيرهم والله تعالى أثبت من ان يكون اثباته مهما لا غير معلوم فذا الاثبات الذي يليق بمجد المبدع ولا يلحقها الاهمال هو نفى الصفة ونفى ان لاصفة ونفى الحدوث ان لا احد اتفق هذه العظمة لمبدع العالمين اذ لا يحتمل ان يكون معه لمخوق شركة في هذا التقديس وامتنع ان يكون الاثبات من هذه الطريق مهما لا يعرفه قل فان قال ان من شريطة القضايا المتناقضة ان يكون أحد طرفيها صدقا والآخر كذبا فقولكم لا موصوفة ولا لا موصوفة قضيتان متناقضتان لا بد لاحدهما من ان تكون صادقة والاخرى كاذبة * يقال له غطت في معرفة القضايا المتناقضة وذلك ان القضايا المتناقضة أحد طرفي النقيض منه موجب والآخر سالب فان كانت القضية كلية موجبة كان نقيضها جزئية سالبة كقولنا كل انسان حي وهو قضية كلية موجبة نقيضه لا كل انسان حي * فلما كان من شرط النقيض من انه لا بد من ان يكون أحد طرفيها موجبة والآخر سالبة رجعنا الى قضيتنا في المبدع هل نجد فيها هذه الشريطة فوجدناها في كلتي طرفيها لم يوجب له شيئا بل كلنا طرفيها سالبتان وهي قولنا لا موصوف ولا لا موصوف فهي اذا لم يناقض بعضها بعضا وانما تناقض القضية في هذا الموضع ان تقول له صفة وان ليس له صفة * أو ان تقول له حد وان لا حد له أو انه في مكان وانه لا في مكان فيلزمنا حينئذ اثبات لاجتماع طرفي النقيض على الصدق فلما اذا كانت القضيتان سالبتين احدهما سلب الصفة اللاحقة بالجسمانيين والاخرى نفى الصفة اللازمة للروحانيين كان من ذلك تجريد الخلق عن سمات المربوبين وصفات المخلوقين * قال فقد صح ان من نزه خالقه عن الصفة والحد والذمت واقع في التشبيه الخفي كما ان من وصفه وحده وادعاه في التشبيه الجلي * قلت فهذا حقيقة مذهب القرامطة وهو قد رد على من وصفه منهم بالنفي دون الاثبات ونفى النفي قل لان في الاثبات تشبيها له بالجسمانيين وفي النفي تشبيها له بالروحانيين وهي العقول والنفوس عندهم انها موصوفة عندهم بالنفي دون الاثبات ولهذا يقولون بسائط ليس فيها تركيب عقلي من الجنس والفصل كما انه ليس فيها تركيب الاجسام وذن هذا المذهب وامثاله اهم بذلك خصوصا من الالتزامات ومعلوم عند من عرف حقيقة قولهم ان هذا القول من افسد الاقوال شرعا وعقلا وابعدها عن مذاهب المسلمين واليهود والنصارى بل مع ما قد حققوه من الفلسفة وعرفوه من مذهب اهل الكلام وادعوه من

المعلوم الباطنة ومعرفة المأويين ودعوى العصمة في ثلثهم وقد قرروا ان لا يكون الجمع بين التقيضين
 فليس في قوائمه محال فبقدر طم وان كان سببهم تقيضين جميعا وكما يقتضيه الجمع بين التقيضين فيمتنع مخلو
 من التقيضين فالتقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ولهذا كان المعتزليون يقسمون الشرطية المنفصلة الى
 مانعة الجمع ومانعة مخلو ومانعة الجمع والمخلو مانعة من الجمع والمخلو كقول القائل الشئ امان
 يكون موجودا واما ان يكون معدوما واما ان يكون ناسبا واما ان يكون منفيا فنفسه لا تستثبات لاربعة
 لكنه موجود فليس معدوما وهو معدوم فليس موجودا وليس موجودا فمعدوم وليس معدوم
 فهو موجود وان ذلك ما كان من الاثبات بمنزلة التقيضين كقول القائل هذا المدد ما شفيع وموت
 فكونه شفيع وموت لا يجتمعان ولا يرتفعان وموت لا يدعو اثبات شئ بخلافه التقيضان لا يجوز
 خلوه عن التقيضين جزا اجتماع التقيضين فيه وهذا مذهب أهل وحدة الاثنين بوحدة الوجود
 كصاحب الفصوص وابن سبعين وابن أبي المنصور وابن العربي والقونوي وأما مشيئة فان قولهم
 وقول القرمطة من مشكاة وحدة ولا توحيدية فليس صحيحا جتمع التقيضين وكذلك
 يذكرون مثل هذا عن الخلاج وخارجنا دخل بغير دكاو يبدون عليه عند دعي القرمطة
 وكان يظهر للشيعة انه منهم ودخل على ابن تومنت رئيس الشيعة ليريه فضايحه بكرامات عجز
 عنها ومقالات أهل الضلال كما استنزه الجمع بين التقيضين ورفع التقيضين جميعا لئلا يكره منهم
 من يعرف لازم قوله فيأثمهم ومن لا يعرف ذلك لكل من لا يجتمعان ولا يرتفعان فهما
 في المعنى تقيضان لئلا يكره هذا ظاهر في وجوده وعدمه وقول معتزلة الذين يقولون
 لا موجود ولا معدوم هو شعبة من مذهب قرمطة وانما الحق في ان لا يست موجودا
 في الاعيان ولا تنفية في لافذهن ومن لا مورثا ولا يرثه لا يكون بمنزلة وجوده المدم كقولنا
 ان المدد ما شفيع واما موت واما ان كل موجودين في شئ يقر في وجوده أو يتدم أحدهم
 على الآخر كل موجودين في شئ نفسه ومما قائم نفسه في كل جسم متحرك ومما كان
 وما حي واما ميت وكل حي في عالم واحد واما جسد واحد قدروا ما عجزوا وجميع واما أصم
 واما عمي واما بصير بل وكذلك كل موجودين فما ان يكون متجانسين وما ان يكون
 متباينين وأما ان هذه القضايا وكل من رد سبب هذين جميعا كان من جنس قرمطة لافذة
 للتقيضين لكن المناقض قد ظهر باللفظ كما قد علم ان يكون ومما لا يكون وقد يظهر

بمعنى كما ذكرنا ، فليس في حيزه ، فلهذا فليرد في غير هذا الموضع . بل قد
زدنا في جواب أسئلة عمدة مقصودنا . لكن لننتقل في تحولنا في جملة

الطريق ثالث في نظرنا في ثبوت السمع والبصر ان السمع والبصر من صفات الكمال
فنحلي السميع البصير . لكن من حيز ليس سميع ولا بصير كما ان الموجود لحى أكمل من
موجود ليس بحى . والموجود معه . لكن من موجود ليس به . وهذا معلوم بضرورة العقل
وذا كانت صفة كل فلو لم يتصف به . لكن لنفسه . ومنه منزلة عن كل نقص وكل كمال محض
لا تنقص فيه فهو جازم عليه . ولا كان جازم عليه من صفات الكمال فهو ثابت له . فلهذا لو لم يتصف
به . لكن ثبوته له . موقوف على غير نفسه فيكون مفتقر الى غيره في ثبوت الكمال له . وهذا ممتنع
ذالما يتوقف كل كمال على نفسه فيثبت من ثبوت نفسه ثبوت الكمال له . وكل ما ينزه عنه فلهذا
يستلزم نقصا . يجب تنزيهه . أيضا . فلو لم يتصف بهذا الكمال . لكن سميع البصير من مخلوقاته
أمكن منه . ومن المعلوم في بداية المقول ان مخلوق لا يكون . لكن من نطاق الكمال
لا يكون لا باهر وجوده . والمعلوم ان كل موجود ليس فيه كمال . وكل موجود للمخلوق فمتخالفة . ويمتنع
ان يكون موجودا . لكن من وجوده . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المستقر في بداية المقول ان
وجود الله . لكن من وجود المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
لكن من وجود المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
غير هذا الموضع . ويدل على ذلك سبحانه . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
وهو الطريق الى كمال الله . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
فخلق أولى . وكل نفس . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
مثلا من نفسك . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
نفسك . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
النوم من سوء . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
بالآخرة مثل السوء . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
وتسبب . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .
الكامل . فلهذا لا يوجد كمال . لكن من المعلوم . فلهذا لا يوجد كمال .

الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) ففى السنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية وكذلك قوله (وماربك بظلام للعبيد) استلزم ثبوت العدل وقوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء) استلزم كمال العلم ونظائر ذلك كثيرة . وأما المدم المحض فلا كمال فيه وإذا كان كذلك فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين أحدهما ان الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للمدم المحدث المربوب * الثاني ان كل كمال فيه فاعما استفادته من ربه وخالقه فإذا كان هو مبدعا للكمال وخالفه كان من المعلوم بالاضطرار ان معطى الكمال وخالقه ومبدعه أولى بان يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى وقد قال الله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منارزة حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وهذا المثل وان كان يفيد الدعاء الى عبادة الله وحده دون عبادة ماسواه ونفى عبادة الاوثان لوجود هذا الفرق * فاذا علم انتفاء التساوى بين الكامل والنقص وعلم ان الرب اكمل من خلقه وجب ان يكون اكمل منهم واحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والاخرى

(الطريق الرابع فى اثبات السمع والبصر والكلام) ان نفى هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شئ ولا يخلقه ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى كما قل الخليل (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفنى عنك شئ) وقال ابراهيم لقومه (هل يسمعونك اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وقال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) وقال تعالى (فقال هذا الهى واله موسى فنفسى أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وهذا لانه من المستقر فى الفطر ان ما لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا كما ان ما لا يفنى شئ ولا يهدي ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا ومن المعلوم ان خالق العالم هو الذى ينفع عباده بالرزق وغيره ويهديهم وهو الذى يملك ان يضرهم بأنواع الضرر فان هذه الامور من جملة

الحوادث التي يحدثها رب العالمين فلو قدر انه ليس محدثا لها كانت حادثة بغير محدث أو كان محدثها غيره وإذا كان محدثها غيره فاقول في احداث ذلك الغير كاقول في سائر الحوادث فلا بد ان تنتهي الى قديم لا محدث ولذلك من المستقر في العقول ان ما لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال لانه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر احدا ولا يأمر بامر ولا ينهى عن شيء ولا يخبر بشيء فان لم يكن كالحى الأعمى الأصم كان بمنزلة ما هو شرمه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم ونفى قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب الى اتصاف المعلوم ممن يقبلها واتصف باضدادها اذ الانسان الأعمى أكل من الحجر والانسان الاكلم أكل من التراب ونحو ذلك مما لا يوصف بشي من هذه الصفات وإذا كان نفي هذه الصفات معلوما بالفطرة انه من أعظم النقائص والعيوب وأقرب شها بالمعوم كان من المعلوم بالفطرة ان الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ما ينفي عنه وان اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنات . وهذه الطريق ليست الثانية ولا الثالثة فان الثانية مبنية على أنه حتى فلا بد من اتصافه بها أو بضدها . والثالثة مبنية على انها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها وأما هذه فبنية على أن نفي هذه الصفات نقائص ومعائب ومذام يمتنع وصف الرب بها . والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

﴿ ثم قال المصنف والدليل على نبوة الانبياء المعجزات والدليل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومناه ﴾ قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الطريقة هي من أتم الطرق عند أهل الكلام والنظر حيث يقررون نبوة الانبياء بالمعجزات ولا ريب ان المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الانبياء لكن كثير من هؤلاء بل كل من بنى ايمانه عليها يظن أن لا تعرف نبوة الانبياء الا بالمعجزات ﴿ ثم لهم في تقرير دلالة المعجزة على الصديق طرق متنوعة وفي بعضها من التنازع والاضطراب ما سنبه عليه والتزم كثير من هؤلاء انكار خرق العادات لتسير الانبياء حتى انكروا كرامات الاولياء والسحز ونحو ذلك .

وللنظر هنا طرق متعددة منهم من لا يجعل المعجزة دليلا بل يجعل الدليل استواء ما يدعو اليه وصحته وسلامته من التناقض كما يقوله طائفة من النظار . ومنهم من يوجب تصديقه بدون هذا

وهذا . ومنهم من يحمل المعجزة دليلا ويحمل أدلة أخرى غير المعجزة وهذا أصبح الطريق ومن لم يحمل طريقها الا المعجزة اضطر لهذه الامور التي فيها تكذيب لحق أو تصديق لباطل ولهذا كان السلف والائمة يذمون الكلام المبتدع فان أصحابه يخطئون اما في مسائلهم واما في دلائلهم فكثيرا ما يثبتون دين المسلمين في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسمه على اصول ضعيفة بل فاسدة ويلتزمون لذلك نوازم يخافون بها السمع الصحيح والعقل الصحيح وهذا حال الجهمية من المعتزلة وغيره حيث أثبتوا حدوث العالم بحدوث الاجسام وأثبتوا ذلك بحدوث صفاتها التي هي لا عرض فاضطرر ذلك الى القول بحدوث كل موصوف فنفوا عن الله الصفات وقالوا بأن القرآن مخلوق وأنه لا يرى في الآخرة وقالوا إنه لا مبين ولا محايث وأمثال ذلك من مقالات النفاة التي تستلزم التعطيل كما قد بسطنا في غير هذا الموضع * وليس الامر كذلك بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة فان المقصود انما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه فانه اذا قال اني رسول الله فهذا الكلام اما أن يكون صدق واما أن يكون كذب * وان شئت قلت هذا خبر فاما أن يكون مطابقا للخبر واما أن يكون مخالفا له سواء كانت مخالفته له على وجه العمد أو الخطأ اذ قد يظن الرجل في نفسه أو غيره أنه رسول الله غير متعمد للكذب بل خطأ وضلال مثل كثير ممن يمتثل له الشيطان ويقول اني ربك ويخطبه بشيء وقد يقول له أحملت لك ما حرمت على غيرك وانت عبدى ورسولي وانت أفضل أهل الارض وأمثال هذه الاكاذيب فان مثل هذا قد وقع لكثير من الناس * فاذا كان مدعى الرسالة لم يكن صدقة فلا بد أن يكون كاذب عمدا أو ضلالا فلتميز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة وهو لو أن مدعى الرسالة اما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم واما أن يكون من أقص الخلق وأذلهم ولهذا قال أحد اكابر عقيد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغهم رسالة ودعاهم الى الاسلام والله لا أقول لك كلمة واحدة ان كنت صادقا فانت أجل في عيني من أن أرد عليك ون كنت كاذبا فانت أحقر من أن أرد عليك فكيف يشبه أفضل الخلق وأكملهم بأقص الخلق وأذلهم . و

أحسن قول حسان

لو لم تكن فيه آيت مبينة كانت بديهة تأنيث بخبر

ومن أحد ادعى النبوة من الكذابين لا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور
 واستحوذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز. ومن أحد ادعى النبوة من الصادقين
 لا وقد ظهر عليه من تعم الصدق ونبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز عن الرسول
 لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أمور * والكذاب يظهر في نفس
 ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة والصادق يظهر في نفس
 ما يأمر به وما يخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة بل كل شخصين ادعى أمرا
 من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب
 هذا من وجوه كثيرة إذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين
 عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال (عليكم بالصدق فإن الصدق
 يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى
 يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي
 إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) ولهذا قال تعالى
 (قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم * يقولون السمع أ أكثره كاذبون.
 والشمراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون) بين سبحانه
 أنه ليس بكاهن تنزل عليه الشياطين ولا شاعر حيث كانوا يقولون سحر وشاعر * فبين أن
 الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر يقولون الهم السمع وأ أكثرهم كاذبون فهو لاء الكاهن ونحوه
 وإن كانوا يخبرون أحيانا بشيء من المغيبات ويكون صدقا فهم من الكذب والفجور ما يبين
 أن الذي يخبرون به ليس عن ملك وليسوا بنبي * ولهذا لما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابن
 صيد قد خبأت لك خبيثا قل هو لدخ * قال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أخسا فإن تعدو
 قدرك) معنى إنما أنت كاهن كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني صدق وكذب وقل أرى
 عرشا على الماء وذلك هو عرش الشيطان كما ثبت في ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 وبين الله تعالى أن الشمراء يتبعهم الغاوون * والغاوي الذي يتبع هواه وشهوته وإن كان ذلك مضرا
 له في العاقبة قال تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) فهذه صفة الشمراء
 كما أن تلك صفة من تنزل عليه الشياطين فمن عرف لرسول وصدقه ووفاه ومطابقة قوله لعلمه علم

علما يقينا انه ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب * والناس يميزون بين الصادق والكاذب بانواع
 من الادلة حتى في المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة وعم النجور والطب
 والفقه وغير ذلك فما من أحد يدعى بعلم بصناعة أو مقالة الا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب
 له وجوه كثيرة وكذلك من اظهر قصدا وعملا لمن يظهر الديانة والامانة والنصيحة والمحبة وامثال
 ذلك من الاخلاق فانه لا بد ان يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة * والنبوة مشتملة على
 علوم واعمال لا بد ان يتصف الرسول بها وهي اشرف العلوم واشرف الاعمال فكيف يشبهه
 الصادق فيها بالكاذب ولا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة لاسيما والعالم
 لا يخلو من آثار نبي من لدن آدم الى زماننا وقد علم جنس ما جاءت به الانبياء والمرسلون وما
 كانوا يدعون اليه ويأمرون به ولم تزل آثار المرسلين في الارض ولم تزل عند الناس من آثار
 الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل * فلو قدر
 ان رجلا جاء في زمان امكان بعث الرسل وامر بالشرك وعبادة الاوثان واباحة الفواحش والظلم
 والكذب ولم يأمر بعبادة الله ولا باليمان باليوم الآخر هل كان مثل هذا يحتاج ان يطالب بمعجزة
 أو يشك في كذبه انه نبي ولو قدر انه اتى بما يظن انه معجزة لعلم انه من جنس المخاريق أو الفتن
 والمحنة * ولهذا لما كان لدجل يدعى لاهية لم يكن ما يأتى به دالا على صدقه للعالم بان دعواه ممتنعة
 في نفسها وانه كذاب وكذلك من نشأ في بني اسرائيل معروفينهم بالصدق والبر والتقوى بحيث
 قد خبر خبره باطنة يعلم منها تمام عقله ودينه ثم اخبر بان الله نبأه وارسله اليهم فان هذا
 لا يكون أولى بالرد من أن نخبرنا الرجل الذي لا يشك في عقله ودينه وصدقه انه رأى رؤيا * وهذا
 المقام يشبه من بعض الوجوه تنازع الناس في ان خبر الواحد هل يجوز ان يقترن به من القرائن
 والضامم ما يفيد به العلم ولا ريب ان المحققين من كل طائفة على ان خبر الواحد والاثنين والثلاثة
 قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه الضروري بخبر المخبر بل القرائن وحدها فتفيد العلم الضروري
 كما يعرف الرجل رضا الرجل وغضبه وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بامور
 تظهر على وجهه قد لا يمكنه التعبير عنها كما قال تعالى (ولو نشاء لأريناكم فكم تعلمونهم) ثم قال
 (ولتعرفونهم في لحن القول) فافهم انه لا بد ان يعرف المفاقيين في لحن القول وعاق معرفتهم بالسيا
 على المشيئة لان ظهور ما في نفس الانسان من كلامه أبين من ظهوره على صفحات وجهه .

وقد قيل ما امر احد سريرة الاظهرها الله على صفحات وجهه وقلبات لسانه فاذا كان مثل هذا يعلم به ما في نفس الانسان من غير اخبار فذا اقترن بذلك اخباره كان أولى بحصول العلم ولا يقول عاقل من العقلاء ان مجرد خبر الواحد أو خبر كل واحد يفيد العلم بل ولا خبر كل خمسة أو عشرة بل قد يخبر الف أو أكثر من الف ويكونون كذابين اذا كانوا متواضعين واذا كان صدق المخبر أو كذبه يعلم بما يقترن به من القرآن بل في الحن قوله وصفحات وجهه ويحصل بذلك علم ضروري لا يمكن للمرء ان يدفعه عن نفسه فلا يفيد دعوي المدعي انه رسول الله كيف يخفى صدقه وكذبه أم كيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوده من الأدلة لا تعد ولا تحصى واذا كان الكاذب نفاقاً يأتي من وجهين إما ان يعتمد الكذب وإما ان يلبس عليه كمن يأتيه الشيطان فمن المعلوم لذي لا ريب فيه ان من الناس من يعلم منه انه لا يعتمد الكذب بل كثير ممن خبره الناس وجربوه من شيوخهم ومعاملهم يعلمون منهم علماً قاطعاً انهم لا يعتمدون الكذب وان كانوا يعلمون ان ذلك ممكن فليس كل ما علم امكانه يجوز وقوعه فانه علم ان الله قادر على قلب الجبال ياتون والبحار دما وتعلم انه لا يفعل ذلك وتعلم من حال البشر من حيث الجملة انه يجوز ان يكون احدهم يهودياً ونصرانياً ونحو ذلك وتعلم مع هذا ان هذا لا يقع بل ولا يقع من الاشخاص وان من اخبرنا بوقوعه منهم كذباً قطعاً ونحن لا ننكر ان الرجل قد يتغير ويصير متعمداً للكذب بعد ان لم يكن كذلك لكن اذا استحال وتغير ظهر ذلك لمن يخبره ويطلع على موره ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم انه الصادق البار قل لها لما جاءه الوحي اني قد خشيت على عقلي فتأت كلا والله لا يخزيك الله انك اتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فهو لم يخف من تعمد الكذب فانه يعلم من نفسه صلى الله عليه وسلم انه لم يكذب لكن خاف في أول الامر ان يكون قد عرض له عارض سوء وهو المقام الثاني فذكرت خديجة ما ينبغي هذا وهو كان مجبولاً عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم والاعمال وهو الصدق المستلزم للعدل والاحسان الى الخلق ومن جمع فيه "صدق" و"عدل" و"احسان" لم يكن مما يخزيه الله وصلة الرحم وقري الضيف وحمل الكل واعطاء المعدوم والاعانة على نوائب الحق هي من أعظم أنواع البر والاحسان وقد علم من سنة الله ان من جبله الله على الاخلاق الحمودة ونزهه عن الاخلاق المذمومة فانه لا يخزيه وأيضاً انبوة في الآدميين هي من عهد

آدم عليه السلام فإنه كان نبيا وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار * وقد علم جنس ما يدعو اليه الرسل وجنس أحوالهم فلمدعى الرسالة في زمن الامكان اذا أتى بما ظهر به مخالفته للرسل علم أنه ليس منهم * واذا أتى بما هو من خصائص الرسل علم أنه منهم لا سيما اذا علم أنه لا بد من رسول منتظر * وعلم أن لذلك الرسول صفات متعددة تميزه عن سواه فهذا قد يبلغ بصاحبه الى العلم الضروري بأن هذا هو الرسول المنتظر ولهذا قال تعالى ﴿الذين آمنوا﴾ الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴿

﴿والمسلك الاول﴾ النوعي هو مما استدل به النجاشي على نبوته فإنه لما استخبرهم عما يخبر به واستقر أم القرآن فقرؤه عليه قال ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قبله ورقة بن نوفل لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه وكان ورقة قد تنصر وكان يكتب الانجيل بالعبانية فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ما يقول فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فقال هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى وان قومك سيخرجونك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أوخرجني ثم فقال نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشأ ورقة أن توفي

﴿والمسلك الثاني الشخصي﴾ استدل به هرقل ملك الروم فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب اليه كتابا يدعو فيه الى الاسلام طلب هرقل من كان هناك من العرب وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة الى غزاة فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فسأل أبو سفيان وأمر الباقين ان كذب أن يكذبه فصار يجدهم موافقين له في الاخبار فسأل هل كان في آية ملك فقالوا لا * وهل قال هذا القول أحد قبله قالوا لا * وسألهم أهو ذونب فيكم قالوا نعم * وسألهم هل كنتم تهونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقالوا لا ما جربنا عليه كذبا وسألهم هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرفهم فذكروا ان الضعفاء اتبعوه * وسألهم هل يزيدون أم ينقصون فذكروا انهم يزيدون * وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه فقالوا لا * وسألهم هل قاتلتموه قالوا نعم * وسألهم عن الحرب بينهم وبينه فقالوا بدال علينا المرة وندال عليه الاخرى * وسألهم هل يندر فذكروا انه لا يندر * وسألهم بماذا يأمركم فقالوا يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا

بالصلاة والصدق والعفاف أو الصلة فهذه أكثر من عشر مسائل * ثم بين لهم مافي هذه المسائل
 من الدلالة وأنه سألتهم عن أسباب الكذب وعلاماته فرآها منتفية وسألتهم عن علامات الصدق
 فوجدوها ثابتة فسألتهم هل كان في آياته ملك فقالوا لا قال قلت فلو كان في آياته ملك لقات رجل
 يطلب ملك أبيه وسألتك هل قال هذا القول فيكم أحد قبله فقلت لا فقلت لو قال هذا القول أحد
 قبله لقات رجل إنتم بقول قيل قبله ولا ريب أن اتباع الرجل لعادة آياته واقتدائه بمن كان قبله
 كثير إما يكون في الآدميين بخلاف الابتداء بقول لم يعرف في تلك الأمة قبله وطلب أمر لا يناسب
 حال أهل بيته فإن هذا فيل في العادة لكنه قد يقع ولهذا أردفه بقوله فهل كنتم تهملونه بالكذب
 قبل أن يقول ما قال فقالوا لا قل فقد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب
 فيكذب على الله وذلك أن مثل هذا يكون كذبا محضا يكذبه لغير عادة جرت وهذا لا يفعله إلا
 من يكون من شأنه أن يكذب فإذا لم يكن من خلقه الكذب قط بل لا يعرف منه إلا الصدق
 وهو يتورع أن يكذب على الناس كان تورعه عن أن يكذب على الله أولى وأحق والانسان قد
 يخرج عن عادته في نفسه إلى عادة بني جنسه فإذا انتفى هذا وهذا كان هذا أبعد عن الكذب
 وأقرب إلى الصدق ثم أردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق فقال وسألتكم أضعفاء الناس
 يتبعونه أم أشرافهم فكنتم ضعفاؤهم وجم اتباع الرسل قال فهذه علامات من علامات الرسل وهو
 اتباع الضعفاء له ابتداء قل الله تعالى حكاية عن قوم نوح (قلوا أنؤمن لك واتبك الازذلون)
 وقالوا (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) وقال تعالى في قصة صالح (وقال الملأ الذين
 استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا أنا بما أرسل
 به مؤمنون * قل الذين استكبروا أنا بالذي آمنتم به كفرون) وقال تعالى في قصة شعيب (قال الملأ
 الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعبدون في ملتنا
 قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا أن عدنا في ملتكم بعد أن نجانا الله منها وما يكون
 لنا أن نعبد فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين
 قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) ثم قال هرقل وسألتكم أيزيدون أم ينقصون فقلتم بل يزيدون
 وكذلك الايمان حتى يتم وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطه له بعد أن يدخل فيه فقلتم لا
 وكذلك الايمان إذ خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد فسألتهم عن زيادة أتباعه ودوامهم

على اتباعه فاخبروه انهم يزيدون ويدومون وهذا من علامات الصدق والحق فان الكذب والباطل
 لا بد أن ينكشف في آخر الامر فيرجع عنه اصحابه ويمتنع عنه من لم يدخل فيه ولهذا أخبرت
 الانبياء المتقدمون ان المتنبي الكذاب لا يدوم الا مدة يسيرة وهذه من بعض حجج ملوك
 النصارى الذين يقال انهم من ولد قيصر هذا أو غيرهم حيث رأى رجلا يسب النبي صلى الله
 عليه وسلم من رؤس النصارى ويرميه بالكذب فجمع علماء النصارى وسألهم عن المتنبي الكذاب كم
 تبقى نبوته فاخبروه بما عندهم من النقل عن الانبياء ان الكذاب المفترى لا يبقى الا كذا وكذا سنة
 لمدة قرية اما ثلاثين سنة أو نحوها فقال لهم هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة أو ستمائة سنة
 وهو ظاهر مقبول متبوع فكيف يكون هذا كذابا ثم ضرب عنق ذلك الرجل وسألهم هرقل عن
 محاربه ومسالته فاخبروه انه في الحرب تارة يغلب كما غلب يوم بدر وتارة يغلب كما غلب يوم أحد
 وانه اذا عاهد لا يفدر فقال لهم وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه فقلتم إنها دُول يدال علينا
 المرة وندال عليه الاخرى وكذلك الرسل تبلى وتكون العاقبة لها قال وسألتكم هل يفدر فقلتم
 إنه لا يفدر وكذلك الرسل لا تفدر فهو لما كان عنده من علمه بمادة الرسل وسنة الله فيهم أنه
 تارة ينصرهم وتارة يبتليهم وانهم لا يفدرون علم أن هذا من علامات الرسل فان سنة الله في
 الانبياء والمؤمنين أنه يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر كما في الصحيح عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ولذي نفس بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا
 له) وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر
 فكان خيرا له والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدلة المدعو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال
 (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلنون ان كنتم مؤمنين * ان يحبسكم فرح فقد مس القوم
 قرح مثله وتلك الايام تداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب
 الظالمين * وليحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فمن الحكيم تمييز المؤمن عن غيره فانهم اذا
 كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم اذ الجميع يظهرهم الموالاة فاذا غلبوا ظهر
 عدوهم قال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
 وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قلوبوا لو تعلم قتلنا لا تبعناكم هم للكفر يومئذ
 أقرب منهم للإيمان يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون * الذين

قالوا لاخوانهم وقعدوا لو طاعونا ما ماتوا وماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين (وقال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) الى قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله واثن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين . وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) وقال تعالى (ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وأمثال ذلك ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء فان منزلة الشهادة منزلة عليّة في الجنة ولا بد من الموت فموت العبد شهيداً أكمل له وأعظم لأجره وثوابه ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه والله لا يحب الظالمين . ومن ذلك أن يحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب فانهم اذا انتصروا دائماً حصل للنفوس من الطغيان وضعف الايمان ما يوجب لها العقوبة والهوان قال تعالى (انما نغلي لهم ليزدادوا اثماً) وقال تعالى (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيمها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجفها مرة واحدة وسئل صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء فقال الانبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه رقة خفف عنه وان كان في دينه صلابة زيد في بلائه ولا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وأهله وماله حتى يلقي الله عليه خطيئة وقد قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وفي الأثر فيما روي عن الله تعالى يا ابن آدم البلاء يجمع بيني وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك وفي الأثر أيضا أنهم اذا قالوا اللهم ارحمهم يقول الله كيف ارحمه من شيء به ارحمه وقد شهدنا ان المسكر اذا نكسر خشمه لله وذل وتاب الى الله من الذنوب وطاب النصر من الله وبري من حوله وقوته متوكلا على الله ولهذا ذكرهم الله بحالهم يوم بدر وبحالهم يوم حنين فقال (واتقوا الله بغير علم انتم اذلة فاتقوا الله لعلمكم تشكرون) وقال تعالى

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت
عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم انزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين
وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وشواهد هذا الاصل
كثيرة وهو امر يجهده الناس بقلوبهم ويخشونه ويعرفونه من انفسهم ومن غيرهم وهو من المعارف
الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها والاخبار المتواترة لمن سمعها * ثم ذكر حكمة أخرى فقال
(ويمحق الكافرين) وذلك ان الله سبحانه انما يعاقب الناس باعمالهم والكافر اذا كانت له حسنات
اطعمه الله بحسناته في الدنيا فذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره والكفار اذا ادبلوا يحصل لهم من الطغيان
والعدوان وشدة الكفر والتكذيب ما يستحقون به المحق في اديالهم ما يحقهم الله به وأما
القدر فان الرسل لا تغدرا أصلا اذ القدر قرين الكذب كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خاب وفي
الصحيحين أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت
فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا
عاهد غدروا فخاصم فجر (قلت) القدر ونحوه داخل في الكذب كما قال تعالى (ومنهم من عاهد
الله ائتنا من فضله لنصدقن وان نكون من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم
معرضون فعقبهم نفاق في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون)
وقال تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون للاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ائنا أخرجهم
لنخرجن معهم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا ون قوتهم لنصرنكم والله يشهد انهم الكاذبون) ائنا
أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم إيوان الدبار ثم لا ينصرون)
فالقدر يتضمن كذب في المستقبل والرسل صلوات الله عليهم منزهون عن ذلك فكان هذا من
العلامات * قال وسألتك بما يأمركم فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة وبينهاكم عما كان يعبد آباؤكم وهذه صفة نبي وقد
كنت أعلم ان نبياً يبعث ولم أكن أظن انه منكم ولوددت اني أخلص اليه ولولا ما أنا فيه من الملك
لذهبت اليه وان يكن ما يتول حقا فسيملك موضع قديمي هاتين وكان المخاطب بذلك أبو سفيان
ابن حرب وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضا وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان

فقلت لأصحابي ونحن خرج لقد أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر وما
زلت موقنا بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام وأنا كاره
﴿قلت﴾ فمثل هذا السؤال والبحث أفاده هذا العاقل اللبيب علما جازما بأن هذا هو النبي الذي
ينتظره وقد اعترض على هذا بعض من لم يدرك غور كلامه وسؤاله كلما زرى ونحوه وقال أنه بمثل
هذا لا تعلم النبوة وإنما تعلم بالمعجزة وليس الأمر على ما قل بل كل عاقل سليم الفطرة إذا سمع
هذا السؤال والبحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به
هل هو صادق أو كاذب وأنه بهذه الأمور تميز له ذلك ومما ينبغي أن يعرف أن ما يحصل في
القلب لمجموع أمور قد يستغل بعضها به بل كل ما يحصل للانسان من شبع وري وسكر
وفرح وغم بأمور مجتمعة لا يحصل بعضها لكن بعضها قد يحصل بعض العلم وكذلك العلم
بمجرد الاخبار وبما جربه من المحربات وبما في نفس الانسان من الأمور فمن الخبر الواحد
يحصل في القلب نوع ظن ثم الآخر يقويه الى أن ينتهي الى العلم حتى يتزايد فيقوي
وكذلك ما يجربه الانسان من الأمور وما يراه من أحوال الشخص وكذلك ما يستدل به
على كذبه وصدقه وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى أبقي في العالم الآثار الدالة على ما فعله
بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة وما فعله بكذبيهم من العقوبة وذلك أيضا معلوم بالتواتر
كتواتر الطوفان وغرق فرعون وجنوده والله تعالى كثيرا ما يذكر ذلك في القرآن كقوله
(وإن يكذبوك فقد كذبت قبلكم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب
مدین وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكيرهم وكأين من قرية
أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيرا في
الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها إنها لا تعي الابصار واسكن تعي
القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن * أشد منهم بطشا فنقبوا في
البلاد هل من محيص * إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وقال تعالى
كذبت قبلكم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق فآخذتهم فكيف كان عقابهم) الى قوله تعالى (أولم يسيرا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الارض فآخذهم الله

بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم
 الله انه قوي شديد العقاب) الى قوله سبحانه (ان لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
 يقوم الاشهاد) الى قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
 نقصص عليك وما كان لرسول ان يأتي بآية الاذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر
 هنالك المبطلون) الى قوله تعالى (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
 قبلهم كانوا أكثرهم وأشد قوة وآثرا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم
 رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * فلما رأوا بأسنا قلوا إنما الله
 وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فهم يكلفهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد دخلت
 في عباده وخسر هنالك الكافرون) ولما ذكر في سورة الشعراء قصص الانبياء نبيا بعد نبي كقصة
 موسى و ابراهيم ونوح ومن بعده يقول في آخر كل قصة (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
 وان ربك لهو العزيز الرحيم) كقوله تعالى (فلما ترأى الجمعان قل أصحاب موسى اني لمدركون * قل كلا
 ان معي ربي سيهدين * فوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحرة ففاق فكان كل فرق كالطود
 العظيم * وازلفنا ثم الآخرين * وانجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين * ن في ذلك
 لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وكذلك قال في آخر كل قصة الى ان
 قال في قصة شعيب (فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم * ن في ذلك لآية وما
 كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد
 وفرعون ذولاوتاد * وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة وأهلك لا حزب * ان كل الاكذب الرسل
 فحق عقاب) وقال تعالى في قوم شعيب (فكذبوه فاخذتهم الزجفة فاصبحوا في دارهم جائعين
 وعادا وثمود وقد تبين الحكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل وكانوا
 مستبصرين * وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فستكبروا في الارض وما
 كانوا سابقين * فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم
 من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * مثل
 الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت
 لو كانوا يعلمون * ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ * وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال

نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقال تعالى (ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا
الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم
وذلك إفكهم وما كانوا يفكرون) فهو سبحانه يذكر ما ظهر للموحدين من مساكنهم التي
كانت حول أهل مكة فن عامة من قص الله نبأه من الرسل وأمرهم بعثوا حول مكة
كهود باليمن وصالح بالحجر من ناحية الشام ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ويونس ولوط وأنبياء
بنى إسرائيل بارض الشام ومصر والجزيرة وما يليها من العراق وقال تعالى لما قص قصة
قوم لوط (فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأطردنا عليهم حجارة من سجيل ان في
ذلك آيات للمتوسمين) واهل اسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين * وان كان اصحاب الايكة
اظالمين * فانتقمنا منهم وانهم لبالامام مبين) وقال تعالى (وان لوط ائمن المرسلين * اذ نجيناه وأهله
أجمعين * لا عجوز في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وانكم لتمررون عليهم مصبحين وبالليل افلا
تعقلون) وقال تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين *
وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وقال تعالى (أم تركيف فعل بك باصحاب القيل *
ألم يجعل كيديهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كصصف
ما كول) وقال تعالى (لا يلاف قريش * لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت
الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وقال تعالى (قد كان لكم آية في فتنين التتافئة يتناتل
في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك
لعبرة لاولى الابصار) وقال تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي
الابصار) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى افلم يسيرا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون *
حتى اذا استأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاء نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن
القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الاباب * * كان حديث يفتری واسكن تصديق
الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ومثل هذا في القرآن متعدد

في غير موضع يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن العاقبة وقصص من كفر بهم وكذبهم وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة وهذا من اعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم وكذب من خالفهم وخفوره ثم انه سبحانه بين ان ذلك يعلم بالبصر والسمع أو بهما فالبصر والمشاهدة لمن رأى أو رأى آثارهم الدالة عليهم كمن شاهد اصحاب القيل وما احاط بهم ومن شاهد آثارهم بارض الشام واليمن والحجاز وغير ذلك كآثار اصحاب الحجر وقوم لوط ونحو ذلك * والسمع فبالاخبار التي تفيد العلم كتواتر الاخبار بما جرى في قصة موسى وفرعون وغرق فرعون في القلزم وكذلك تواتر الاخبار بقصة الخليل مع النمرود وتواتر الاخبار بقصة نوح واغراق أهل الارض وامثال ذلك من الاخبار المتواترة عند أهل المال وغير أهل المال مع ان في بعض قصص من تواترت به هذه الاخبار ما يحصل العلم بخبرهم * واشترك البصر والسمع كما يشاهد بعض الآثار من تواتر الاخبار ومما بين الحال كما نشاهد السفن ويعلم بالخبر ان ابتداءها كان سفينة نوح كما قال تعالى (أولم يروا انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقوله تعالى (الما طنى الماء حملناكم في الجارية * لنجمها لكم نذكرة وتميها اذن واعية) وكذلك نشاهد أرض الحجر وما فيها من البيوت المنقورة في الجبال ونعلم بالخبر تفصيل الحال وامثال ذلك *

(وبالجملة) فالعلم بانه كان في الارض من يقول بانهم رسل الله وان اقواما اتبعوهم وان اقواما خالفوهم وان الله نصر الرسل والمؤمنين وجعل العاقبة لهم وعاقب اعداءهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلها ونقل هذه الامور أظهر وأوضح من نقل اخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها واخبار اليونان وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية كقراط وجالينوس وبطليموس وسقراط وافلاطون وأرسطو وأتباعه فكل عاقل يعلم ان نقل اخبار الانبياء وأممهم واعدائهم أكثر وأكثرت نقل الخبر مثل هؤلاء فان اخبار الانبياء وتباعهم ينقلها من أهل المال من لا يحصى عدده الا الله ويدونونها في الكتب وأهلها من أعظم الناس تدنياً وجوب الصدق وتحريم الكذب في العادة المشتركة بينهم وبين سائر بني آدم ما يمنع اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب بل ما يمنع اتفاقهم على كتمان ما توفروا لهمم والدواعي على نقله وفي عاداتهم الخاصة ودينهم الخاص برهان آخر اخص من الاول وأكمل وهذا معلوم على سبيل التفصيل من حال أمتنا فانا نعلم عن ضرورياً بالنقل المتواتر من عادة

ساف الامة ودينهم الموجب للصدق والبيان المانع من الكذب والكتمان ما يوجب علما ضروريا لما بما تواتر لنا عنهم وبانتفاء أمور لو كانت موجودة لنقلوها وأهل الكتابين قلنا عندهم من التواتر بحمل الامور ما يحصل به المقصود في هذا الموضع وان كان قد يحكى كذب أو كتمان في بعض التفاصيل من أهل الكتابين قبلنا وفي بعض أمتنا فهذا هو أقل بكثير مما يقع من الكذب والكتمان بأخبار الفرس واليونان والهند وغيره ممن ينقل أخبار ملوكهم وعلمائهم ونحو ذلك وما من عاقل يسمع الخبر عن هؤلاء وعن هؤلاء كما هو موجود في هذا الزمان في الكتب والاسنة الا ويحصل له من العلوم الضرورية باحوال الانبياء وأوليائهم وأعدائهم أعظم مما يحصل من العلوم باحوال ملوك الفرس والروم وعلمائهم وأوليائهم وأعدائهم * وهذا بين والله الحمد ولولا أن هذا الجواب انما كان القصد به الكلام على هذه العقيدة المختصرة لكان البسط لى في هذا الموضع أولى من ذلك * فان هذه المقامات تحتل بسطا عظيما لكن نهنا على مقدمات نافذة فان أكثر أهل الكلام مقصرون في حجج الاستدلال على تقرير ما يجب تقريره من التوحيد والنبوة تقصيرا كثيرا جدا كما أنهم كثيرا ما يخطئون فيما يذكرونه من المسائل ومن لا يعرف الحقائق يظن أن ما ذكرناه هو الغاية في أصول الدين . والنهاية في دلائله ومسائله فيورثه ذلك مخالفة الكتاب والسنة بل وصريح العقل في مواضع ويورثه استضعاف الكثير من أصولهم وشكا فيما ذكرناه من أصول الدين واسترابة بل قد يورثه ترجيح الأقوال من يخالف الرسل من متفلسفة وصابئين ومشركين ونحوهم حتى يبقى في الباطن منافقا زنديقا وفي الظاهر متكلما يذب عن النبوات * ولهذا قلنا أحمد وغيره ممن قال من السلف علماء الكلام زنادقة * وما ارتدى أحد بالكلام الا كان في قلبه غل على أهل الاسلام لانهم بنوا أمرهم على أصول فاسدة أوقفهم في الضلال * وليس هذا موضع بسط هذا * وقد بسطنا في غير هذا الموضع (والمقصود هنا) أن طرق العلم بالرسالة كثيرة جدا متنوعة ونحن اليوم اذا علمنا بالتواتر أحوال الانبياء وأوليائهم وأعدائهم علمنا علمنا يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجود متعددة (منها) أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم أخبارا كثيرة في أمور كثيرة وهي كلها صادقة لم يقع في شيء منها تخلف ولا غلط بخلاف من يخبر به من ليس متبعاهم ممن تنزل عليه الشياطين ويستدل على ذلك بالاحوال الفلكية وغيره

﴿وهؤلاء﴾ لا بد أن يكونوا كثيرين المالبس أخبار الكذب وأن صدقوا أحيانا ﴿ومن ذلك﴾ أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم وأهلك أعدوهم إذا عرف الوجه الذي حصل عليه كحصول الفرق لفرعون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى وقومه كان هذا مما يورث علما ضروريا أن الله تعالى أحدث هذا نصر موسى عليه السلام وقومه ونجاة لهم وعقوبة لفرعون وقومه ونكالا لهم وكذلك أمر نوح والخليل عليهما السلام وكذلك قصة القيل وغير ذلك ﴿ومن الطرق أيضا﴾ أن من تأمل ما جاء به الرسل عليهم السلام فيما أخبرت به وما أمرت به علم بالضرورة أن مثل هذا لا يصدر إلا عن أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب مفتر على الله يخبر عنه بالكذب الصريح أو يخطئ جاهل ضال يظن أن الله تعالى أرسله ولم يرسله وذلك لأن فيما أخبروا به وما أمروا به من الأحكام والاتقان وكشف الحقائق وهدى الخلائق وبيان ما يعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلا ما يبين أنهم من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باینوا بها أعلم الخلق ممن سواهم فيمتنع أن يصدر مثل ذلك عن جاهل ضال وفيها من الرحمة والمصلحة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينبغيهم ومنع ما يضرهم ما يبين أن ذلك صدر عن راحم بار يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق وإذا كان ذلك يدل على كمال علمهم وكمال حسن قصدهم فمن تم علمه وتم حسن قصده امتنع أن يكون كاذبا على الله يدعى عليه هذه الدعوى العظيمة التي لا يكون أجر من صاحبها إذا كان كاذبا متعمدا ولا أجمل منه أن كان مخطئا

﴿وهذه الطريق﴾ تسلك جملة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيلا في حق واحد واحد بعينه فيستدل المستدل بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحبه وصدقه ثم يستدل بعلمه وصدقه على ما لم يعلمه تفصيلا والعلم بحسن الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب معلوم بالفطرة والعقل الصريح بل جل ذلك مما اتفق عليه بنو آدم ولذلك يسمى ذلك معروفا ومنكرا فإذا علم أنه فيما علم الناس أنه حق وأنه خير هو أعلم منهم به وانصح الخلق فيه وأصدقهم فيما يقول علم بذلك أنه صادق عالم ناصح لا كاذب ولا جاهل ولا غاش

﴿وهذه الطريق﴾ يسلكها كل أحد بحسبه ولا يحتاج في هذه الطريق إلى أن يعلم أولا خواص النبوة وحقيقتها وكيفيتها بل أن يعلم أنه صادق بار فيما يخبر به ويأمر به ثم من خبره يعلم حقيقة النبوة والرسالة

﴿وقد سلك آخرون﴾ من المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة وغيرهم طريقا أخرى تشبه هذه من وجه دون جه وهو أن يعلم النبوة أولا وأنها موجودة في بني آدم وأنهم محتاجون إليها ويعلم صفاتها ثم يعلم عين النبي * ثم المتكلمون من المعتزلة وغيرهم يوجبون النبوة على الله تعالى على طريقتهم في إيجاب ما يوجبونه عليه والمتفلسفة قد يوجبون ذلك على طريقتهم فيما يجب وجوده في العالم وغيرهم يوجب ذلك لما علم من عادته في حكمته ورحمته واعطائه الخلق ما يحتاجون إليه ﴿وبالجملة﴾ فيعلمون نوعها في العالم ثم يعلمون الواحد من الجنس بثبوت حقيقة النوع فيه وهذه الطريقة يسلكها كثير من المتكلمة والمتصوفة والمتفلسفة والعامية وغيرهم لكن المتفلسفة كابن سينا وأمثاله أدركوا من النبوة بقدر ما أعطتهم مواد الفلسفية التي علموا بها أن النبي يكون له كال القوة العلمية وكال قوة السمع والبصر وكال قوة النفس بحيث يعلم ويسمع ويبصر ما يقصر غيره عنه ويفعل في العالم بهمة ما يعجز غيره عنه وهؤلاء يحملون نفس النبوة ثلاثة أمور (أحدها) أن تكون له قوة عقلية بل نسبة ينال بها العلم من غير تعلم (والثاني) أن تكون له قوة خيالية يتخيل بها الحقائق العقلية موجودة خالية موثقة من أجناس منام النائم فيرى في نفسه ضواً وذلك هو الرسالة عندهم ويسمع وذلك هو كلام الله عندهم (الثالث) أن تكون لنفسه قوة على أن تؤثر في العالم وهذه الأقول الثلاثة تحصل لخلق كثيرهم دون رتبة الصالحين فضلا عن النبوة ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة فصار كثير منهم طاب أن يصير نبيا كما جرى للسهروردي المقتول ولابن سبعين ولهذا كان ابن سبعين يقول لقد زدت في حديث قل لاني بعدي نبي عربي * وهؤلاء يحملون النبوة انما هي من جنس واحد وقوة النفس في العلم والقدرة لكن يقول بينهما من الفصل بإرادة النبي الخير وإرادة الساحر الشر ويقولون الملك والشیطان قوي لكن قوة الملك قوة صالحة وقوة الشيطان قوة فاسدة * وأما من يقول الملائكة والجن هم جنس واحد لا فرق بينهما في الصفات فهؤلاء يقولون ان هذا القدر يحصل نوع منه لغيره من الاولياء لكن يحصل لهم ما هو دون ذلك * وهذا على طريقة عقلاء المتفلسفة الذين يفضلون النبي على الفيلسوف والولي كابن سينا وأمثاله

﴿وأما غلاتهم﴾ كالفارابي وأمثاله الذين قد يفضلون الفيلسوف على النبي كما يفضل اشباههم كابن عربي الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما فأنهم يفضلون الولي على النبي .

وكان يدعى انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى النبي وان الملك على أصلهم هو الحال لدى في نفس النبي والي بزعمهم يأخذ عن ذلك الحال والحال يأخذ عن العقل ثم زعم هذا انه يأخذ عن العقل الذي في هذا الخيال فلماذا قل انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك . يوحى به الى النبي فهو لاء شاركون في أصل طريقهم لكن عظم ضلالهم وجهلهم بقدر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ان أصل معرفة هؤلاء بقدر النبوة معرفة ناقصة بقاء بل من عرف مجيء به الانبياء وما يذكرونه في قدر النبوة علم انهم آمنوا ببعض ما جاءت به الرسل وكفروا ببعض فكما ان اليهود والنصارى آمنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض هؤلاء آمنوا ببعض صفات النبوة وكفروا ببعض . ولهذا قد يكون فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى وقد يكون في اليهود والنصارى من هو أكفر منهم بحسب ما آمن به كل من هؤلاء بما جاءت به الرسل وما كفروا به

(وأبو حامد كثيرا ما يسلك هذه الطريق في كتبه) لكنه لا يوفق المتفاسفة على كل ما يقولونه بل يكفرون ببعض ويضللون في موضع وان كان في الكتب المضافة اليه ما قد يوافق بعض أصولهم بل في الكتب التي يقال انها مضمون بها على غير أهلها ما هو فلسفة محضة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصارى وان كانت قد عبر عنها بعبارة اسلامية لكن هذه الكتب في الناس من يقول انها مكذوبة على أبي حامد ومنهم من يقول بل رجع عنها ولا ريب انه صرح في مواضع ببعض ما قاله في هذه الكتب وأخبر في المتقدم من الضلال وغيره من كتبه بما في ذلك من الضلال . وذكر كيف كان طلبه للعلوم أولا . حتى قل اقبلت بحمد بلوغ التأمل في المحسوسات والضروريات وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فنتهي في طول التسلسل الى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضا . وأخذ يتبع الشك فيها واذكر بعض شبهة سوفسطائية في الحسيات (الى أن قال) فلما خطر لي هذه الخواطر وتقدحت في النفس حاوات لذلك علاجا فتم يتيسر اذ لم يمكن دفعه الا بدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية . واذا لم تكن مسألة لم يمكن ترتيب الدليل فاعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين ان فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال . لا يحكم المنطق والمقال . حتى شفى الله تعالى عني ذلك المرض والاعلال . وعادت النفس الى الصحة والاعتدال . ورجعت الضروريات

العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن و يقين . ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور
 قدفه الله تعالى في الصدور وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف قال فمن ظن ان الكشف
 موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ﴿ الى ان قال ﴾ والمقصود من
 هذه الحكاية ان يعلم كمال الجد في الطلب حتي انتهى الى طلب ما لا يطلب لان الاوليات ليست
 مطلوبة فنهنا حاضرة والحاضر اذا طلب بعد واخفى ﴿ قال ﴾ ولما كفاني الله تعالى هذا المرض
 انحصرت اصناف الطالبين عندي في اربع فرق ﴿ المتكلمون ﴾ وهم يدعون انهم اهل
 الرأي والنظر ﴿ والباطنية ﴾ وهم يدعون انهم اصحاب التعاليم والمخصوصون بالاعتباس من
 الامام المصوم ﴿ والفلاسفة ﴾ وهم يزعمون انهم اصحاب المنطق والبرهان ﴿ والصوفية ﴾ وهم يدعون
 انهم خاصة الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة فقلت في نفسي الحق لا يمدو هذه الاصناف
 الاربعة فهؤلاء السالكون سبيل طلب الحق فن شذ الحق عنهم فلا يبقى في درك الحق
 مطمع ﴿ لي ان قال ﴾ فبدأت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هؤلاء الفرق مبتدئا
 بهلم الكلام . ومثليا بطريق الفسفة . ومثليا بتعيمات الباطنية . ومرربا بطريق الصوفية
 قال ثم اني ابتدأت بهلم الكلام فخلصته وعقلته وطالمت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت
 ان اصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وانما المقصود منه حفظ عقيدة
 اهل السنة وحراستها عن تشويش المبتدعة فقد اتى الله تعالى لي عباده علي اسان رسوله صلي
 الله عليه وسلم عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمقدماته القرآن ولاخبار
 ثم اتى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة
 اهل الحق على اهلها . فلما الله تعالى طائفة من المتكلمين وحرك دواعيهم انصرة السنة بكلام
 مرتب يكشف عن تلبسات اهل البدع المحدثه على خلاف السنة الماثورة ﴿ الى ان قال ﴾
 وكان أكثر حرصهم في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازمهم ومبطلاتهم ﴿ الى ان
 قال ﴾ فلم يكن الكلام في حق كافيا . ولا لدائي الذي اشكوه شافيا ﴿ الى ان قال ﴾ فلم يحصل
 منه ما يمحو بالكلية ظلمات الخيرة في اختلافات الخلق . ولا أبعد ان يكون قد حصل ذلك
 لغيري بل لا أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد في بعض الامور
 التي ليست من الاوليات ﴿ الى ان قال ﴾ ثم اني ابتدأت بمد الفراع من علم الكلام بهلم الفسفة

وعلمت يقينا نه لا يقف على فساد نوع من العلوم . من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوى
أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائبة
﴿ الى ان قال ﴾ لم أزل حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخيل اطلعا لم أشك
فيه فاستمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم فاني رأيتهم أصنافا . ورأيت علومهم أقساما .
وهم على كثرة أصنافهم تلزمهم وصمة الكفر والاحد وان كان بين القدماء منهم والاقدمين
وبين الابرار منهم والاولئ تفاوت عظيم في البعد عن الحق والترب منه

﴿ ثم قال ﴾ اعلم انهم على كثرة فرقهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام ﴿ الدهريون ﴾ ﴿ والطبايعيون ﴾
﴿ والالهيون ﴾

﴿ الصنف الاول ﴾ الدهريون وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا
ان العالم لم يزل موجودا كذلك ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك
يكون أبدا وهؤلاء الزنادقة

﴿ الصنف الثاني ﴾ الطبايعيون وهم قوم أكثر بحسبهم عن علم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات
﴿ الى ان قال ﴾ الا أن هؤلاء الكثرة بحسبهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم
في قوام قوى الحيوان به فظنوا ان القوة العاقبة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا وانها تبطل
ببطلان مزاجه فتندم ثم اذا انعدمت فلا تمقل اعادة الممدوم كما زعموا فذهبوا الى أن النفس
تموت ولا تمود فجحدوا الآخرة ونكروا الجنة والنار والقيامة والحساب فم يبق عندهم للطاعة
ثواب ولا للمصيبة عقاب * فأنحل عنهم اللجام . وانهمكوا في الشهوات انهمالك الانعام .
وهؤلاء أيضا زنادقة لان أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم
الآخر وان آمنوا بالله تعالى وصفاته

﴿ والصنف الثالث ﴾ الالهيون وهم المتأخرون مثل سقراط وهو أستاذ افلاطون وافلاطون
أستاذ أرسطاطاليس وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم وخر لهم
ما لم يكن مخرا من قبل . وأوضح لهم ما كان أحجب من علومهم وهم بحسبهم ردوا على الصنفين
الاولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائهم ما أغنوا به غيرهم . وكفى
الله المؤمنين القتال بتقاتلهم . ثم رد أرسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبله من

الاهيين ردآ لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم الا انه استبقى ايضاً من ردائل كفرهم وبدعتهم
بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا
والفارابي وأمثالهما . على انه لم يتم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام
هذين الرجلين وماتله غيرهما ليس يخلو عن تخييط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ومن
لا يفهم كيف يرد أو يقبل ومجموع ما صرح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين
ينحصر في أقسام * قسم يجب التكفير به * وقسم يجب التبديع به * وقسم لا يجب انكاره
أصلاً فلنفصله *

ثم ذكر انها ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهيئية وسياسية وخلقية * وتكلم على ذلك
بما ليس بهذا موضعه * وقد بين الكلام على ذلك في غير هذا الموضع ﴿ الى أن قال ﴾ ثم اني
لما فرغت من عم الفلسفة وتحصيله وتفهمه وتزيف ما تزيف منه علمت ان ذلك ايضاً غير
واف بكامل الغرض فان العقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفاً للغطاء عن
جميع المضائل * ثم ذكر مذهب الباطنية وتلييسهم وانه ليس معهم شيء من الشفاء
المنجي من ظلمات الآراء * ثم مع عجزهم عن اقامة البرهان عن تعيين الامام المعصوم صدقناهم
في الحاجة الى التعليم ولي المعلم المعصوم وانه هو الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه
من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلاً عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا
على الامام الغائب وقالوا لا بد من السفر اليه . والعجب انهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم والنجاح
في الظفر به ولم يتعلموا منه شيئاً أصلاً كالتضخيم بالنجاسة تعب في طلب الماء فذا وجد ما يستعمله
بقي مضمخاً بالنجاسة . ومنهم من ادعى شيئاً من علمهم وكان حاصل ما ذكره من ركيك
فلسفة فيثاغورس وهو رجل من قدماء الاوائل ومذهبه أول مذاهب الفلاسفة وقد رد
عليه الارسطاطاليس بل استدرك كلامه واستردله وهو المحكى في كتاب رسائل اخوان الصفا
وهو على التحقيق حشو الفلاسفة * فامجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم ثم يتبع لمثل
ذلك العلم الركيك المستغث ويظن انه ظفر باقضي مقاصد العلوم فهو لاء ايضاً جربناهم وسبرنا
باطنهم وظهرهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم
ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم * بكلام قوي مفهم * حتى اذا ساعدتهم على الحاجة

الى المعلم مساعد * وقال هات علمه وافدنا من تعليمه وقف فقال الآن اذا سلمت لي هذا
فاطلبه فانما غرضي هذا التقدر فقط اذ علم انه لو زاد على ذلك لاقتضح ولمجز عن حل أدنى المشكلات
بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه (قال ثم اني لما فرغت) من هذه أقبلت بهمتي على طريق الصوفية
وعلمت ان طريقهم انما يتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتزهد عن اخلاقها
المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله
وكان العلم أيسر على من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطاعة كتبهم مثل قوت القلوب
لأبي طالب المكي وكتب الحارث المحاسبي والنفرة المثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد
البسطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام المشايخ حتى اطاعت على كثير من مقاصدهم
العلمية وخلصت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسرع وظهر لي أن أخص خواصهم
ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بلذوق وحل وتبدل الصفات وكم من الفرق بين أن يعلم
حد الصحة وحد الشيع واسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحا شيعان وبين أن يعرف
حد السكر وانه عبارة عن حالة تحصل عن استيلاء بخرة تصاعد من المعدة الى معدن الفكر
وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وأركانه وهو سكران وما معه من علمه
شيء والطبيب يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف
حد الصحة وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك الفرق بين من يعرف حقيقة الزهد وشروطها
واسبابها وبين من يكون حالة الزهد عزوف النفس عن الدنيا * فعلمت يقينا انهم أبواب أحوال
لأصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته * ولم يبق الا ما لا سبيل اليه بالتعلم
والسرع بل بلذوق والسير وكان قد حصل في من العلوم التي مارسيتها . والمسالك التي سلكتها
في تفهيشي عن صنف العلوم الشرعية والعقلية ايمان يتبنى بالله تعالى وبالنبوة وبأيوم الآخر .
وهذه لاصول الثلاثة كانت رسخت في نفسي بلا دليل محدد بل باسباب وقرائن وتجارب
لا تدخل تحت الحصر تفصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع في سعادة الآخرة الا
بالتقوى وكف النفس عن لهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا والتجافي
عن دار الفرور والالابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا
بالاعراض عن الجاه والمال

﴿ وذكر حاله ﴾ في خروجه عن ذلك ومجئته الى الشام ثم الحجاز ﴿ الى أن قال ﴾ وانكشف لي في اثناء هذه الخوات أمور لا يمكن احصاءها واستقصاءها والقدر الذي اذكره لينتفع به اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطرق الله تعالى الخاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق واخلاقم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الوافين على أسرار الشريعة من العلماء لغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في باطنهم وظاهرهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة فليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به ﴿ الى أن قال ﴾ ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصتها * ثم تكلم في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها

﴿ فقال اعلم ﴾ ان جوهر الانسان من أول الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله كما قال سبحانه (وما يعلم جنود ربك الا هو) ثم ذكر ما يدركه بالحواس ثم بالتمييز ثم يترقى في طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجازات والمستحيلات وأمورا لا توجد في الاطوار التي قبله ووراء العقل طور آخر يفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمور أخرى العقل معزول عنها لعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما أن المميز لو عرض عليه مدركات العقل لابه واستبعده فكذلك بعض العقلاء أبو مدركات النبوة فاستبعدها وذلك عين الجاهل اذ لا مستند له الا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فظن أنه غير موجود في نفسه والا كما لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكى له ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها * وقد قرب الله منها ذلك الى خلقه بان أعطاه أنموذجا من خاصة النبوة وهو النائم اذ النائم لم يدرك ما سيكون في الغيب إما صريحا وإما في كوة مثال يكشف عنه التعبير * وهذا لو لم يجرب به الانسان من نفسه وقيل له أن من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول احساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لا نكره ولا قام البرهان على استحالة ﴿ وقال ﴾ القوى الحساسة أسباب الادراك فن لا يدرك الشيء مع وجودها وحضورها فبان لا يدرك مع ركودها أولى * وهذا نوع قياس يكذبه ان وجود والمشاهدة فكما أن العقل طور من اطوار لا دمي يحصل فيه عين أخرى يبصر بها أنواعا من المعقولات

الخواص معزولة عنها فلنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين أخرى لها نور يظهر في نورها
 الغيب وأمور لا يدركها العقل * والشك في النبوة إما أن يقع في امكانها أو في وجودها
 أو وقوعها أو في حصولها لشخص معين * ودليل امكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف
 في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم فإن من بحث عنها علم بالضرورة أنها
 لا تدرك إلا بالهام الهى وتوفيق من جهة الله تعالى ولا سبيل اليه بالتجربة فمن الاحكام النجومية
 ما لا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فبين
 بهذا البرهان أن في الامكان وجود طريق لا يدرك هذه الامور التي لا يدركها العقل وهو
 المراد بالنبوة لأن النبوة عينها فقط بل ادرك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى
 خواص النبوة وله خواص كثيرة سواها وما ذكرناه فقطرة من بحرها انما ذكرناها لان
 معك انموذجا منها وهى مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم فأما
 معجزات الانبياء فلا سبيل اليها للمعقلاء ببضاعة العقل أصلا وأما ما عداها من خواص النبوة
 فانما يدركه بالذوق من سلك طريق التصوف لان هذا انما فهمته بانموذج رزقه وهو النوم
 ولولاه ما صدقت به من كان للنبي خاصة ليس لك منها انموذج فلا تفهمها أصلا فكيف تصدق بها
 وانما التصديق بعد التفهيم وذلك لانموذج يحصل في أول طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق
 بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس اليه فهذه الخاصة الواحدة تكفيك للايمان
 باصل النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين الا بمعرفة أحواله
 اما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء
 والاطباء بمشاهدة أحوالهم وسرع أقوالهم إن لم تشاهد فمعرفة كون الشافعى قهيا وكون جالينوس
 طبيبا معروف بالحقيقة لا بالتقليد بان تتعلم شيئا من الطب والفقه وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل
 لك علم ضروري بحالهما وكذلك اذا فهمت معنى النبوة فكثر النظر في القرآن والاخبار يحصل
 لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات النبوة واعضد ذلك بتجربة ما قاله
 في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في كذا وكذا فاذا جربت ذلك في الف
 وألفين والآف حصل لك علم ضروري لا تمارى فيه فمن هذا القبيل طلب اليقين بالنبوة لامن
 قلب العصاة ثمانا وشق القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة

الخارجة عن حد الحصر ربما ظننت انه سحر وانه تخيل وانه من الله تعالى اضلال فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويرد عليك أسئلة المعجزات فاذا كان مستند ايمانك كلاما منظوما في وجه دلالة المعجزة ينحزم ايمانك بكلام مرتب من وجه الاشكال والشبه عليها فليكن مثل هذه الخوارق احدى القرائن والدلائل في جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعمين كالذى يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يقول اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا تتعين الاحاد فهذا هو الايمان القوى العلمى ﴿وأما الذوق﴾ فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا في طريق الصوفية ﴿قال ثم اني واضطت﴾ على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لى في أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيا وبان لى من حقيقة الذوق ان للانسان بدنا وقلبا وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هي محل معرفة الله تعالى دون اللحم الذى يشاركه فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته * ومرض فيه هلاكه * وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من أتى بقلب سليم * وله مرض فيه هلاكه * ان لم يتدارك كما قال تعالى ﴿في قلوبهم مرض﴾ وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله تعالى بمتابعة الهوى داء المبرض وان معرفة الله تعالى تزيقه المحي وطاعته بخالفته الهوى * دواؤه الشافي وانه لا سبيل الى معالجته بازلة مرضه وكسب صحته الا بادوية كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان أدوية البدن تؤثر في كسب الصحة بخاصية فيها لا تدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين أخذوها عن الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان لى على الضرورة ان أدوية العبادات بمحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبياء لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك الخواص لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركب من اخلاط مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف لبعض في الوزن فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر من قبل الخواص فكذلك العبادات التى هي أدوية القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلاة الظهر ولا يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التى لا يطلع عليها الا بنور النبوة ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط بطريق العقل

لها حكمة وظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر لى فيها يقتضيها بطريق الخاصة وكما ان
 في الاودية اصولا هي اركانها زبائدها ممتلئة السكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال اصولها
 كذلك السنن والنوافل لتكميل آثار اركان العبادات * وعلى الجملة فالانبياء اطباء أمراض القلوب
 وأما فائدة العقل وتصرفه ان عرفنا ذلك وشهد بصدق النبوة وبمعجز نفسه عن درك ما يدرك بعين
 النبوة وأخذنا بايدينا وسلمنا اليها تسليم العميان الى القندين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء
 المشفقين فالى ههنا يجري العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهيم ما يلقى الطيب اليه فهذه
 أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجري الشاهدة في مدة الخلوة والزلزلة * ثم رأينا فتور الاعتقاد في
 أصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم في العمل بما شرحت النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق ونظرت
 الى أسباب فتور الخلق وضعف ايمانهم بها فاذا هو أربعة سبب من الخائضين في علم الفلاسفة وسبب
 من الخائضين في طريق التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاملة
 المتوسمين من العلماء فيما بين الناس فاني تبعت مدة أحاد الخلق اسأل من يقصر منهم في متابعة
 الشرع واسأله شبهته * وابحث عن عقيدته وسره وأقول له مالك تنصر فيها فان كنت تؤمن
 بالآخرة ولست تستعمل لها وتبنيها بلديا فهذه حماة فانك لا تبني الاثنين بواحد فكيف تبني
 مالا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن فانت كافر فدير نفسك في طاب الايمان وانظر
 ما سبب كفرك الخفي الذي هو مذهبك بطا وهو سبب جرائمك ظاهر او ان كنت لا تصرح به
 تجعلا بالايمان وتشرف بذكر الشرع فقاتل يقول هذا الأمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر
 بذلك وفلان من المشهورين من الفضلاء لا يصلي وفلان يشرب خمر وفلان يأكل الاموال
 من الاوقاف وأموال اليتامي وفلان يأكل أدرار السلطان ولا يحترز من الحرام وفلان يأخذ
 الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى أمثاله وقائل ثان يدعى علم التصوف فيقول اني بلغت
 مبلغا ترقيت عن الحاجة الى العبادة وقائل ثالث تعلم بشبهة اخري من شبهات أهل الاباحة
 وهم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقائل رابع لقي أهل التعليم ويقول الحق مشكل والطريق
 اليه عسير منسند والاختلاف فيه كثير وليس بمض المذهب أولى من بعض وادلة العقول
 متعارضة فلا ثقة برأي أهل الرأي والداعي الى التعليم متحجج لاحجة له فكيف ندع اليقين
 بالشك وقائل خامس يقول لست أفهم هذا تقليدا ولكني قرأت علم الفلسفة وادركت حقيقة

النبوة وان حاصلها يرجع الي المصلحة والحكمة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فانا من العوام الجاهل حتى ادخل في حجر الشكليف وانما انا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغنى فيها عن التقليد

هذا منتهى ايمان من قرأ فلسفة الالهين منهم ويعلم ذلك من كتب ابن سينا وابي نصر الفارابي وهؤلاء المتجملون منهم بالاسلام وورعهم يري لو احد منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذ قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلى فربما تقول رياضة الجسد وعادة البلد وحفظ المال والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق فيقال له فلم تشرب الخمر فيقول نعم انما نهى عن الخمر لانها تورث العداوة والبغضاء وانا بحكمتي محترز عن ذلك واني قصد به تشجيعه خاطر ي حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له كتب فيها نه عاهد الله تعالى على كذا وكذا وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يتصرف في العبادات الدينية ولا يشرب الخمر تلميها بل تدوايا وتشفيا وكان منتهى حالته في صفاء الايمان والالتزام العبادات ان يستثنى شرب الخمر لغرض التشفي فهذا ايمان من يدعى الايمان منهم وقد انخدع الي ذكروا رده على اهل التعليم واهل الاباحة

قال واما من فسد ايمانه بطريق الفاسفة حتى أنكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود خواص الادوية والنجوم وغيرها وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل ذلك وأوردنا الدليل من خواص النجوم والطب لانه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلاسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة واما من اثبت النبوة بلسانه وسوى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضى طالعنا ان يكون متبوعا وليس هذا من النبوة في شيء بل الايمان بالنبوة ان يقر باثبات طور ورء طور العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كمزل اللمس عن ادراك الاصوات وجميع الخواص عن ادراك المقولات فن لم يجوز هذا فقد أثبتنا البرهان على امكانه بل على وجوده * وأخذ يستدل بالخواص الموجودة في الطبيعيات على مكان خواص ثابتة في الشرعيات وان تلك اذا لم تعرف بقياس العقل فكذلك الاخرى قال وانما تدرك هذه الخواص بنور النبوة قال

والمعجب أنا لو غيرنا العبارة الى عبارة المنجمين لصدقوا باختلاف هذه الاوقات فنقول أليس
يختلف الحكم والظالم بان تكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو في الغارب حتى ينوا
على هذا في تسيراتهم اختلاف الصلاح وتفاوت الاعمار والآجل فلا فرق بين الزوال وبين
كون الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب فلم يكن لتصديقه
سبب الا أن ذلك سمعه بمباراة منجم جرب كذبه مائة مرة ولا يزال يعاود تصديقه حتى لو قل
له المنجم اذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر اليه الكوكب الفلاني فلبست ثوبا جديدا في
ذلك الوقت قتلت في ذلك الوقت فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقابى فيه البرد
الشديد وربما سمعه من منجم قد جرب كذبه مرات فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه
البدائع ويضطر الى الاعتراف بأنها خواص معرفتها معجزة لبعض الانبياء كيف ينكر مثل ذلك
فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب ولم لا يتسع لامكان
هذه الخواص في اعداد الركعات ورمي الجمار وعدد أركان الحج وسائر تعبدات الشرع ولم نجد
بينها وبين خواص الادوية والهجوم فرقا أصلا فن قل قد جربت شيئا من النجوم وشيئا من
الطب فوجدت بعضه صادقة فنقدح في نفسي تصديقه وسقط عن قلبي استبعاده ونفرته وهذا
لم أجربه فهم أعلم وجوده وتحققه وان اقررت بإمكانه فاقول انك لا تقتصر على تصديق ما
جربته بل سمعت أخبار المجريين وقلدتهم فسمع أقوال الاولياء فقد جربوه وشاهدوا الحق في
جميع ماورد به الشرع أو اسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على اني أقول وان لم تجرب
فيقتضى عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعاً فالو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب
ومرض وله والد مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه في معرفة الطب منذ عقل فمعجن له ولده
دواء وقل هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فمدا يقتضيه عقله وان كان لدواء كرهها
مرة المذاق أن يتناول أو يكذب ويقول أنا لا أعرف مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم
أجربه فلا شك أنك تستحتمه ان فعل ذلك فكذلك يستحتمك أهل البصائر في توقفك فان
قلت فهم أعرف شفقة النبي ومعرفته بهذا الطب فقول وبم عرفت شفقة أبيك فان ذلك أمرا
ليس محسوسا بل عرفت بها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في مواعده ومصادره علما ضروريا
لا يتبارى فيه ومن نظر في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد من الاخبار في اهتمامه

بارشاد الخلق وتلطفه في حق الناس بانواع اللين واللطف الى تحسين الاخلاق واصلاح ذات
البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم وديارهم حصل له علم ضروري بان شفقتة على أمته أعظم
من شفقة الوالد على ولده واذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الافعال والى عجائب الغيب التي
أخبر عنها في القرآن على لسانه وفي الاخبار والى ما ذكره في آخر الزمان وظهر ذلك كما
ذكره علما ضروريا انه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب
والخواص والامور التي لا يدركها العقل وهذا هو منهاج يحصل العلم الضروري بصدق النبي
صلى الله عليه وسلم وتأمل في القرآن وطالع الاخبار الى أن تعرف ذلك بالميان وهذا القدر يكفي
في تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان

(قلت) فهذه الطريق التي ذكرها أبو حامد وغيره تفضي أيضا الى العلم من النبوة والتصديق
منها بأكثر من القدر الذي تقر به المتفلسفة وما ذكره من المشاهدات والكشوفات التي تحصل
للمصوفية وأنهم يشهدون بتحقيق ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ونفع ما أمر به فهذا أيضا
حق في كثير مما أخبر به وأمر به ثم اذا علم ذلك صار حجة على صدقه فيما لم يعلمه كمن سلك طريقا من العلم
بفن من الفنون اذا رأى كلاما متكما في ذلك العلم ورآه يحقق ما عنده ويأتي بزيادات لا يستطيعها
فانه يعلم بما رآه من مزيد تحقيق لما شاركه في أصل معرفته انه أعلم منه بما وراء ذلك كمن نظر في الطب
اذا رأى كلاما بقراط ومن نظر في النحو اذا رأى كلاما لخليل وسيديويه ومن نظر في العلوم الدينية اذا
رأى كلاما لأئمة السلف وكذلك من سلك مسلك لزهدي والعبادة اذا بلغه سير ذهاب السلف وعبادتهم
ومن ولي الناس وساسهم اذا رأى سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعمر بن عبد العزيز ونحوهما
فهذا كله مما يبين له عظمة قدر هؤلاء وأنهم كانوا أئمة في هذه الامور وفيما يصلح ويجب من
ذلك ويعلم كل أحد الفرق بين سيرة العمرين وسيرة الحجاج والمختار بن أبي عبيد ونحوهما بل
يعلم الفرق بين سيرة أبي أمية وبني العباس وبين سيرة بني بويه وبني عبيد وأمثال ذلك كذلك
يعلم الفرق بين نبينا محمد وموسى وعيسى عليهم السلام وبين مسيلمة والاسود العنسي وأمثالهما
بأدنى تأمل وهذه الطريق ينقسم الناس فيها الى عام وخاص بسبب علمهم بالخير والشر والصدق
والكذب ونحو ذلك وهذه تفيد العلم القطعي بأن الانبياء أكمل الخلق وأفضلهم وأنه لا يصلح
لاحد أن يعارضهم برأيه ولا يخالفهم بهواه لكن لا يفيد العلم بحقيقة النبوة الا أن يعرف أن النبي

أعلم منه فلا يمكنه أن يقول هو أعلم منه فكل من حصل له من الخطابات والمجاهدات ما يحصل للأولياء فإنه يعلم أن الذي للأنبياء فوق الذي له من ذلك كعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فإنه قد ثبت في الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر * وقال صلى الله عليه وسلم إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقرنه * وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر وكان عمر بهذا يعلم أن ما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي والملائكة وما يخبر به من الغيب وما يأمر به وينهى عنه أمر زائد على قدره ومجاوز لطاقته بل يجد بينه وبين ذلك من التفاوت ما يعجز القلب واللسان عن معرفته وتبينه بل كان عمر بما حصل له من المكاشفة والخطابة يعلم أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أكمل منه معرفة و يقينا وأتم صدقا وأخلاقا وأعلم منه بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم فكان خضوع عمر هذا الذي هو أفضل الأولياء المحمدين الملهمين المخاطبين لأبي بكر الصديق كخضوع من رأي غيره من مشاركته في فقهه أكمل منه كخضوع الاخفش لسبويه وزفر لأبي حنيفة وابن وهب لمالك ونحو ذلك أو خضوع فقهاء المدينة لسعيد بن المسيب وعلماء البصرة للحسن البصري وفقهاء مكة لمطاع بن أبي رباح وإذا كان هذا مثل عمر مع أبي بكر لأن أبا بكر صديق يأخذ ما يأخذه عن الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام الذي قد عصم أن يستقر فيما جاء به خطأ فهو لخبرته بحال صديق النبي بهذه المثابة وكل من كان عالما بالصحابة يعلم أن عمر رضي الله تعالى عنه كان متأدبا معظما بقلبه لأبي بكر رضي الله عنه مشاهدا أنه أعلى منه إيمانا و يقينا فكيف يكون حال عمر وغيره مع النبي صلى الله عليه وسلم وإذا كان هذا حال أفضل المحمدين المخاطبين فكيف حال سائرهم ولا ريب أن الرجل كلما عظمت ولايته وعظم نصيبه من انكشاف الحقائق له كان تعظيمه للنبوة أعظم والناس في هذه الطريق متفاوتون بحسب درجاتهم لكن طريق الصوفية لا يتهمض بانكشاف جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بل ولا بالكثرة بل عامة ما يخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أبو بكر وعمر فضلا عن غيرهما أن يسمعه بدون خبره وإن كان عند المخبرين علم يحمل ذلك أو أصله لكن ما يخبر به من التفصيل لا يعلم بدون خبره أصلا وما يوجد في كلام أبي حامد وغيره من أن الكشف يحصل ذلك وقول القائل أن الأولياء شاهدوا الحق في جميع ما ورد به الشرع ليس بسديد بل لا يزال الأولياء مع الأنبياء في إيمان بالغيب ولا يتصور أن لولى

يعطى ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة وأفضل الاولياء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم
وليس في هؤلاء من شاهد مشاهدته النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ولا شاهد الملائكة الذين
كانوا ينزلون بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا سمع أحد منهم كلام الله الذي كلم به نبيه ليلة
المعراج ولا سمع عامة الانبياء فضلا عن الاولياء كلام الله كما سمعه موسى بن عمران ولا كلم الله
تكليما لداود وسليمان بل ولا ابراهيم ولا عيسى فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لاحد من الاولياء
والايمان بكل ما جاء به الانبياء واجب ففهم معصومون ولا يجب الايمان بكل ما يقوله الولي بل
ولا يجوز فانه ممن أحد من الناس الا يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن سب نبيا من الانبياء قتل وكان كافرا مرتدا بخلاف الولي قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما
أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى
وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (آمن الرسول
بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من
رسله) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الشيطان في أمنيته
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) فن قيل ففي قراءة ابن عباس ولا
محدث قيل هذه القراءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول
الدين وان كانت صحيحة فالمعنى ان المحدث كان فيمن كان قبلنا وكانوا يحتاجون اليه وكان ينسخ ما يلقيه
الشيطان اليه كذلك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج الى غير محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا
كانت الامم قبلنا لا يكفهم نبي واحد بل يخيلهم هذا النبي في بعض الامور على النبي الآخر
وكانوا يحتاجون الى عدد من الانبياء ويحتاجون الى المحدث وأمة محمد أغناهم الله بمحمد صلى الله
عليه وسلم وعن غيره من الانبياء والرسل فكيف لا يغنيهم عن المحدث ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فمرفعلق ذلك بان ولم يجزم به لانه
علم استغناء أمته عن محدث كما استغنت عن غيره من الانبياء سواء كان فيها محدث أولا
أو كان ذلك ليكماله برسولها الذي هو أتم الرسل واجملهم وهؤلاء كعص في أمته عن الامم قبلهم
(وقد وقع في كلام أبي حامد وغيره) نحو من هذا في مواضع أخر حتى ذكر فيما يتأول وما
لا يتأول ان ذلك لا يعلم الا بتوفيق الهى بشاهد به الحقائق على ما هي عليه ثم ينظر في السمع والالفاظ

الواردة فيه فما وافق مشهوره أقره وما خالفه تأوله وذكر في موضع آخر أن الواحد من الأولياء قد يسمع كلام الله سبحانه كما سمعه موسى بن عمران وأمثال هذه الأمور ولهذا تبين له في آخر عمره أن طريق الصوفية لا تحصل مقصوده فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية واخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في أثناء ذلك على أحسن أحواله وكان كارها ما وقع في كتبه من نحو هذه الأمور مما أنكره الناس عليه حتى قال المازري وغيره ما معناه أن كلامه يؤثر في الإيمان بالنبوة فينقص قدرها أو نحو هذا وكذلك ما ذكره من أن النبوة انفتاح قوة أخرى فوق العقل ولا ريب أن هذا مما يكون للنبي وليست النبوة قوة تدرك بها الأمور وإنما يشبه هذا أصول الفلاسفة الذين يزعمون أن الفيض دائم من العقل الفعال وإنما يحصل في القلوب بسبب استعداد الأشخاص فأي عبد كان استعداده أتم كان الفيض عليه أتم من غير أن يكون من الملائكة الأعلى سبب يخص شخصا دون شخص بالخطاب والتكليم وليس هذا مذهب المسلمين بل ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلاء كلهم الأمن أحد منهم متفقون على أن الله سبحانه خصص موسى بالتكليم دون هارون وغيره وأنه يخص بالنبوة من يشاء من عباده لا أنه بمجرد استعداده يفيض عليه المعلوم من غير تخصيص إلهي وهذا صار الناس ثلاثة أصناف صنف يقولون ليست النبوة إلا مجرد أنباء الله تعالى للعبد وهو تعلق كلامه به كما يقولون أن الأحكام الشرعية ليست إلا مجرد خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين من غير أن يكون للفعل في نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالحكم وكذلك يقول هؤلاء ليس للنبي في نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالنبوة وهذا يتوله طوائف من متكلمي أهل الإثبات القديرين أصحاب جهنم وأبي الحسن وغيرهما الذين يخالفون المعتزلة والفلاسفة فيما يقولونه في فعل الرب وحكمه إذ المتفلسفة يقولون بالطبع والعلة الموجبة والمنزلة يقولون بالاختيار المتضمن لشريعة عقلية الزموم بها في التمديل والتجوز ونحو ذلك والمتنسبون إلى السنة والجماعة من الكلائية والاشعرية والكرامية وسائر المنتسبين إلى السنة والجماعة يردون عليهم الأصول التي فرقوا بها أهل السنة والجماعة بالكذب من القدر والصفات وتخليد أهل الكبار كما يردون على المتفلسفة ما فرقوا به المسلمين لكن هؤلاء في مسائل الحكمة والمصالح وتعليل الأفعال والأحكام وهل الأفعال صفات يدرك بها حسناتها وقبحها نزاع ليس هذا موضع تفصيله وإنما نذكره مجملا ومعلوم أن الأنبياء والارسل من باب كلام الله

تعالى وكذلك الامر والنهي هو من باب كلام الله تعالى والامر متعلق بالفعل والارسال والانبياء
 متعلق بالرسول والنبي وللناس في هذا وهذا ثلاثة أقوال (أحدها) انه ليس ذلك الا مجرد
 كلام الله المتعلق بذلك أو تعلق الخطاب بذلك وهو من الصفات النسبية الإضافية عندهم قالوا
 لانه ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية وهذا قول هؤلاء (والقول الثاني) ان ذلك
 يعود الى صفة قائمة بالنبي وبالفعل (والقول الثالث) ان ذلك يتضمن الامرين فالحكم الشرعي
 يتضمن خطاب الشارع وصفة قائمة بالفعل والنبوة تتضمن خطاب الرب تتضمن صفة قائمة
 بالنبي أيضا وهذا معنى قول السلف والائمة وجمهور المسلمين والفلاسفة والمعتزلة أيضا يثبتون
 أيضا صفة حسن الفعل وقبحه الى صفة فيه توجب الحمد والذم وخطاب الشارع كاشف لها
 لا مثبت لها والمتفلسفة عندهم يعود ذلك الى صفة في الفعل توجب كمال النفس أو نقصها ولذلك
 يقولون ان النبوة هي كمال للنفس الناطقة تستمد به لان تفيض عليها المعارف من العقل الفعالي
 من غير أن يكون هناك خطاب حقيقي لله تعالى ولكن كلام الله سبحانه عندهم هو ما يحدث
 في نفس النبي من أصوات يسميها في نفسه لا خارجا عن نفسه والملائكة عبارة عن أشمال
 نورانية يراها تكون في نفسه لا خارجا عن نفسه كما يرى النائم في منامه صوراً يخاطبها وكلاما
 يسمعه وذلك في نفسه ولهذا جعل أبو حامد هذا طريقا لهم اني اثبات النبوة كما سلك ابن سينا
 وغيره ولا ريب ان كل ما يقر به مقرر من الحق فن أهل الايمان بقرون به لكن يعلمون اشياء
 فوق ذلك لا يعلمها أهل الباطل فما علمته المتفلسفة من هذه الامور لا ينكرها أهل الايمان لكن
 ينكرون عليهم قنصاره في التصديق عليها * وقد بسطت الكلام على هذه المسألة في جواب
 المسألة الخراسانية التي سئلت فيها عن ما يتعلق بالقرآن العظيم وكلام الله سبحانه وتعالى وذكر
 مراتب تكليم الله تعالى خلقه وانها درجات وان المتفلسفة أقروا ببعض لدرجات دون بعض
 بل اعلمهم لم يتجاوزوا أدنى الدرجة وهي درجة الالهام وما يناسبه وما أعطوا هذه الدرجة
 حقها وأما المعتزلة فهم خير منهم فانهم يقولون بان الله تعالى كلاما منفصلا خارجا عن نفس الرسول
 كما أن له ملائكة منفصلين عن نفس الرسول وليست هي العقول والنفوس التي تزعمها المتفلسفة
 والقرامطة بل يقولون بما أخبر به القرآن من أصناف الملائكة وأوصافهم لكنهم مع هذا
 لا يقولون بان الله كلاما قائما به حقيقة مذهبهم أن الله سبحانه لا يتكلم انما يخلق كلامه في

غيره ولما ابتدعت الجهمية هذه المقالة كانوا يقولون ان الله تعالى لا يتكلم أو يتكلم مجازا لكن
 المعتزلة امتنعت من هذا لا طلاقا وقالوا انه متكلم أو يتكلم حقيقة لكنهم فسروا ذلك بانه
 خلق كلاما في غيره فمما نزعوا قدماء الجهمية في حقيقة المذهب وانما نزعوه في اللفظ والسلف
 والائمة لما عرفوا حقيقة مذهبهم عرفوا ان هذا كفر وأن هذا في الحقيقة تعطيل للرسالة
 وانه يمتنع أن يكون متكلم بكلام لا يقوم به بل بغيره كما يمتنع أن يكون عالما بعم لا يقوم به
 بل بغيره وأن يكون قادرا بقدره لا تقوم به بل بغيره وانه لو كان كذلك لكان ما يخفقه من
 الكلام في مخلوقاته كلام له وقد قل تعالى (وقالوا جلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطق الله الذي
 أنطق كل شيء) وقال عز وجل (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما
 كانوا يكسبون) بل قد ثبت أن الله خالق كل شيء فيجب أن يكون على قولهم كل كلام في
 الوجود كلامه وقد أفصح بذلك الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد كابن عربي صاحب
 الفصوص ونحوه وقالوا

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ومذهبهم منتهى مذهب الجهمية وهو في الحقيقة تعطيل الخالق والقول بان هذا الوجود هو
 الوجود الواجب كما ذكر ذلك أبو حامد عن دهرية الفلاسفة فان قول هؤلاء هو قول أولئك
 وهو قول فرعون الذي أظهره لئكن فرعون وغيره من الدهرية لا يقولون هذا الوجود هو الله
 وهؤلاء يجهمون يقولون ان الوجود هو الله وقد أضلوا طوائف من الشيوخ الذين لهم عبادة وزهادة
 حتى أنه كان بيت المقدس رجل من أعبد الناس وأزهدهم وكان طول ليله يقول الوجود واحد
 وهو الله ولا أرى الواحد ولا أرى الله وهؤلاء سلكوا في كثير من أصولهم مذكرة أبو حامد
 وبنوا على ما في كتابه المنشون به وغيره من أصول الفلاسفة المكسوة عبادة الصوفية والأمور
 التي أنكرها عليه علماء المسلمين ما عنيها هؤلاء حتى جعل ابن سبعين ناس خمس طبقات ادناها
 الفقيه ثم المتكلم الأشعري ثم الفيلسوف ثم الصوفي ثم الخامس هو المحقق وهؤلاء يجهمون
 ما أشار اليه أبو حامد من الكشف هو ما حصل لهم وانه تعبد به بالشرعية لم يصل الى القول بوحدة
 الوجود وينقصونه بما يحمده عليه المسلمون من الأقوال التي اعتصم فيها بالكذب والسنة
 وبالأقوال التي لم يصبها بصريح العقل ويرون ان ذلك هو الذي حجه عن أن يشهد حقيقةهم التي

هي وحدة الوجود وإنما طعموا فيه هذا الطمع لما وجدوه في الكلام المضاف اليه مما يوافق أصول الجهمية المتفلسفة ونحوهم .

﴿ والمقصود هنا ﴾ ان المعتزلة خير من المتفلسفة حيث يثبتون لله تعالى كلاما منفصلا ويقولون ان الرسالة والنبوة تتضمن نزول كلام الله تعالى منفصل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل عليه كما يقول ذلك سائر المسلمين ثم قد يقول من يقول من المعتزلة ان النبوة جزاء على عمل متقدم وان النبي لما قام بواجبات عقلية أكرمه الله تعالى عليها بالنبوة مع كون النبي متميزا بصفات خصه الله تعالى بها وهذا القول موافق في الجملة قول أكثر الناس وهو ان النبوة والرسالة تتضمن كلام الله سبحانه الذي ينزل على رسوله ونبيه وانه مع ذلك مختص بصفات اختصه الله تعالى بها دون غيره من الانبياء وانه لا يكون النبي والرسول كسائر الناس في العقل والخلق وغير ذلك بل هو متميز عن الناس بذلك والنبوة فضل الله يؤتيه من يشاء لكن مع ذلك الله أعلم حيث يجعل رسالته

﴿ ومذكره أبو حامد ﴾ فيه من تمرير النبوة في الجملة على الاصول التي يسلمها المتفلسفة ويعرفونها ما ينتفع به من كان متفلسفا محض فان ذلك يوجب أن يدخل في الاسلام نوع دخول وكلام أبي حامد في هذا ونحوه يصلح أن يكون برزخا بين المتفلسفة وبين أهل المثل من مسلمين واليهود والنصارى فالتفلسفة تنتفع به حيث يصير عندهم من الايمان والعلم ما لا يحصل لهم بمجرد الفلسفة * وأما من كان مسلما يريد أن يستكمل العلم والايمان فان ذلك يضره من وجه ويرده عن كثير من كمال الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وان كان ينفعه من حيث يحول بينه وبين الفلسفة المحضة الا أن يكون حسن الظن بالفلسفة دون أصول الاسلام فانه يخرج به الى الاتحاد المحض كما أصاب ابن عربي الطائي وابن سبعين وأمثالهما وقد أخبر هو بما حصل له من السفسطة وانه انحصرت فرق الطالبيين عنده في أربع فرق المتكاملين والباطنية والفلاسفة والصوفية * ومعلوم ان هذه الفرق كلها حادثة بعد عصر الصحابة بل وبعد عصر التابعين بل نما ظهرت وانتشرت بعد القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وتابعيهم * ثم الفلاسفة والباطنية * كفار كفرهم ظاهر عند المسلمين كما ذكر هو وغيره وكفرهم ظاهر عند أقل من له علم وايمان من المسلمين اذا عرفوا حقيقة قولهم لكن لا يعرف كفرهم من لم يعرف حقيقة قولهم وقد يكون قد نشب بهمض أقوالهم من لم يعلم انه كفر فيكون

معدورا لجهله ولكن في المتكلمين والصوفية ممن له علم وإيمان طوائف كثيرون بل في من يعد من الصوفية مثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وإبراهيم بن ادريس ومعرفة الكرخي وأمثالهم من هو من خيار المسلمين وساداتهم عند المسلمين وفي عصرهم حدث اسم الصوفية وظهر الكلام أيضا •

وكلام السلف والأئمة في ذم البدع الكلامية في العلم والبدع المحدث في طريقة الزهد والعبادة مشهور كثير مستفيض ولم يتنازع أهل العلم والإيمان فيما استفادوا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قوله خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل من له إسان صدق من مشهور بعلم أو دين متعرف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة وأن المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم ولم يكن في زمنهم أحد من هذه الصنف الأربعة ولا تجد اماما في العلم ولدين كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعرفة الكرخي وأمثالهم الأقدم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة يرون أن الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب والذين اتبعوهم من أهل الآثار النبوية وهم أهل الحديث والسنة العالمون بطريقهم المنبعون لها وهم أهل العلم بالكتاب والسنة في كل عصر ومصر هؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الأوابين والآخريين لم يذكرهم أبو حامد وذلك لأن هؤلاء لا يعرف طريقهم إلا من كان خيرا بمعاني القرآن خيرا بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيرا بأثر الصحابة فقيها في ذلك عاملا بذلك وهؤلاء هم أفضل الخلق من المتسبين إلى العلم والعبادة • وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء ولا تأتي عن هذه الطبقة ولا كان خيرا بطريقة الصحابة والتابعين بل كان يقول عن نفسه أنا مزجي البضاعة في الحديث ولهذا يوجد في كتبه من الأحاديث الموضوعة والحكايات الموضوعة • لا يعتمد عليه من له علم بالآثار ولكن نفعه الله تعالى بما وجدته في كتب الصوفية والفقهاء من ذلك وبما وجدته في كتب أبي طالب ورسالة القشيري وغير ذلك وبما وجدته في كتب أصحاب الشافعي ونحو ذلك فخير ما يأتي به ما أخذ من هؤلاء وهؤلاء ومعلوم أن طريقة أئمة الصوفية وأئمة الفقهاء أكل من طريقة أبي القاسم القشيري ومن طريقة أبي طالب والحارث من طريقة

أبي المعالي وأمثاله وأولئك الأئمة كانوا أعلم بطريقة الصحابة وأتبع لها من أتباعهم فالقاضي أبو بكر الباقلاني وأمثاله أعلم بالأصول والسنة وأتبع لها من أبي المعالي وأمثاله * والاشعري والقلانسي ونحوهما أعلى طبقة في ذلك من القاضي أبي بكر * وعبد الله بن سعيد بن كلاب والحارث المحاسبي أعلى طبقة في ذلك من هؤلاء * ومالك والاوزاعي وحامد بن زيد والليث بن سعد وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء * والتابعون أعلى من هؤلاء * والصحابة أعلى من التابعين * وكذلك أبو طالب المكي يأخذ عن شيخه ابن سالم وابن سالم يأخذ عن سهل بن عبد الله التستري وسهل أعلى درجة عند الناس من أبي طالب ثم الفضل وأبو سليمان وأمثالهما أعلى درجة من سهل وأمثاله وأيوب السخيتاني وعبد الله بن عون ويونس بن عبيد وغيرهم من أصحاب الحسن أعلى طبقة من هؤلاء وأويس القرني وعامر بن عبد قيس وأبو مسلم الخولاني وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء

(ومعلوم) أن كل من سلك إلى الله جل وعز علما وعملا بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها فلا بد أن يقع في بدعة قولية أو عملية فإن السائر إذا سار على غير الطريق المهيأ فلا بد أن يسلك بينات الطريق وإن كان ما يفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهدا فيه مخطئا مغفورا له خطأ وقد يكون ذنبا وقد يكون فسقا وقد يكون كفرا بخلاف الطريقة المشروعة في العلم والعمل فإنها أقوم الطرق ليس فيها عوج كما قال تعالى (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وقال عبد الله بن مسعود خط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطأ وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وإن هذا صراطي مستقيما فأتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال الزهري كان من مضى من علماءنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة ولهذا قيل (مثل السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن خلف عنها غرق) وهو يروى عن مالك ومن سلك الطريق الشرعية النبوية لم يحتج في ثباتها إلى أن يشك في إيمانه الذي كان عليه قبل البلوغ ثم يحدث نظرا يعلم به وجود الصانع ولم يحتج إلى أن يبقى شاكا مرتابا في كل شيء وإنما كان مثل هذا يمرض لمن ألهمه بن صفوان وأمثاله فهم ذكروا أنه بقي أربعين يوما لا يصلي حتى ثبت أن له ربا يعبد هذه الحالة كثيرا ما تمرض للجهمية وأهل الكلام الذين ذمهم السلف والأئمة * وأما المؤمن

المحض فيعرض له الوسواس فتعرض له الشكوك والشبهات وهو يدفعها عن قلبه فان هذا لا بد منه كما ثبت في الصحيح ان الصحابة قالوا يا رسول الله ان احدنا ليجد في نفسه مالا ان يحترق حتى يصير حممة أو ينخر من السماء الى الارض أحب اليه من أن يتكلم به فقال أفقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان (وفي السنن من وجه آخر) انهم قالوا ان احدنا ليجد في نفسه ما يتعاطم أن يتكلم به فقال الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة قال غير واحد من العلماء معناه ان ما تجدونه في قلوبكم من كراهة الوسواس والنفرة عنه وبنضه ودفعه هو صريح الايمان وهذا من الزبد الذي قال الله تعالى فيه (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال) وهذا مذكور في غير هذا الموضع وكلام السلف والائمة فيما أحدث من الكلام وما أحدث من الزهد مبسوط في غير هذا الموضع (والمقصود هنا) أن يعرف مراتب الناس في العلم بالنبوة ومعرفة قدرها وتمدد الطرق في ذلك وان عامة الطرق التي سلكها الناس في ذلك هي طرق مفيدة نافعة لكن تختلف مقادير فوائدها ومنافعها وفيها ما يضر من وجه كما ينفع من وجه وفيها ما ينتفع به من كان عديم الايمان أو ضعيف الايمان فيحصل به له بعض الايمان أو يقوى ايمانه وان كان ذلك يضر من كان قوى الايمان ويكون رجوعه اليه ردة في حقه بمنزلة من كان معتصما بحبل قوى وعروة وثقى لا انفصام لها فعتاض عن ذلك بحبل ضعيف يكاد ينقطع به وهذا باب يطول وصف حال الناس فيه .

وأما ما ذكره أبو حامد من ان هذه الطريقة التي سلكها تفيد العلم الضروري بالنبوة دون طريقة المعجزات فالانسان خبير بما حصل له من العلم الضروري وغيره وليس هو خبير بما حصل لغيره من ذلك وكثير من أهل النظر والكلام يقولون تقيض هذا يقولون لا يحصل العلم بالنبوة الا بطريقة المعجزات دون غيرها كما قال ذلك أكثر أهل الكلام ومن اتبعهم كالقاضي أبي بكر والقاضي أبي بلي وأبي الهادي والمزري وأمثال هؤلاء، والتحقيق ما عليه أكثر الناس ان العلم بالنبوة يحصل بطرق متعددة المعجزات وغير المعجزات ويحصل له العلم الضروري بها كما ذكره أبو حامد بل يحصل له العلم الضروري بالنبوة على الجمل كما ذكره وعامة من حصر العلم بهذا أو غيره في طريق معينة وزعم أنه لا يحصل بغيرها فنه يكون مخطئا وهذا كثير ما سلكه كثير من أهل الكلام في اثبات العلم بالصانع أو اثبات حدوث العالم أو اثبات التوحيد

أو العلم بالنبوة أو غير ذلك يسلك أحده طريقا يزعم أنه لا يحصل العلم إلا بها وقد تكون طريقا فاسدة وربما قدح خصومه في طريقه الصحيحة وادعوا أنها فاسدة وكثيرا ما يكون سبب العلم الحاصل في القلب غير الحجة الجدلية التي يناظر بها غيره فإن الإنسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات بطرق وأسباب قد لا يستحضرها ولا يخصصها ولو استحضرها لا توافقه عبارته على بيانها ومع هذا إذا طلب منه بين الدليل الدال على ذلك قد لا يعلم دليلا يدل به غيره إذا لم يكن ذلك الغير شاركة في سبب العلم وقد لا يمكنه التعبير عن الدليل أن تصوره فالدليل الذي يعلم به المناظر شيء والحجة التي يحتاج بها المناظر شيء آخر وكثيرا ما يتفقان كما يفترقان وليس هذا موضع بسط ذلك وإنما المقصود التنبيه على تعدد طرق العلم بالنبوة وغيرها وكلام أكثر الناس في هذا الباب ونحوه على درجات متفاوتة فيحمد كلام الرجل بالنسبة إلى من دونه وإن كان مذموما بالنسبة إلى من فوقه إذا الإيمان يتفاضل وكل له من الإيمان بقدر ما حصل له منه ولهذا كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم وتمظيم النبوة وغير ذلك ومع ما يوجد فيه أشياء صحيحة حسنة بل عظيمة القدر نفعه يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمور اضيفت إليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة المخالفة للنبوة بل المخالفة لصريح العقل حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب كرفيقه أبي إسحق المرغيناني وأبي الوفاء بن عقيل والقشيري والطراطوشي وابن رشد والمازري وجماعات من الأولين حتى ذكر ذلك الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فيما جمعه من طبقات أصحاب الشافعي وقرره الشيخ أبو زكريا النووي قال في هذا الكتاب فصل في بيان أشياء مهمة أنكرت على الإمام الغزالي في مصنفاته ولم يرتضيها أهل مذهبه وغيره من الشذوذ في تصرفاته * منها قوله في مقدمة المنطق في أول المستقصى * هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا تنفعه بعلومه أصلا قل الشيخ أبو عمرو سمعت الشيخ العماد بن يونس يحكي عن يوسف لدمشقي مدرس النظامية ببغداد وكان من النظائر المعروفين أنه كان ينكر هذا الكلام ويقول فبوكرو وعمرو وفلان وفلان يعني أن أولئك السادة عظمت حظوظهم من الثلج واليقين ولم يحيطوا بهذه المقدمة وأسبابها قال الشيخ أبو عمرو وقد ذكرت بهذا ما حكي صاحب كتاب الامتاع والمؤنسة يعني أبا حيان التوحيدى أن لوزير بن الفرات احتفل مجلسه ببغداد باصناف من الفضلاء من المتكلمين وغيرهم وفي المجلس متى النياسوف النصراني فقال الوزير

أريد أن يفتدب منكم انسان لمناظرة متى في قوله انه لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل والحجة من الشبهة والشك من اليقين الا بما حوينا من المنطق واستفدناه من واضعه على مراتبه فانتدب له أبو سعيد السيرافي وكان فاضلا في علوم غير النجوم وكلمه في ذلك حتى أخفه وفضحه قال أبو محمد وليس ^(١) هذا موضع التطويل بذكره * قال الشيخ أبو عمرو وغيره خاف استغناء العقلاء والعلماء قبل واضع المنطق أرسطاطاليس وبعده مع معارفهم الجملة عن تعلم المنطق وانما المنطق عندهم بزعمهم آلة قانونية صناعية تعصم الذهن من الخطأ وكل ذى ذهن صحيح منطقي بالطبع قال فكيف غفل الغزالي عن حال شيخه إمام الحرمين ومن قبله من كل إمام هو له مقدم ولحقه في تحقيق الحقائق رافع ومعظم ثم لم يرفع أحد منهم بالمنطق رأساً ولا بنى عليه في شئ من تصرفاته أساء ولقد أتني بخلاصة المنطق باصول الفقه بدعة عظم شؤمها على المتفقه حتى كثر فيهم بعد ذلك المتفلسفة والله المستعان * قال ولا يبي عبد الله المازري الفقيه المتكلم الاصولي وكان اماماً محققاً بارعاً في مذهبي مالك والاشعري وله تصانيف في فنون منها شرح الارشاد والبرهان لامام الحرمين رسالة يذكر فيها حال الغزالي وحال كتابه الاحياء أصدرها في حال حيوة الغزالي جواباً لما كوتب به من الغرب والشرق في سؤاله عن ذلك عند اختلافهم في ذلك فذكر فيها ما اختصاره أن الغزالي كان قد خاض في علوم وصنف فيها واشتهر بالامامة في إقليمه حتى تضاعف له المنازعون واستبحر في الفقه وفي أصول الفقه وهو بالفقه أعرف * وأما أصول الدين فليس بالمستبحر فيها شغله عن ذلك قراءته علوم الفلاسفة وكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني وتسهيلاً للجوم على الحقائق لان الفلاسفة تمر مع خواطرها وليس لها شرع يزعها ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها فلذلك خامرهم ضرب من الادلال على المعاني فاسترسل فيها استرسال من لا يبالي بغيره ^(٢) قال وقد عرفني بعض أصحابه انه كان له عكوف على قراءة رسائل اخوان الصفا * وهذه الرسائل هي احدى وخمسون رسالة كل رسالة مستقلة بنفسها وقد ظن في مؤلفها ظنون وفي الجملة هو يعني واضع الرسائل رجل فيلسوف قد خاض في علوم الشرع فزج ما بين العدين وحسن الفلاسفة

(١) قد ذكر ذلك ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء المطبوع في مصر في ترجمة أبي سعيد الحسن ابن عبد الله السيرافي وعنوان البحث هكذا مناظرة جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي رحمه الله عليه وذلك في الجزء الثالث ص ١٠٥ الى ١٢٣ فراجع

في قلوب أهل الشرع بآيات وأحاديث يذكرونها * ثم انه كان في هذا الزمان المتأخر
 فيلسوف يعرف بابن سينا ملاً الدنيا تأليف في علوم الفلسفة وكان ينتمى الى الشرع ويتحلى
 بحمية المسلمين وأداء قوته في علم الفلسفة الى أن تلطف جهده في رد أصول العقائد الى علم الفلسفة
 وتم له من ذلك ما لم يتم لغيره من الفلاسفة * قال ووجدت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر
 ما يشير اليه في علوم الفلسفة حتى انه في بعض الاحيان ينقل نص كلامه من غير تغيير وأحياناً
 يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما ينقل ابن سينا لكونه أعلم بأسرار الشرع منه * فعلى ابن
 سينا ومؤلف رسائل اخوان الصفا عول الغزالي في علم الفلسفة (قال واما مذاهب المتصوفة)
 فلست ادري على من عول فيها ولا من ينتسب اليه في علمها قال وعندى انه على أبي حيان
 التوحيدى الصوفى عول على مذاهب الصوفية * وقد اعلمت ان ابا حيان هذا الف ديواناً عظيماً
 في هذا الفن ولم يصل الينا منه شيء ثم ذكر ان في الاحياء فتاوى مبنها على ملاحقة له مثل
 ما استحسن في قص الاظفار ان يبدأ بالسبابة لان لها الفضل على بقية الاصابع لكونها المسبحة
 ثم بالوسطى لانها ناحية اليمين ثم باليسرى على هيئة دائرة وكأن الاصابع عنده دائرة فاذا أدار
 اصابعه مر عليها مرور الدائرة حتى يختم باهام اليمين هكذا حدثني به من اتق به عن الكتاب *
 قال فانظر الى هذا كيف افاده قراءة الهندسة وعلم الدوائر واحكامها ان نقله الى الشرع
 فافتى به المسلمين * قال وحمل الى بعض الاصحاب من هذا الاملاء الجزء الاول فوجدته يذكرو
 فيه ان من مات بعد بلوغه ولم يعلم ان البارئ قديم مات مسلماً اجماعاً ومن تساهل في حكاية الاجماع
 في مثله هذا الذي الاقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ما قال فحقيق ان لا يوثق بكل ما ينقل وان
 يظن به التساهل في رواية ما لم يثبت عنده صحته * قال ثم تكلم المازرى في محاسن الاحياء ومذامه
 ومنافمه ومضاره بكلام طويل ختمه بان من لم يكن عنده من البسطة في العلم ما يمتصم به من
 غوائل هذا الكتاب فان قرائته لا تجوز له وان كان فيه ما ينتفع به ومن كان عنده من العلم
 ما يأمن به على نفسه من غوائل هذا الكتاب ويعلم ما فيه من الرموز فيجذب مقتضى ظواهرها
 ويكمل أمر مؤلفها الى الله تعالى وان كانت كلها تقبل التأويل فقراءته له سائفة وينتفع به اللهم
 الا أن يكون قارؤه من يقتدي به ويقترب به فانه ينهى عن قراءته وعن مدحه والثناء عليه قال
 ولولا ان علمنا انان املائنا هذا انما يقرؤه الخاصة ومن عنده علم يأمن به على نفسه لم تتبع محاسن

هذا الكتاب بالثناء ولم تعرض لذكرها ولست أكنحن أمنا من التفرير ولئلا يظن أيضا من يتعصب
 للرجل أنا جانبنا الانصاف في الكلام على كتابه ويكون اعتقاده هذا فينا سببا لئلا يقبل
 نصيحتنا (قال الشيخ أبو عمرو) وهذا آخر ما نقلناه عن المازري قلت مذكره المازري في مادة
 أبي حامد من الصوفية فهو كما قال المازري عن نفسه لم يدرك على من عول فيها ولم يكن للمازري
 من الاعتناء بكتب الصوفية وأخبارهم ومذاهبهم ماله من الاعتناء بطريقة الكلام وما يتبعه من
 الفلسفة ونحوها فلذلك لم يعرف ذلك ولم تكن مادة أبي حامد من كلام أبي حيان التوحيدي
 وحده بل ولا غالب كلامه منه قال أبو حيان تغلب عليه الخطبة والفصاحة وهو مركب من فنون
 أدبية وفلسفية وكلامية وغير ذلك وإن كان قد شهد عليه بالزندقة غير واحد وقرنوه بابن لراوندي
 كما ذكر ذلك ابن عقيل وغيره وإنما كان غالب استمداد أبي حامد من كتاب أبي طالب المكي
 الذي سماه قوت القلوب ومن كتب الحارث المحاسبي وغيرها ومن رسالة الفشيري ومن منشورات
 وصلت إليه من كلام المشايخ وما نقله في الأحياء عن الأمة في ذم الكلام فإنه نقله من كتاب أبي
 عمر وابن عبد البر في فضل العلم وأهله وما نقله فيه من الادعية والاذكار ونقله من كتاب الذكر
 لابن خزيمة ولهذا كانت أحديث هذا الباب جيدة وقد جالس من اتفق له من مشايخ الطرق لكنه
 يأخذ من كلام الصوفية في الغالب ما يتعاق بالاعمال والأخلاق والزهد والرياضة والعبادة وهي التي
 يسميها علوم المعاملة * وأما التي يسميها علوم المكاشفة ويرمز إليها في الأحياء وغيره ففيها يستمد
 من كلام المتفلسفة وغيره كما في مشكاة الأنوار والمضنون به على غير أهله وغير ذلك وبسبب خلطه
 التصوف بالفلسفة كما خلط الأصول بالفلسفة صار ينسب إلى التصوف من ليس هو موافقا لما شخ
 المقبولين الذين لهم في الأمة اسان صدق رضى الله تعالى عنهم بل يكون مباينا لهم في أصول الإيمان
 كالإيمان بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر ويعملون هذه مذاهب الصوفية كما يذكر ذلك ابن
 الطفيل صاحب رسالة حن بن يقطان وأبو الوليد ابن رشد الحفيد وصاحب خلع العلم وابن عربي
 صاحب الفتوحات وفصوص الحكي وابن سبعين وأمثال هؤلاء ممن يتظاهر بمذاهب مشايخ
 الصوفية وهل الطريق * وهو في التحقيق متفق زنديق * ينتهي إلى القول بالحلل والاتحاد
 واتباع القرامطة أهل الاتحاد ومذهب الإباحية الدافين للامر والنهي والوعد والوعيد
 ملاحظين حقيقة القدر التي لا يفرق فيها بين الأنبياء والمرسلين وبين كل جبر عتيد وقائين

مع ذلك بنوع من الحقائق البدعية * غير عارفين بالحقائق الدينية الشرعية * ولا سالكين مسلك أولياء الله الذين هم بعد الانبياء خير البرية * فهم في نهاية تحقيقهم بسقوط الامر والنهي والطاعة والعبادة * مشافين للرسول * تبين غير سبيل المؤمنين * وفي رقون سبيل أولياء الله المتقين الى سبيل أولياء الشياطين * ثم يقولون بالحلل والاحاد * وهو غاية الكفر ونهاية الاحاد * ولهذا في كلام المشايخ العارفين كابي القاسم الجنيد وأمثاله من بيان أن التوحيد هو إفرااد الحدوث عن القدم ونحو ذلك * ومن بيان وجوب اتباع الامر والنهي ولزوم العبادة الى الموت ما يبين به أن ائمة السادة المهتدين حذروا من طريق هؤلاء الملحدون * ولهذا نجد هؤلاء كابي عربي وابن سبعين وأمثالهما يردون على مثل الجنيد وأمثاله من أئمة المشايخ ويدعون أنهم ظفروا في التحقيق بنهاية الرسوخ * وانما ظفروا بتحقيق الاحاد * والدخول في الحلل والاحاد * وما زال شيوخ الصوفية المؤمنون يحذرون من مثل هؤلاء الملحدون كما حذر أئمة الفقهاء من سبيل أهل البدعة والنفاق من أهل الفلسفة والكلام ونحوه * حتى ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في أول حلية الاولياء وأبو القاسم الفشيري في رسالته دع من هو أجل منهما واعلم منهما بطريق الصوفية وأقل غلطا وأبعد عن الاعتماد على المنقولات الضعيفة والمنقولات المبتدعة * قال أبو نعيم في أول الحلية

(أما بعد) أحسن الله تعالى توفيقك فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أساني جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من الناسك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق * وبأشر الاحوال والظرائق * وساكن الرياض والحدائق * وفارق الموارض والعلائق * وتبرا من المنقطعين والمتعمقين * ومن أهل لدعاوي من المسوفين * ومن السكالي والمتبطين متشبهين بهم في اللباس والمقال * والمخالفين لهم في العقيدة والفعال وذلك لما بانك من بسط السنن وأسنه أهل الفقه والاثر في كل الاقطار والامصار * في المتسبين اليهم من الفسفة الفجار * والمباحية والخلوية الكفار * وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والانكار * بقدرج في منقبة البررة الاخير * ووضع من درجة الصفوة الاخيار * بل في اظهار البراءة من الكذابين * والتكبر على الحشوية الباطلين * نزاهة الصادقين * ورفعمة

الحقّقين * ولولم ينكشف عن مخازي المبطلين ومساوئهم ديانة للزمن ابانها واشاعتها حمية وصيانة
اذلا سلافنا في التصوف العلم المنشور * والصيت والذكر المشهور * فقد كان جدي محمد بن
يوسف رحمه الله تعالى أحد من يسر الله تعالى به ذكر بعض المنقطعين اليه وكيف يستجيز
تقيصة أولياء الله تعالى ومؤذيم مؤذّن بمحاربة ربه (ثم أسند) حديث أبي هريرة الذي رواه
البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ان الله تعالى قال من آذى لي وليا في
الرواية الاخرى من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الى عبد بشيء أفضل من آداء
ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحبته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبي يبصر
وبي يبطش وبي يمشى واثن سألني لأعطينه واثن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله
ترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بدله منه)

﴿قلت﴾ قد ذم أهل العلم والايمان من أئمة العلم والدين من جميع الطوائف من خرج عما
جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في الأقوال والاعمال باطنا أو ظاهرا ومدحهم هو لمن وافق
ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان موافقا من وجه ومخالفا من وجه كالعاصي
الذي يعلم انه عاص فهو ممدوح من جهة موافقته مذموم من جهة مخالفته وهذا مذهب سلف
الامة وأئمتها من الصحابة ومن سلك سبيلهم في مسائل الاسماء والاحكام والخلاف فيها أول
خلاف حدث في مسائل الاصول حيث كفرت الخوارج بالذنب وجعلوا صاحب الكبيرة
كافرا محمدا في النار ووافقهم المعتزلة على زوال جميع ايمانه واسلامه وعلى خلوده في النار لكن نازعوه
في الاسم فلم يسموه كافرا بل قالوا هو فاسق لا مؤمن ولا مسلم ولا كافر تنزله منزلة بين المنزلتين
فهم وان كانوا في الاسم الى السنة أقرب فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج * وأصل هؤلاء انهم
ظنوا ان الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم بل
إما لهذا وإما لهذا فاحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها وقالوا الايمان هو الطاعة فيزول
بزوال بعض الطاعة ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القوانين ووافقهم المرجئة والجهمية على
ان الايمان يزول كله بزوال شيء منه وانه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا ان
ايمان الفاسق كايان الانبياء والمؤمنين لكن فقهاء المرجئة قالوا انه الاعتقاد والقول * وقالوا انه

لا بد من أن يدخل النار من فساق الملة من شاء الله تعالى كما قالت الجماعة فكان خلاف كثير من كلامهم للجماعة انما هو في الاسم لافي الحسم وقد بسطنا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع وبدا الفرق بين دلالة الاسم مفردا ودلالته مقرونا بغيره كاسم الفقير والمسكين فانه اذا افرد أحدهما يتناول معنى الآخر كقوله تعالى ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله﴾ فانه يدخل فيهم المساكين وقوله تعالى ﴿أو اطعموا عشرة مساكين﴾ فانه يدخل فيهم الفقراء وأما اذا قرن بينهما كقوله تعالى ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ فهما صنفان وكذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) يدخل في المعروف وفي المنكر كل قبيح * والقبائح هي السيئات وهي المحظورات كالشرك والكذب والظلم والفواحش * فذا قال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقال (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) فنحن ببعض أنواع المنكر بالذکر وعطف أحدهما على الآخر صارت دلالة اللفظ عليه نصا مقصودا بطريق المطابقة بعد ان كانت بطريق العموم والتضمن سواء قيل انه داخل في اللفظ العام أيضا فيكون مذكورا مرتين أو قيل انه بقرانه بالاسم العام تبين انه لم يدخل في الاسم العام لتغير دلالة بالافراد والتجرد وبلافتراق والاجتماع كما قدمنا وهكذا اسم الايمان فانه تارة يذكر مفردا مجرد لا يقرن بالعمل الواجب فيدخل فيه العمل الواجب تضمننا ولزوما وتارة يقرن بالعمل فيكون العمل حينئذ مذكورا بالمطابقة والنص ولفظ الايمان يكون مسلوب لدلالة عليه حال الافتقان أو دلالة عليه كما في قوله تعالى (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) وقوله سبحانه لموسى عليه السلام (اننى انا لله لا اله الا أنا فعبدنى وأقم الصلاة لذكري) وقوله تعالى (اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة) ونظائر ذلك كثيرة فالاعمال داخلة في الايمان تضمننا ولزوما في مثل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلى عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يتيمنون بالصلاة ومدوا ذرائعهم ليعفون * أولئك هم المؤمنون حقا) وفي مثل قوله سبحانه (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) وأمثال ذلك من الكتاب والسنة ومن استقرأ ذلك علم ان الاسم الشرعى كالايمان والصلاة والوضوء والصيام لا ينفيه الشارع عن شيء

الا لا انتفاء ماهو واجب فيه لا لا انتفاء ماهو مستحب فيه وأما قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات أولئك هم خير البرية) ونحو ذلك فالعمل مخصوص بالذكور اما تأكيد واما لان
 الاقتران لا يغير دلالة الاسم فهذا موقف يزول فيه كثير من النزاع اللفظي في ذلك وأيضا
 فان الايمان يتنوع بتنوع ما أمر الله تعالى به العبد فحين بعث الرسول لم يكن الايمان الواجب ولا الاقرار
 ولا العمل مثل الايمان الواجب في آخر الدعوة فانه لم يكن يجب اذ ذلك الاقرار بما أنزله الله تعالى بعد
 ذلك من الايجاب والتحریم والخبر ولا العمل بموجب ذلك بل كان الايمان الذي أوجبه الله تعالى يزيد
 شيئا فشيئا كما كان القرآن ينزل شيئا فشيئا والدين يظهر شيئا فشيئا حتى أنزل الله تعالى (اليوم أكملت
 لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وكذلك العبد أول ما يبلغه خطاب
 الرسول عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام انما يجب عليه الشهادتان فإذا مات قبل أن يدخل عليه
 وقت صلاة لم يجب عليه شيء غير الاقرار ومات مؤمنا كامل الايمان الذي وجب عليه وان كان
 ايمان غيره الذي دخلت عليه الاوقات أكل منه فهذا ايمانه ناقص كتنقص دين النساء حيث قال
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انكن ناقصات عقل ودين أما نقصان عقلكن فشهادة امرأتين
 بشهادة رجل واحد وأما نقصان دينكن فان احداكن اذا حاضت لم تصل ومعلوم ان الصلاة
 حينئذ ليست واجبة عليها وهذا نقص لا تلائم عليه المرأة لكن من جمل كاملا كان أفضل منها بخلاف
 من نقص شيئا مما وجب عليه فصار النقص في الدين والايمان نوعين نوعا لا يذم العبد عليه
 لكونه لم يجب عليه لهجزه عنه حسا أو شرعا واما لكونه مستحبا ليس بواجب ونوعا يذم عليه
 وهو ترك الواجبات فقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجارية معاوية بن الحكم السلمي لما
 قال لها أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة ليس
 فيه حجة على أن من وجبت عليه المبادات فتركها وارتكب المحظورات يستحق الاسم المطلق
 كما استحقته هذه التي لم يظهر منها بعد ترك مأمور ولا فعل محظور ومن عرف هذا تبين ان
 قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه النماء مؤمنة لا ينافي قوله لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن
 ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فان ذلك
 نفى عنه الاسم لا انتفاء بمض ما يجب عليه من ترك هذه الكبائر وتلك لم تترك واجبا تستحق
 بتركه أن تكون هكذا ويتبع هذا أن من آمن بما جاء به الرسل بمجالاتهم بلفظه مفصلا فاقرب به

مفصلاً وعمل به كان قد زاد ما عنده من الدين والايان بحسب ذلك ومن اذنب ثم تاب او غفل
ثم ذكر او فرط ثم قبل فانه يزيد دينه وايانه بحسب ذلك كما قال من قال من الصحابة كمير بن
حبيب الخطمي وغيره الايمان يزيد وينقص قيل له فما زيادته ونقصانه قال اذا حمدنا الله وذكروا
وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا واضعنا فذلك نقصانه فذكر زيادته بالطاعات وان كانت
مستحبة ونقصانه بما اضاعه من واجب وغيره وايضا فان تصديق القلب يتبعه عمل القلب والقلب
اذا صدق بما يستحقه الله تعالى من الانوذية وما يستحقه الرسول من الرسالة تبع ذلك لا محالة
محبة الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام وتعظيم الله عز وجل ورسوله والطاعة لله
ورسوله امر لازم لهذا التصديق لا يفارقه الا مارض من كبر او حسد او نحو ذلك من الامور
التي توجب الاستكبر عن عبادة الله تعالى والبغض لرسوله عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك
من الامور التي توجب الكفر كالكفر بليس وفرعون وقومه واليهود وكفار مكة وغير هؤلاء
من المعاندين الجاحدين ثم هؤلاء اذا لم يتبعوا التصديق بموجبه من عمل القلب واللسان وغير
ذلك فانه قد يطبع على قلوبهم حتى يزول عنها التصديق كما قال تعالى (واذا قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) فهؤلاء كانوا عالمين
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر) وقال تعالى (وكذلك زين فرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون
الا في تباب) الى قوله سبحانه (كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) وقال تعالى (واقسموا
بالله جهد ايمانهم ان جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون) ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فبين
سبحانه ان مجيء الآيات لا يوجب الايمان بقوله تعالى (وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
ونقلب أفئدتهم وابصارهم) أي فتكون هذه الامور الثلاثة أن لا يؤمنوا وان (نقلب أفئدتهم
وابصارهم وان نذرهم في طغيانهم يعمهون) أي وما يدريك ان الآيات اذا جاءت تحصل هذه
الامور الثلاثة وهذا المعنى تبين ان قراءة الفتح احسن وان من قال ان المفتوحة بمعنى امل فظن
ان قوله ونقلب أفئدتهم كلام مبتدأ لم يفهم معنى الآية واذا جعل ونقلب أفئدتهم دخلا في خبر ان
تبين معنى الآية فان كثيرا من الناس يؤمنون ولا تقلب قلوبهم لكن قد يحصل تقلب أفئدتهم

وأبصارهم وقد لا يحصل أي فإيدريكم أنهم لا يؤمنون والمراد وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بل قلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة والمعنى وما يدريكم ان الامر بخلاف ما ظنونه من ايمانهم عند مجيء الآيات (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فيعاقبون على ترك الايمان أول مرة بعد وجوبه عليهم ايمانهم عرفوا الحق وما أقروا به أو تمكنوا من معرفته فلم يطابوا معرفته ومثل هذا كثير .

والمقصود هنا أن ترك ما يجب من العمل بالعلم الذي هو مقتضي التصديق والعلم قد يفضي الى سلب التصديق والعلم كما قيل * العلم يهتف بالعمل * فن اجبه والا ارتحل * وكما قيل كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به فما في القلب من التصديق بما جاء به الرسول اذا لم يتبعه موجه ومقتضاه من العمل قد يزول اذ وجود العلة يقتضي وجود المعلول وعدم المعلول يقتضي عدم العلة فكما ان العلم والتصديق سبب للارادة والعمل فعدم الارادة والعمل سبب لعدم العلم والتصديق ثم ان كانت العلة تامة فعدم المعلول دليل يقتضي عدمها وان كانت سببا قد يتخلف معلولها كان له بخلافه اشارة على عدم المعلول قد يتخلف مدلولها وايضا فالتصديق الجازم في القلب يتبعه موجه بحسب الامكان كالارادة الجازمة في القلب فكما ان الارادة الجازمة في القلب اذا اقترنت بها القدرة حصل بها المراد أو المقدور من المراد لا محالة كانت القدرة حاصلة ولم يقع الفعل كان الحاصل هي لا ارادة جازمة وهذا هو الذي عني عنه فكذلك التصديق الجازم اذا حصل في القلب تبعه عمل من عمل القلب لا محالة لا يتصور ان ينفك عنه بل يتبعه الممكن من عمل الخواارج فمضى لم يتبعه شيء من عمل القلب علم أنه ليس بتصديق جازم فلا يكون ايمانا لكن التصديق الجازم قد لا يتبعه عمل القلب بتمامه لعارض من الالهواء كالكبر والحسد ونحو ذلك من الهواء النفس لكن الاصل ان التصديق يتبعه الحب واذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له ولهذا قال الصحابة كل من يعصى الله فهو جاهل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا ولهذا كان التكلم بالكفر من غير اكرام كفر في نفس الامر عند الجماعة وأئمة الفقهاء حتى المرجئة خلافا للجهمية ومن اتبهم ومن هذا الباب سب الرسول عليه فضل الصلاة والسلام وبفضله وسب القرآن وبفضله وكذلك سب الله سبحانه وبفضله ونحو ذلك مما ليس من باب التصديق والحب والتعظيم والموالات بل من باب التكذيب والبغض والمعاداة والاستخفاف

ولما كان ايمان القلب له موجبات في الظاهر كان الظاهر دليلا على ايمان القلب ثبوتا وانتفاء كقوله تعالى (لا تجحد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية وقوله جل وعز (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوه أولياء) وأمثال ذلك (وبعد هذا) فنزاع المنازع في ان الايمان في اللغة هل هو اسم مجرد التصديق دون مقتضاه أو اسم للامرين يقول الى نزاع لفظي وقد يقال ان الدلالة تختلف بالافراد والاقتران والناس منهم من يقول ان أصل الايمان في اللغة التصديق ثم يقول والتصديق يكون باللسان ويكون بالجوارح والقول يسمى تصديقا والعمل يسمى تصديقا كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العيان تزيان وزناها النظر والاذن تزي وزناها السمع ويد تزي وزناها البطش والرجل تزي وزناها المشي والقلب يمتني ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه (وقال الحسن البصري) ليس الايمان بالمتنى ولا بالاحلى ولكن بما قر في القلب وصدقه العمل * ومنهم من يقول بل الايمان هو الاقرار وليس هو مرادف للتصديق فان التصديق يقال على كل خبر عن شهادة أو غيب * وأما الايمان فهو أخص منه فانه قد قيل لخبر اخوة يوسف (وما أنت بمؤمن لنا) وقيل يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اذا الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام تصديق به والايمان له تصديق له في ذلك الخبر وهذا في الخبر ويقال لمن قال لواحد نصف لاثنين والسماء افوق الارض قد صدقت ولا يقل آمنت له ويقال أصدق بهذا ولا يقل أو من به اذا لفظ الايمان افعال من لا من فهو يقتضي ضمانية وسكونا فيما من شأنه أن يستريب فيه القلب فيخفق ويضطرب وهذا انما يكون في الاخبار بالمفنيات لا بالمشاهدات (والكلام) على هذا مبسوط في غير هذا الموضع * ونما المقصود من فقهاء المرجئة خلافهم مع الجماعة خلاف يسير وبمضه لفظي ولم يعرف بين الأئمة المشهورين بالفتيا خلاف الا في هذا فان ذلك قول طائفة من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان وصاحبه أبي حنيفة وأصحاب أبي حنيفة * وأما قول الجهمية وهو ان الايمان مجرد تصديق القلب دون اللسان فهذا لم يقله أحد من المشهورين بالامامة ولا كان قديما فيضف هذا الى المرجئة وانما وافق الجهمية عليه طائفة من المتأخرين من أصحاب الاشعري * وأما ابن كلاب فكلامه يوافق كلام المرجئة لا الجهمية وآخر الا قول حدوثا في ذلك قول الكرامية ان الايمان سم للقول باللسان وان لم يكن معه اعتقاد القلب وهذا القول أفسد الا قول لكن أصحابه لا يخالفون في الحكم فانهم يقولون ان هذا الايمان باللسان

دون القلب هو ايمان المنافقين وانه لا ينفع في الآخرة وانما أوقع هؤلاء كلهم ما أوقع الخوارج والمعتزلة في ظنهم أن الايمان لا يتبعض بل اذا ذهب بعضه ذهب كله * ومذهب أهل السنة والجماعة انه يتبعض وانه ينقص ولا يزول جميعه كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان) * فلا قول في ذلك لأئمة الخوارج والمعتزلة نازعوا في الاسم والحكم فلم يقولوا بالتبعيض لافي الاسم ولا في الحكم فرفعوا عن صاحب الكبيرة بالكيفية اسم الايمان وأوجبوا له الخلود في النيران * وأما الجهمية والمرجئة فنازعوا في الاسم لافي الحكم فقالوا يجوز أن يكون مشابها معاقبا محمودا مذموما لكن لا يجوز أن يكون معه بعض الايمان دون بعض وكثير من المرجئة والجهمية من يقف في الوعيد فلا يجزم بنفوذ الوعيد في حق أحد من أرباب الكبائر كما قال ذلك من قاله من مرجئة الشبهة والاشعرية كالقاضي أبي بكر وغيره ويذكر عن غلاتهم أنهم نفوا الوعيد بالكيفية لكن لا علم عينا مرفوفا ذكر عنه هذا القول ولكن حكى هذا عن مقاتل ابن سليمان والاشبه أنه كذب عليه *

(وأما أئمة السنة والجماعة) فعلى اثبات التبعيض في الاسم والحكم فيكون مع الرجل بعض الايمان لا كله ويثبت له من حكم أهل الايمان ونوابهم بحسب مامعه كما يثبت له من العقاب بحسب ما عليه وولاية الله تعالى بحسب ايمان العبد وتتواه فيكون مع العبد من ولاية الله تعالى بحسب مامعه من الايمان والتقوى فن أولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الذين آمنوا وكانوا يتقون) وعلى هذا فلتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والامرية وان كان في قوله بدعة يخالف بها نصا أو اجماعا قديما وهو لا يعلم انه يخالف ذلك بل قد أخطأ فيه كما خطئ في الفتوى والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده يكون أيضا مثابا من جهة اجتهاده الموافق اطاعة الله تعالى غير مشب من جهة ما أخطأ فيه وان كان معفوا عنه ثم قد يحصل فيه تفريط في الواجب أو اتباع لهوى يكون ذنبا منه وقد يقوى فيكون كبيرة وقد تقوم عليه الحجة التي بعث الله عز وجل بها رسوله ويemandها مشاقا للرسول من بعد ما تبين له الهدى متبعا غير سبيل المؤمنين فيكون مرتدا مناققا أو مرتدا ردة ظاهرة للكلام في الاشخاص لا بد فيه من هذا التفصيل * وأما الكلام في أنواع القول والاعمال بطنا وظاهرا من الاعتقادات والارادات وغير ذلك فالواجب فيما تنوزع فيه ذلك

أن يرد الي الله والرسول فوافق الكتاب والسنة فهو حق ومخالفه فهو باطل وما وافقه من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل فهذا هو *

(والمقصود هنا) أن أهل العلم والايان في تصديقهم لما يصدقون به وتكذيبهم لما يكذبون به وحمدهم لما يحمّدونه وذمهم لما يذمّونه متفقون على هذا الاصل فهذا يوجد أئمة أهل العلم والدين من المتسبين الى الفقه والزهد يذمون البدع لمخالفة للكتاب والسنة في الاعتقادات والاعمال من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف ونحوه وان كان في أوائل من هو مجتهد له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور له * وقد ثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه انه قال (خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين ينونهم) فكان القرن الاول من كمال العلم والايان على حال لم يصل اليها القرن الثاني وكذلك الثالث وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والايان وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها وكلما كانت أخف كانت الى الحدوث أقرب فهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة * وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية حتى قال ابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم أن الجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة بل هم زنادقة وهذا مع أن كثيرا من بدعهم دخل فيها قوم ليسوا زنادقة بل قبلوا كلام الزنادقة جهلا وخطأ قل الله تعالى (لو خرجوا فيكم زدوكم لا خيالا ولا وضعوا اخلالكم ببغواكم الفتنة وفيكم ساعون لهم) فاخبر سبحانه أن في المؤمنين من هو مستجيب للمناققين فما يقع فيه بعض أهل الايمان من أمور بعض المناققين هو من هذا الباب

X (والمقصود هنا) أن يعلم أنه لم يزل في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان أمته لا تبقى على ضلالة بل اذا وقع منكر من ليس حق بباطل أو غير ذلك فلا بد ان يقيم الله تعالى من يميز ذلك فلا بد من بيان ذلك ولا بد من اعطاء الناس حقوقهم كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم رواه أبو داود وغيره وهذا الموضع لا يحتمل من السمة وكلام الناس في مثل هذه الامور التي وقعت ممن وقعت منه بل المقصود التنبيه على جرم ذلك لان هذا محتاج اليه في هذه الاوقات فكتب الزهد والتصوف فيها من جنس ما في كتب الفقه والرأي وفي كلاهما

منقولات صحيحة وضعيفة بل وموضوعة ومقالات صحيحة وضعيفة بل وباطلة* وأما كتب
السلام ففيها من الباطل أعظم من ذلك بكثير بل فيها أنواع من الزندقة والنفاق* وأما كتب
الفلسفة فالباطل غالب عليها بل الكفر الصريح كثير فيها وكتاب الاحياء له حكم نظائره ففيه
أحاديث كثيرة صحيحة وأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة فان مادة مصنفه في الحديث والآثار وكلام
السلف وتفسيرهم للقرآن مادة ضعيفة وأجود ماله من المواد المادة الصوفية ولو سلك فيها مسلك
الصوفية أهل العلم بالآثار النبوية واحترز عن تصوف المتفلسفة الصائبين لحصل مطلوبه وبطل مقصوده
لكنه في آخر عمره سلك هذا السبيل وأحسن ما في كتابه أو من أحسن ما فيه ما يأخذه من كتاب
أبي طالب في مقامات العارفين ونحو ذلك فان أبا طالب أخبر بذوق الصوفية حالا وأعلم
بكلامهم وآثارهم سمعا وأكثر مباشرة لشيونهم الا كابر

﴿والمقصود هنا﴾ ان طرق العلم بصدق النبي عليه افضل الصلاة والسلام بل وتفاوت الطرق
في معرفة قدر النبوة والنبي متعددة تعددا كثيرا اذ النبي يخبر عن الله سبحانه انه قال ذلك اما
اخبارا من الله تعالى واما أمرا أو نبيا ولكل من حال الخبر والخبر عنه والخبر به بل ومن حال
الخبرين مصدقهم ومكذبهم دلالة على المطلوب سوى ما ينفصل عن ذلك من الخوارق وأخبار
الاولين والمواتف والكهن وغير ذلك* فالخبر مطلقا يعنى صدقه وكذبه بامور كثيرة لا يحصل
العلم بأحدها كما يحصل العلم بخبر الاخبار المتواترة بل بخبر الخبر الواحد الذي احتف بخبره
قرائن أفادت العلم

ومن هذا الباب علم الانسان بعدالة الشاهد والمحدث والمفتي حتى يزكهم ويفتي
بخبرهم ويحكم بشهادتهم وحتى لا يحتاج الحاكم في عدالة كل شاهد الى تركيته فانه لو احتاج كل
مزيكى الى مزيكى لزم التسلسل بل يعلم صدق شخص تارة باختباره ومباشرة وتارة باستفاضة
صدقه بين الناس ولهذا قل العلماء بن التمديد لا يحتاج الى بيان السبب فان كون الشخص
عدلا صادقا لا يكذب لا يتبين بذكر شيء معين بخلاف الجرح فانه لا يقبل الا مفسرا عند
جمهور العلماء لوجهين* (أحدهما) أن سبب الجرح ينضبط (الثاني) أنه قد يظن ما ليس بجرح
جرحا* وأما كونه صادقا متحررا للصدق لا يكذب فلهذا لا يعرف بشيء واحد حتى يخبر به
وانما يعرف ذلك من خلقه وعادته بطول المباشرة له والخبرة له ثم اذا استفاد ذلك عند عامة

من يعرفه كان ذلك طريقا للعلم لمن لم يباشره كما يعرف الانسان عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وظلم الحجاج * ولهذا قال الفقهاء إن العدالة والفسق يثبت بالاستفاضة وقالوا في الجرح المفسر يجرحه بما رآه أو سمعه أو استفاض عنه وصدق الانسان في العادة مستلزم لخصال البر كما أن كذبه مستلزم لخصال الفجور كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي الى الفجور وإن الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) وكما أن الخبر المتواتر يعلم لكونه خبر من يمتنع في العادة اتفاقهم وطواطؤهم على الكذب والخبر المنكر المكذب يعلم لكونه لم يخبر به من يمتنع في العادة اتفاقهم على الكتمان نخاف الشخص وعادته في الصدق والكذب يمتنع في العادة أن يخفى على الناس فلا يوجد أحد يظهر تحري الصدق وهو يكذب إذا أراد ألا ولا بد أن يتبين كذبه فإن الانسان حيوان ناطق فالكلام له وصف لازم ذاتي لا يفارقه والكلام اما خبر واما نشاء والخبر أكثر من الانشاء وأصل له كما أن العلم أعم من الارادة وأصل لها والمعلوم أعظم من المراد فالعلم يتناول الموجود والمعدوم والواجب والممكن والممتنع وما كان وما سيكون وما يختاره العالم وما لا يختاره * وأما الارادة فتختص ببعض الامور دون بعض والخبر يطابق العلم فكل ما يعلم يمكن الخبر به والانشاء يطابق الارادة فان الامر اما محبوب يؤمر به أو مكروه ينهى عنه وأما ما ليس بمحبوب ولا مكروه فلا يؤمر به ولا ينهى عنه وإذا كان كذلك فالانسان اذا كان متحررا للصدق عرف ذلك منه وإذا كان يكذب أحيانا لغرض من الاغراض لجلب ما يهواه أو دفع ما ينفسه أو غير ذلك فن ذلك لا بد أن يعرف منه وهذا أمر جرت به العادات كما جرت بنظائره فلا تجد أحدا بين طائفة من الطوائف طالت مباشرتهم له الا وهم يعرفونه هل يكذب أو لا يكذب * ولهذا كان من سنة القضاة اذا شهد عندهم من لا يعرفونه كان لهم أصحاب مسائل يسألون عنه جيرانه ومعاذيه ونحوهم ممن له به خبرة فمن خبر شخصا خبرة بظنة فانه يعلم من عادته علما يقينيا أنه لا يكذب لا سيما في الامور العظام ومن خبر عبد الله ابن عمر وسعيد بن المسيب وسفيان الثوري ومالك بن أنس وشعبة بن الحجاج ويحيى بن سعيد

القطان وأحمد بن حنبل وأصماف أضماهم حصل عنده علم ضروري من أعظم العلوم
الضرورية ان الواحد من هؤلاء لا يعتمد الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ومن تواتر عنه أخبارهم من أهل زماننا وغيرهم حصل له هذا العلم الضروري ولكن قد
يجوز على أحدهم الغلط الذي يليق به ثم خبر الفاسق والكافر بل ومن عرف بالكذب قد تقترب
به فرائض تفيد علما ضروريا ان المخبر صادق في ذلك الخبر فكيف ممن عرف منه الصدق في الأشياء
فمن كان خبيرا بحال النبي صلى الله عليه وسلم مثل زوجته خديجة وصديقه أبي بكر اذا أخبره
النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه أو سمعه حصل له علم ضروري بأنه صادق في ذلك ليس هو
كاذبا في ذلك ثم إن النبي لا بد أن يحصل له علم ضروري بأن ما أتاه صادق أو كاذب فيصير إخباره
عما علمه بالضرورة كإخبار أهل التواتر عما علموه بالضرورة * وأيضا فالنبي الكذاب كسيدة
والمنسى ونحوهما يظهر لمخاطبه من كذبه في أثناء الأمور أعظم مما يظهر من كذب غيره فانه
اذا كان الإخبار عن الأمور المشاهدة لا بد أن يظهر فيه كذب الكاذب فما الظن بمن يخبر عن
الأمور الغائبة التي تطلب منه ومن لوازم النبي التي لا بد منها الإخبار عن الغيب الذي أنبأه
الله تعالى به فان من لم يخبر عن غيب لا يكون نبيا فاذا أخبره النبي عن الأمور الغائبة عن حواسهم
من الحاضرات والمستقبلات والماضيات فلا بد أن يكذب فيها ويظهر لهم كذبه وان كان قد
يصدق أحيانا في شيء كما يظهر كذب الكهان والمنجمين ونحوهم وكذب المدعين للدين والولاية
والمشيخة بالباطل فان الواحد من هؤلاء وان صدق في بعض الوقائع فلا بد أن يكذب في
غيرها بل يكون كذبه أغلب من صدقه بل تتناقض أخباره وأوامره وهذا أمر جرت به سنة
الله التي ان تجد لها تبديلا قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)
وأما النبي الصادق المصدوق فهو فيما يخبر به عن الغيوب توجد أخباره صادقة مطابقة وكلما زادت
أخباره ظهر صدقه وكلما قويت مباشرته وامتعانه ظهر صدقه كالذهب الخالص الذي كلما
سبك خلص وظهر جوهره بخلاف المغشوش فانه عند المحنة ينكشف ويظهر أن بطنه خلاف
ظاهره ولهذا جاء في النبوات المتقدمة أن الكذاب لا يدوم أمره أكثر من مدة قليلة
أما ثلاثين سنة وأما أقل فلا يوجد مدعي النبوة كذابا الا لا بد أن ينكشف ستره ويظهر أمره
والانبياء الصادقون لا يزال يظهر صدقهم بل الذين يظهرون العلم ببعض الفنون والخبرة

ببعض الصناعات والصالح والدين والزهد لا بد أن يتميز هذا من هذا وينكشف فالصادقون يدوم أمرهم والكذابون ينقطع أمرهم هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التي لن تجد لها تبديلاً * وأما المخبر عنه وبه كائنني يخبر عن الله تعالى بأنه أخبر بكذا أو أنه أمر بكذا فلا بد أن يكون خبره صدقاً وأمره عدلاً (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) والامور التي يخبر بها ويأمر بها تارة تنبه العقول على الامثال والادلة العقلية التي يعلم بها صحتها فيكون ما علمته العقول بدلائله وارشده من الحق الذي أخبر به والخبر الذي أمر به شاهداً به هاد ومرشد معلم للخير ليس بمضلل ولا مغو ولا معلم للشر وهذه حال الصادق البر دون الكاذب الفاجر فمن الكاذب الفاجر لا يتصور أن يكون ما يأمر به عدلاً وما يخبر به حقاً وإذا كان أحياناً يخبر ببعض الامور الغائبة كشيطان يقرن به يلقي اليه ذلك أو غير ذلك فلا بد أن يكون كاذباً فجاراً كما قال تعالى ﴿ قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم ﴾ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون وهذا بيان لان الذي يأتيه ملك لا شيطان فان الشيطان لا ينزل على الصادق البار ما دام صادقة باراً اذ لا يحصل مقصوده بذلك وانما ينزل على من يناسبه في التشيطان وهو الكاذب الاثيم * والاثيم الفاجر * وتارة يخبر النبي بامور ويأمر بامور لا يتبين للمقول صدقها ومنفعتها في أول الامر فذا صدق الانسان خبره وأطاع أمره وجد في ذلك من البيان للحقائق والمنفعة والفائدة ما يعلم به ان عنده من عظيم العلم والصدق والحكمة ما لا يعاينه الا الله تعالى أعظم مما يتبين به صدق الطبيب اذا استعمل ما يصفه من الادوية وصدق العقل المشير اذا استعمل ما يراه من الآراء وامثال ذلك وحينئذ فيحصل للنفس علم ضروري بكمال عقله وصدقته فذا أخبر بعد ذلك عن امور ضرورية يراها أو يسمعها حصل للنفس علم ضروري بأنه صادق لا يعتمد الكذب وانه متيقن لما أخبر به ليس فيه خطأ ولا غلط أعظم مما يتبين به صدق من أخبر عما رآه من الرؤيا * أو عما رآه من العجائب وامثال ذلك فان الخبر انما تأتية الآفة من تعمد الكذب أو الخطأ بان يظن الامر على خلاف ما هو عليه فان كان من العلوم الضرورية التي كلما دامت قويت وظهرت وزادت زال احتمال الخطأ وما كان يتجرى الصدق الذي يعلم معه بالضرورة وانتفاء تعمد الكذب هو وغيره من الامور التي يعلم معها انتفاء تعمد الكذب ويؤول معه احتمال تعمده وأما العلم بالعدل فيما يؤثر به وبالعدل الفاضل فيما يأمره

فهذا يعلم تارة مما بينه من الادلة العقلية ونضربه من الامثال وهذا هو الغالب على ما يذكره الانبياء عليهم السلام من أصول لدين علما وعملا وتارة يظهر ذلك بالتجربة والامتحان * وتارة يستدل بما علم على ما لم يعلم * وأيضا فقد علم ان العالم مازال فيه نبوة من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالنبي الثاني يعلم صدقه بامور منها اخبار انبي الاول به كما بشر بنينا محمد عليه افضل الصلاة وأكمل السلام الانبياء قبله * وكذلك بشر بالمسيح الانبياء قبله * وتارة يعلم صدقه بان يأتي بمثل ما أتوا به من الخبر والامر فن الكذاب الفاجر لا يتصور ان يكون في اخباره وأوامره موافقا للانبياء بل لا بد أن يخالفهم في الاصول السككية التي اتفق عليها الانبياء كالتوحيد والنبوات والمعاد كما ان القاضي الجاهل أو الظالم لا بد أن يخالف سنة القضاة العالمين العاديين * وكذلك المفتي الجاهل أو الكاذب * والطبيب الكاذب أو الجاهل فن كل هؤلاء لا بد أن يتبين كذبهم أو جهلهم بخالفهم لما مضت به سنة أهل العلم والصدق * وان كان قد يخالف بعضهم بعضا في أمور اجتهادية فنه يعلم الفرق بين ذلك وبين المخالفة في الاصول السككية التي لا يمكن انحرافها ولهذا يتميز للناس في الامراء والحكام ولقنين والمحدثين والاطباء وسائر الاصناف بين العالم الصادق وان خالف غيره من أهل العلم في الصدق في أشياء وبين من يكون جاهلا أو كاذبا ضالما ويفرقون بين هذا وهذا كما أنهم يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر من العلم والعدل ما لا يرتابون فيه وان كان بينهما منازعات في أمور اجتهادية كالنقض في المطاع ونحو ذلك * وأيضا اذا أخبر اثنان عن قضية طويلة ذات أجزاء وشعب لم يتواطأ عليها ويمتنع في المادة اتفاقهما فيها على تعمد الكذب والخطأ علمنا صدقهما مثل أن يشهد رجلان واقعة من وقائع الحروب * أو يشهد الجمعة أو العيد أو موت ملك أو تغير دولة ونحو ذلك أو يشهدا خطبة خطيب أو كتابا لبعض الولاة أو بطاما كتابا من الكتب أو يحفظاه ونعلم انهما لم يتواطأا ثم يحكي أحدهما فيخبر بذلك كله مفصلا شيئا فشيئا من غير تواطئ فيعلم انهما صادقان ويخبر الآخر بمثل ما أخبر به الاول مفصلا شيئا فشيئا من غير تواطئ فيعلم انهما صادقان حتى لو كان رجلان يحفظان بعض قصائد العرب كقصيدة امرئ القيس أو غيرها وهناك من لا يحفظها وهناك شخصان لا يعرف أحدهما الآخر فقال الذي لا يحفظها لأحدهما انشدها فانشدها ثم طلب الآخر وقال له انشدها فانشدها كما أنشد الاول علم المستمع انها هي بل وكذلك كتب الفقه والحديث واللغة والطب وغير ذلك ولو بعث بعض الملوك رسلا الى أمرائه

ونوابه في أمر من الأمور ثم أخبر أحد الرسل بان أمر بامر ذكره وفصله وأخبر الآخر
بمثل ذلك للقوم الذين أرسل اليهم من غير علم منه بأرسال الآخر لعلم قطما ان ذلك الأمر هو
الذي أمر به المرسل وانهما صادقان فانه يعلم علما ضروريا انه يمتنع في الكذب والخطأ أن يتفق
في مثل هذا * ومعلوم ان موسى عليه السلام وغيره من الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا
قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبروا عن الله سبحانه وتعالى من توحيده وأسمائه وصفاته
وملائكته وأمره ونهييه ووعدته ووعدته وأرساله بما أخبروا به * ومعلوم أيضا لمن علم حال
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه كان رجلا أميا نشأ بين قوم أميين ولم يكن يقرأ كتابا ولا
يكتب بخطه شيئا كما قال تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب
المبطلون ﴾ وان قومه الذين نشأ بينهم لم يكونوا يعلمون علوم الانبياء بل كانوا من أشد الناس
شركا وجهلا وتبديلا وتكذيبا بالمعاد وكانوا من أبلد الأمم عن توحيد الله سبحانه * ومن أعظم
الأمم اشراكا بالله عز وجل * ثم اذا تدبرت القرآن والتوراة وجدتهما يتفقان في عامة المقاصد
الكلية من التوحيد والنبوات والاعمال الكلية وسائر الاسماء والصفات ومن كان له علم بهذا
علم علما ضروريا ما قاله النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وما قاله
ورقة بن نوفل ان هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى قال تعالى (قل أرايتم ان كان من
عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) وقال تعالى (فان كنت في شك
مما أنزلك اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) وقال تعالى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب) وأمثال ذلك مما يذكر فيه شهادة الكتب المتقدمة بمثل ما أخبر به نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم * وهذه الاخبار منقولة عند أهل الكتاب بالتواتر كما نقل عندهم بالتواتر معجزات
موسى وعيسى عليهما السلام وان كان كثير مما يدعون من أدق الأمور لم يتواتر عندهم لا تغطا التواتر
فيهم فالفرق بين الجمل الكلية المشهورة التي هي أصل الشرائع التي يعلمها أهل الملل كلهم وبين الجزئيات
للدقيقة التي لا يعلمها الا خواص الناس ظاهر ولهذا كان وجوب الصلوات الخمس وشهر رمضان
وحج البيت وتحريم الفواحش والكذب ونحو ذلك متواترا عند عامة المسلمين وأكثرهم
لا يعلمون تفاصيل الاحكام والسنن المتواترة عند الخاصة فذا كان في الكتب التي بأيدي أهل
الكتاب وفيما ينقلونه بالتواتر ما يوافق ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان في

ذلك فوائد جلية هي من بعض حكمه اقرارهم بالجزية (أحدها) أنه اذا علم اتفاق الرسل على مثل هذا علم صدقهم فيما أخبروا به عن الله تعالى حيث أخبر محمد عليه الصلاة والسلام بمثل ما أخبر به موسى من غير تواطؤ ولا تشعير (الثاني) أن ذلك دليل على اتفاق الرسل كلهم في أصول الدين كما يعلم أن رسل الله قبله كانوا رجلا من البشر لم يكونوا ملائكة فلا يجعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحده هو الذي جاء بها كما قال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديث يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

(الثالث) أن هذه آية على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أخبر بمثل ما أخبرت به الانبياء من غير تعلم من بشر وهذه الامور هي من الغيب قال تعالى (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فصبر ان العاقبة للمتقين) وقال تعالى (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا امرهم وهم يكفرون) وقال تعالى (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين * ولما أنشأ قرونا فطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما تأم من نذير من قبلك اعلمهم يتذكرون * ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين * فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران ظاهرا وقالوا انا بكل كافرون * قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه ان كنتم صادقين * فأن لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين * ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون * الذين آتيناهم الكتاب من قبله به يؤمنون * واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم

مرتين بما صبروا ويدرون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين * وكثير من أهل الكتاب آمنوا بمثل هذه الطرق قل تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للاذقان يكرهون ويزيدهم خشوعا) وقال تعالى (والذين آتيناكم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) وقال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد)

(ولاريب) ان منكري النبوات لهم شبه * منها انكار ان يكون رسول الله بشرا * ومنها دعوى أن الذي يأتيه شيطان لا ملك وغير ذلك وكل ذلك قد أجاب الله تعالى عنه في القرآن العظيم وقرر ذلك ببالغ تقرير لکن جواب هذا السؤال لا يتسع لبسط ذلك في القرآن قال تعالى (الرآلك آيات الكتاب الحكيم * أكان للناس عجا ان أوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس) وقال تعالى (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابث الله بشرا رسولا * قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئننين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين * وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) بين ان الرسول لو كان ملكا لكان في صورة رجل اذ لا يستطيعون الاخذ عن الملك على صورته ولو كان في صورة رجل لعاد اللبس وقالوا (ابث الله بشرا رسولا) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم من أهل القرى افلم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وما جعلنا جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين) فامر سبحانه بمسألة أهل الذكر اذ ذلك مما تواتر عندهم ان الرسل كانوا رجالا * وقال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلناهم ازواجا وذرية)

(وبالجملة) فتقرير النبوات من القرآن اعظم من ان يشرح في هذا المقام اذ ذلك هو عماد

الدين وأصل الدعوة النبوية وينبوع كل خير وجماع كل هدي وأما حال المخبر عنه فإن النبي والرسول يخبر عن الله تعالى بأنه أرسله ولا أعظم فرية ممن يكذب على الله جل وعز كما قال تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) ذكر هذا بعد قوله (وما قدروا الله حق قدره اذ قلوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتحفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آبائكم قل الله ثم ذر في خوضهم يلعبون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء * ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) فتنقض سبحانه دعوى الجاحد النافي للنبوة بقوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) وذلك الكتب ظهر فيه من الآيات والبيّنات واتبعه كل الأنبياء والمؤمنين وحصل فيه ما لم يحصل في غيره فكانت البراهين والدلائل على صدقه أكثر وأظهر من أن تذكر بخلاف الإنجيل وغيره وأيضا فإنه أصل والانجيل تبع له فن ذلك الخبر به وعنه إلا فيما أحله المسيح وهذا يقول سبحانه أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا أي القرآن والتوراة وفي القراءة الأخرى قالوا ساحران أي محمد والقرآن وكذلك قوله (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) الآية وكذلك قوله (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) وكذلك قول الجن (إن سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) ولهذا كانت قصة موسى هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن وهي أكبر من غيرها وتبسط أكثر من غيرها قال عبد الله بن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة نهاره يحدثنا عن بني إسرائيل * ولما قرأ الصدق بين حال الكذابين بأنهم ثلاثة أصناف إذ لا يخلو الكذاب من أن يضيف الكذب إلى الله تعالى ويقول أنه أنزله أو يهدف فاعله ولا يضيفه إلى أحد أو أن يقول أنه هو الذي وضعه معارضا فقال تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وأما المخبر عنه فإنه الله تعالى

ولا ريب انه يعلم من أمور الرب سبحانه بما نصبه من الادلة المماثلة الحسية التي يعقل بها نفسها وبالأمثال المضروبة وهي الاقيسة العقلية ما يمتنع معه خفاء كذب الكاذب بل يمتنع معه خفاء صدق الصادق فالدجال مثلا قد علم بوجوده متعددة ضرورية انه ليس هو الله وانه كافر مفتر واذا كانت دعواه معلوما كذبها ضرورة لم يكن ما يأتي به من الشبهات مصدقا لها اذ العلوم الضرورية لا تقدر فيها الطرق النظرية فن الضروريات أصل النظريات فلو قدح بها فيها لزم ابطال الاصل بالفرع فيبطلان جميعا فانه يظهر أيضا من عجزه ما يتقوى دعواه وكذلك من أباح الفواحش والمظالم والشرك والكذب مدعيا للنبوته يعلم بالاضطرار كذبه للعلم الضروري بان الله سبحانه لا يأمر بهذا سواء قيل ان العقل يعلم به حسن الافعال وقبحها أولا يعلم به فليس كلما أمكن في العقل وقوعه وكان لله قادرا عليه يشك في وقوعه بل نحن نعلم بالضرورة ان البحار لم تنقلب دما وان الجبال لم تنقلب يواقيت وأمثال ذلك من المعادن وان لم يسند ذلك الى دليل معين وان كنا عالمين بان الله تعالى قادر على قلب ذلك لكن العلم بالوقوع وعدمه شيء والعلم بامكان ذلك من قدرة الله سبحانه شيء وكل ذي فطرة سليمة يعلم بالاضطرار ان الله تعالى لا يأمر عباده بالكذب والظلم والشرك والفواحش وأمثال ذلك مما قد يأتي به كثير من الكذابين بل يعلم بفطرته السليمة ما يناسب حال الربوبية وهذا باب واسع ايس هذا موضع بسطه ولكن نذكر ما أشار اليه مصنف العقيدة

﴿ فصل ﴾

فهذه الطرق سلكها أكثر أهل الكلام وغيرهم ولهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرق (أحدها) ان اظهار المعجزة على يدي المتنبى الكذاب قبيح والله سبحانه منزّه عن فعل القبيح وهذه الطرق سلكها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بالتحسين والتقبيح وطعن فيها من ينكر ذلك ثم ان المعتزلة جعلوا هذه أصل دينهم والتزموا بها لوازم خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة بل وصريح العقل في مواضع كثيرة وحقيقة أمرهم انهم لم يصدقوا الرسول الا بتكذيب بعض ما جاء به وكأهم قالوا لا يمكن تصديقه في البعض الا بتكذيبه في البعض لكنهم لا يقولون انهم يكذبونه في شيء بل تارة يطمنون في النقل وتارة يتأولون المنقول ولكن يعلم بطلان ما ذكره اما ضرورة واما نظرا وذلك انهم قالوا ان السمع مبني على صدق الرسول وصدقه على

ان الله تعالى منزّه عن فعل القبيح فان تأييد الكذاب بالمعجزة قبيح والله منزّه عنه قالوا والدليل
 على انه منزّه عنه ان القبيح لا يفعله الا جاهل بقبحه أو محتاج والله سبحانه منزّه عن الجهل
 والحاجة والدليل على ذلك ان المحتاج لا يكون الا جسم والله تعالى ليس بجسم (والدليل) على
 انه ليس بجسم هو ما دل على حدوث العالم والدليل على حدوث العالم انه اجسام وعراض وكلاهما
 محدث والدليل على حدوث الاجسام انها لا تخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو
 حادث والدليل على ذلك انها لا تفك عن الحركة والسكون وهما حادثان لا متناهيان حوادث لا أول
 لها ثم التزموا لذلك حدوث كل موصوف بصفة لان الصفات هي لاعراض والاعراض
 لا تقوم الا بجسم وقد قام الدليل على حدوث الجسم فالتزموا لذلك ان لا يكون لله علم ولا قدرة
 وان لا يكون متكلماً قام به الكلام بل يكون القرآن وغيره من كلامه تعالى مخلوقة خلقه في غيره
 ولا يجوز ان يرى لافي الدنيا ولا في الآخرة ولا هو مبين للعالم ولا بجانبه ولا داخل فيه ولا خارج
 عنه ثم قالوا ايضا لا يجوز ان يشاء خلاف ما أمر به ولا ان يخلق افعال عباده ولا يقدر ان يهدي
 ضاللا ولا يضل مهتديا لانه لو كان قادرا على ذلك وقد أمر به ولم يعن عليه لكان قبيحا منه
 فركبوا عن هذا الاصل التكذيب بالصفات والتكذيب بالقدر وسموا أنفسهم اهل التوحيد
 والمعدل وسموا من أثبت الصفات من سلف الامة وأئمتها مشبهة ومجسمة ومجبرة وحشوية
 وجعلوا مالكا واصحابه والشافعي واصحابه وأحمد واصحابه وغيرهم من هؤلاء الحشوية الى أمثال
 هذه الامور التي بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع وأصل ضلالهم في القدر انهم شبهوا
 المخلوق بالخالق سبحانه فهم مشبهة الافعال * وأما أصل ضلالهم في الصفات فظنهم ان الموصوف
 الذي تقوم به الصفات لا يكون الا محدث * وقولهم من أبطل الباطل فانهم يسمون ان الله حي
 عليم قدير ومن المعلوم ان حيا بلا حياة وعليا بلا علم وقديرا بلا قدرة مثل متحرك بلا حركة وأبيض
 بلا بياض واسود بلا سود وطويل بلا طول وقصير بلا قصر ونحو ذلك من الاسماء المشتقة
 التي يدعى فيها نفي المعنى المشتق منه وهذا مكابرة للمقل والشرع واللغة * الثاني انه ايضا من المعلوم
 ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا غيره فاذ خالق سبحانه كلاما في محل وجب ان
 يكون ذلك المحل هو المتكلم به فتكون الشجرة هي القائلة لموسى اننى انا الله لا اله الا أنا فاعبدني ويكون
 كلما أنطقه الله تعالى من المخوقات كلامه كلام الله تعالى وبسط هذا له موضع غير هذا *

(والمقصود هنا ما يتفق بتقرير النبوة وقد يقال يمكن تقرير كونه سبحانه منزها عن تأييد
 الكذاب بالمجزة من غير بناء على أصل المعتزلة بما علم من حكمة الله تعالى في مخلوقاته ورحمته
 يبرته وسنته في عبادته فن ذلك دليل على أنه لا يؤيد كذابا بمجزة لا معارض لها ويمكن بسط
 هذه الطريقة وتقريرها بما ليس هذا موضعه في أنه كما علم بما في مصنوعاته من الاحكام والاتقان
 انه عالم وبما أن فيها من التخصيص انه مرید فيعلم بما فيها من النفع للخلاق انه رحيم وبما فيها
 من الغايات المحموده انه حكيم والقرآن بين آيات الله لدلة على قدرته ومشيتته وآياته الدالة على
 انعمه ورحمته وحكمته وامن هذا أكثر في القرآن كقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي
 خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من
 السماء ماء فخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون) وقوله تعالى (أفأنتم
 ماتمنون * أنتم تخلقونه ثم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل
 أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون * أفأنتم ما تحرثون
 أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناهم فظا لم تفكهم أن المغمومون بل نحن
 محرومون * أفأنتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء لجعلناه
 حثا فافئولا تشكرون * أفأنتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها
 تذكرة ومتاعا للمقوين * فسيح اسم ربك العظيم) وقوله سبحانه (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال
 أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا
 شدادا وجعلنا سراجا وهجوا ونزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات النافا)
 وقوله عز وجل (فلينظر الإنسان الى طعامه * أنا صيبنا الماء صبائنا شققنا الأرض شققا فنبتنا
 فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخللا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متعاليكم ولا نعمكم) وقوله جل
 وعز (أولم يروا ان نسوق الماء الى الأرض الجرز فتخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم
 أفلا يبصرون) وهو سبحانه في سورة الرحمن يقول في عقب كل آية (فبأي آلاء ربكماتكفبان)
 وهو يذكر فيها ما يدل على خلقه وعلمه وقدرته ومشيتته وما يدل على نعمه ورحمته وحكمته
 وكذلك ذكر في مخاطبة الرسل للكفار كقوله سبحانه (قال فمن ربكم يا موسى قال ربنا الذي
 أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربنا في كتاب لا يضل

ربي ولا ينسى * الذي جعل لكم الارض مهبطا وسلك لكم فيها سبيلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهي)

ومثل هذا في القرآن كثير وما فطر فيه من المخلوقات دل على ذلك وفي نفس الانسان عبرة تامة فان من نظر في خلق أعضائه وما فيها من المنافع له وما في تركيبها من الحكمة والمنفعة مثل كون ماء العين مالحا ليحفظ شحمة العين من أن تذوب وماء الاذن مرأ ليمنع الذباب من الولوج وماء الفم عذبا لطيب ما يمضغ من الطعام وأمثال ذلك علم علما ضروريا ان خالق ذلك له من الرحمة والحكمة ما يبهر العقول مع ما في ذلك من الدلالة على المشيئة ثم اذا استقرأ ما يجده في نوع الانسان من أن كل من عظم ظلمه للخلق وضراره لهم كانت عاقبته عاقبة سوء واتبع اللعنة والذم ومن عظم نفعه للخلق واحسانه اليهم كانت عاقبته عاقبة خير وأمثال ذلك استدل بما علم على ما لم يعلم حتى يعلم أن الدولة ذات الظلم والجبن والبخل سريرة الانتضاء كما قال تعالى (ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل * الا تنفروا يمدبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا) وقال عز وجل (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنسبكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) كذلك سنده في الانبياء الصادقين واتباعهم من المؤمنين وفي الكذابين والمكذبين بالحق ان هؤلاء ينصرون ويبقى لهم لسان صدق في الآخرين واولئك ينتقم منهم ويجعل عليهم اللعنة

فهذا وأمثاله يعلم انه لا يؤيد كذبا بالمعجزة لا معارض لها لان في ذلك من الفساد والضرر بالابد ما تمنعه رحمته وفيه من سوء العاقبة ما تمنعه حكمته وفيه من نقض سنته المعروفة وعادته المطردة ما تعلم به مشيئته قال تعالى (ولوقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم انقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقال تعالى (ولولا ان تبنتك اممك كدت تركن اليهم شيئا قليلا * اذا لا ذقتك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجمد لك علينا نصيرا) وقال تعالى (أم يقولون اقترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) ثم قل (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو

زاهق وليم الويل مما تصفون) وقال تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) (قل جاء الحق وما يبدؤ الباطل وما يعيد)

﴿ فصل ﴾

وهذه الطريق لم يسلكها أبو الحسن الاشعري وأصحابه ومن وافقه من علماء المذهب كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وابن الزاغوني والاستاذ أبي المعالي وصاحبه الانصارى والشهرستاني وأمثالهم وأبي الوليد الباجي والمازرى ونحوهم بناء على أنهم لا يرون تنزيه الرب سبحانه عن فعل من الافعال لانهم قد علموا أن له أن يفعل ما يشاء وهم لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقبيين حتى يقولوا إن الفعل الغلافي قبيح وهو منزّه عن فعل القبيح بل عندهم أن الظلم غير مقدور اذا الظلم التصرف في ملك غيره فهما فعل كان تصرفه في مسكه فم يكن ظلما بل يقولون إنه يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء ولا يحملون للافعال صفات باعتبارها يكون الحسن والقبح وانتهى ما أثبتوه من الصفات بالمقل الى أنه حتى عليم قدير مرید وأثبتوا مع ذلك أنه سمیع بصیر متكلم * فأما الرحمة والحكمة ونحو ذلك فلم يثبتوها بالمقل بل قد ينفون الحكمة التي هي الغايات والمقاصد في أفعاله ويعلمون أن يفعل شيئا لاجل شيء كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع

﴿ فن المقصود هنا ﴾ التنبيه على طرق الناس في النبوة والكلام عليها بحسب المعدل والانصاف لا بسط الكلام في كل ما تنازعوا فيه * ومسئلة التحسين والتقبيح العقليين هي كما تنازع فيها عامة الطوائف فقال بكل من القواين طوائف من المالكية والشافعية والحنبلية ومن قال بالاثبات من الحنبلية أبو الحسن التميمي وأبو الخطاب ومن قال بالنفي أبو عبد الله ابن حامد وصاحبه القاضي أبو يعلى وأكثر أصحابه * ومسئلة حكم الاعيان قبل ورود الشرع هي في الحقيقة من فروعها * وقد قال فيها بالخطر أو الاباحة أعيان من هذه الطوائف * وأما الحنفية فلغالب عليهم القول بالتحسين والتقبيح العقبيين وذكروا ذلك نصا عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى وأهل الحديث فيها أيضا على قواين ومن قال بالاثبات أبو النصر السجزي وصاحبه الشيخ أبو القاسم سعيد بن علي الزنجاني * فاما ما اختصت به القدرية فهذا لا يوافقهم عليه أحد من هؤلاء ولكن هؤلاء هم وجهور الفقهاء بل وجهور الامة يرون أن الافعال صفات يتعاقب الامر والنهي بها

لأجلها * وما يخص ذلك أن الله تعالى إذا أمر بامرٍ أمر به حسن بلا تفق وإذا نهى عن شيء فانه
 قبيح بالاتفاق لكن حسن الفعل وقبحه أما أن ينشأ من نفس الفعل والامر والنهي كاشفان أو ينشأ
 من نفس تعلق الامر والنهي به أو من المجموع * فالاول هو قول المعتزلة ولهذا لا يجوزون
 نسخ العبادة قبل دخول وقتها لانه يستلزم أن يكون الفعل الواحد حسناً قبيحاً وهذا قول
 أبي الحسن التميمي من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء (والثاني) قول الأشعرية ومن وافقهم
 من الظاهرية وفقهاء الطوائف وهؤلاء يجملون على الشرع مجرد أمارات ولا يثبتون بين المال
 والافعال مناسبة لكن هؤلاء الفقهاء منتفزون في هذا الباب فتارة يقولون بذلك موافقة
 للأشعرية المتكلمين وفي أكثر تصرفاتهم يقولون بخلاف ذلك كما يوجد مثل هذا في كلام
 فقهاء المالكية والشافعية والحنبلية * وإما أن يكون ذلك ناشئاً من الأمرين وهذا مذهب
 الأئمة وعليه تجري تصرفات الفقهاء في الشريعة فتارة يؤمر بفعل الحكمة تنشأ من نفس الامر
 دون المأمور به وهذا هو الذي يجوز نسخه قبل التمكين كما نسخت الصلاة ليلة المعراج من
 خمسين إلى خمس وكما نسخ أمر إبراهيم بذبح ابنه عليهما السلام

(وبالجملة جهور) الأئمة على أن الله تعالى منزّه عن أشياء هو قادر عليها ولا يوافقون هؤلاء على
 أنه لا ينزّه عن مقدور الظم لذي نزهة الله سبحانه عنه نفسه في القرآن وحرمة على نفسه وهو قادر عليه
 وهو هضم الانسان من حسنة أو حمل سيئة غيره عليه كما قال تعالى (ومن يهمل من الصالحات وهو
 مؤمن فلا يخف ضلها ولا هضم) وهؤلاء الجمهور لا يوافقون المعتزلة على قولهم أن الله تعالى لم يخلق افعال
 العباد ولا شاء الكائنات بل يقولون أن الله خلق كل شيء وما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن لكنهم مع هذا
 يثبتون فعله حكمه وينزهونه عن التبني وهذا قول الكرامية وغيره من أهل الكلام وهو قول
 أكثر الصوفية وأكثر أهل الحديث وجمهور السلف والأئمة وجمهور المسلمين والنظار لكن
 ليس هذا موضع بسطه * وهؤلاء يسلكون في إثبات النبوة ما يسلكه ابن عقيل وغيره في مواضع
 أخر إذا ثبت حكم الله تعالى فيها حيث قل النبوات واسطة بين الله تعالى وبين خلقه في الافعال
 والتروك المتضمنة لمصالح المكلفين والثقة بها طريقها ما سبق في علومنا باستدلالنا على أن الباري
 حكيم لا يؤيد كذاباً بالمعجزة ولا يمكن من معجزاته إلا من صدق فيما يخبر به عنه فلما علمنا ذلك
 وتحققناه حصات لنا الثقة بمن تكاملت فيه شرائط النبوة وعلمنا أنه سفير فيما بيننا وبين الله

تعالى وانه رسوله فيما أخبرنا به عنه قبلناه من غير تكشف عليه بقولنا ولا نضرب له الامثال
بآرائنا وعاداتنا بل نعتقد انه جاء من عنده من حكمته فوق حكمتنا وتديره فوق تدبيرنا ولا يمتنع
في العقل ولا تمنع الحكمة من أن يحمل لانياء مذكورين للعقلاء وهو قاطن لهم ومرشدين الى
الصالح الذي لا يدرك بالعقل ولا يبلغ كنهه بالرأى والفحص وهذا الا كما جعل بعض العقلاء
حكما واعظا مذكورا مؤدبا وبعضهم يحتاج الى مذكر ومؤدب ولا أحد منع من ذلك فثبت
حسن الرسالة بالعقل ولان لله جل وعز في الافعال والتروك اسرار من المصالح التي لا يعلمها
العقلاء ولا يدركونها بقولهم فاحتاجوا الى النبوات

﴿ قلت والمتصود هذا ﴾ ان من لم ينزهه عن فعل مقدور له بل جوز ان يفعل كلما يمكن ولم يثبت
لفعله حكمة غير متعلق بالحكم بالمفعولات وتعلق المشيئة بها فانه احتاج في دلالة المعجزة على
الصدق الى غير تلك الطريق فسلوكوا طريقين سلك كل طائفة من أهل الكلام والفقه من
أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد ﴿ أحدهما ﴾ وهو قول أكثر شيوخهم المتقدمين
ان وجه دلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة امتناع تعجز الاله عن نصب لدلالة على صدق
الرسول فان تصديقهم ممكن وذلك معلوم بالضرورة والاستدلال ولا دليل الى التصديق الا خلق
المعجزات وبظهورها على يد الكذاب يبطل دلائل صدقهم فلا يبقى في المقدور طريق يصدقون
به فيلزم عجز الاله عن الممكن وذلك ممتنع * وقد عول على هذه الطريقة أبو الحسن الاشعري
وأصحابه كالاستاذين أبي اسحاق وأبي بكر بن فورك وكذلك القاضي أبو بكر في مواضع من
كتبه وكذلك القاضي أبو يعلى وأبو الحسن بن الزاغوني ﴿ الطريق الثاني ﴾ هي التي اختارها
أبو المعالي وأتباعه وقل انها الطريقة المرضية عند القاضي أبي بكر وهي التي أشار اليها أبو الحسن في
الامالي وهي طريقة أبي محمد الصابوني ونحوه من الحنفية ان المعجزات تدل من حيث نزلت منزلة
التصديق بالتقول والعلم بذلك يقع ضروري بمرائن أحول كالعلم بحجل الخجل ووجل الوجل وغضب
الغضبان وحرارة الحر وخوف كلام الخطيب المتكلم ولا يتوقف العلم بما هذا سبيله على نظر واستدلال
فيقبل عليه اعتراض * قلوا ووجه ذلك ان الفعل الخارق لمادة اذ علم انه من قبل الله تعالى
وانه خارق للمادة وانه سبحانه فعله عند دعوى الرسالة والطب وعند قول جار مجرى الطب
اما معينا وإما غير معين من المعجزات وانه متعلق بالدعوى وطابق لها وان الله تعالى سامع

لدعوي النبوة عليه وعالم بها في مواضع أهل لغة الرسول ثم فعل ما يدعيه الرسول انه ليس من فعله علم انه قاصد بذلك الى تصديقه وان ما يفعله من الآيات في مثل هذه الحال قائم مقام تصديقه له بالقول صدق أنا أرسلته على وجه يفهم الامة التي يدعى فيها النبوة انه قول صدق به من قبله بل التصديق له بالفعل أبعد من دخول الشبهة والاحتمال فيه وهو جار مجرى قول مدع الرسالة على زيد ان كنت رسولك وصاحبك فاكتب بذلك رقعة أو اركب أو قم أو اقم وما جرى مجرى ذلك من الافعال الظاهرة للجواس التي يعلم تصديقه بها اذا فعلها فاذا فعل زيد ذلك قام مقام قوله صدق هو رسولى وصاحبى الذى يعلم ضرورة قصده الى تصديقه به وهذا واجب لا محالة قالوا وليس يمكن أن تدل المعجزات على صدق الرسل الا على هذه الطريقة فهي كذلك جارية مجرى أدلة الاقوال * هذا حاصل كلام القاضى أبى بكر ابن الباقلانى فى احد قوليه وأبى المعالى ونحوهما وضربوا لذلك مثلاً فقالوا اذا تصدى ملك للناس وتصدر لتاج عليه رعيته وأتباعه وغيره واحتفل المجلس واحتشد وقد أرقق الناس شغل شاغل فلما أخذ كل مجلسه وترتب الناس على مراتبهم انتصب واحد من خواص الناس وقال معاشر الاشهاد قد حدث بكم أمر عظيم وأظلم خطب جسيم وأنا رسول الملك اليكم وموثقه لديكم ورقبيه عليكم ودعوى هذه بمرأى من الملك ومسمع فان كنت أيها الملك صادقة فى دعوى خالف عادتك وجانب سجيتك وانتصب فى خدرك قائماً ثم اقمه فعمل الملك ذلك على وفق دعواه وموافقة هواه فيتيقن الحاضرون علم الضرورة بتصديق الملك اياه وتنزيل الفعل الصادر منه منزلة القول المصرح بالتصديق * فهذا المدة فى ضرب المثال فان تعسف متعسف فى الصورة التى فرضنا الكلام فيها وزعم انه لا يحصل العلم بتصديق الملك لمن يدعى الرسالة كان ذلك جحداً منه لما علم اضطراباً فإنا نعلم ببديهة العقول عند ما قدمناه من القرائن حالاً ومقالاً ان أحداً من الذين شهدوا وشاهدوا لا يستريب فى تصديق الملك لمضى الرسالة ولا يمرض أحد منهم بعد ظهور الامارات على تشكيك النفس وترديد القول ولا توجههم قضية الحال الى سبر ونظر وإطالة فكر بل يستوي النظر الذين لا خبرة لهم فى النظر .

﴿ فصل ﴾

﴿ قال المصنف ﴾ وللدليل على نبوة الانبياء المعجزات والدليل على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه * ﴿ قلت ﴾ قد تبين ان النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها على أصح لا قول وأما

نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام فانها تعرف بطرق كثيرة (منها) المعجزات ومعجزاته منها القرآن ومنها غير القرآن والقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه وعجازه يعلم بطريقتين جملي وتفصيلي أما الجملي فهو انه قد علم بالتواتر أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ادعى النبوة وجاء بهذا القرآن وان في القرآن آيات التحدى والتعجيز كقوله تعالى (أم يقولون شاعر تربص به ريب المنون) قل تربصوا فاني معكم من المتربصين * أم تأثمروا أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) فتحداهم هنا أن يأتوا بمثله وقال في موضع آخر (فليأتوا بعشر - ورمثله مفتريات) وقال في موضع آخر (فليأتوا بسورة من مثله) وأخبر مع ذلك أنهم ان يفعلوا فقال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فن لم تفعلوا وان تفعلوا فأتوا النار) بل أخبر ان جميع الانس والجن اذا اجتمعوا لا يأتون بمثله فقال (قل انن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وقد علم ايضا بالتواتر انه دعا قريشا خاصة والعرب عامة وان جمهورهم في قول الامر كذبوه واذوا الصحابة وقالوا فيه أنواع القول مثل قولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومعلم ومجنون وأمثال ذلك وعلم أنهم كانوا يمارضونه ولم يأتوا بسورة من مثله وذلك يدل على عجزهم عن معارضته لأن الارادة الجازمة لا يتخفف عنها الفعل مع القدرة * ومعلوم ان ارادتهم كانت من أشد الارادات على تكذيبه وإبطال حجته وانهم كانوا أحرص الناس على ذلك حتى قلوا فيه ما يعلم انه باطل بادنى نظر وفيلسوفهم الكبير الوحيد (فكر وقد رثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الا قول البشر) وليس هذا موضع ذكر جزئيات القصص اذ المقصود ذكر ما علم بالتواتر من أنهم كانوا من أشد الناس حرصا ورغبة على قامة حجة يكذبونه بها حتى كانوا يتعلقون بالنقض مع وجود الفرق فانه لما نزل (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) عارضوه بالمسيح حتى فرق الله تعالى بينهما بقوله (ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وقال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذ قومك منه يصدون) وقالوا آء لهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) فن عارضوا خبره بمثل هذا كيف لا يدعون معارضة القرآن وهم لا يتقدرون على ذلك وقوله (ما تعبدون) خطاب للمشر كين لم يدخل فيه أهل الكتاب ولا

تناول اللفظ المسيح كما يظنه ظان من الظانين بل هم عارضوه بالمسيح من باب القياس يقولون
 اذا كانت الانبياء من حصص جهنم لانها معبودة كذلك المسيح وهذا كما قال تعالى (ولما ضرب
 ابن مريم مثلاً) فانهم جعلوه مثلاً لآلهتهم ولم يوردوه اشمول اللفظ كما يظن ذلك بعض
 المصنفين في الاصول ولهذا بين الله الفرق بين المسيح وبين آلهتهم بان المسيح عبد الله
 يستحق الثواب ولا يظلم بذنب غيره بخلاف الحجارة وان في جعلهم من الانبياء حصص جهنم اهانة له
 بذلك من غير ظلم ثم انتشرت دعوته في ارض العرب ثم في سائر الارض الى هذا الوقت
 وآيات التحدي قائمة متلوة وما قدر أحد أن يعارضه بما يظن أنه مثل * ولما جاء مسيلاً ونحوه
 بما أتوا به يزعمون انهم أتوا بمثله كان ما أتوا به من المضاحك التي لا تحتاج المعرفة بانتفاء مماثلها
 الى نظر وذلك كمن جاء الى الرجل الفارس الشجاع ذي الامة التامة فاراد أن يبارزه بصورة
 مصورة ربطها على الفرس * كقول مسيلاً ياضدع بنت ضفدعين كم تنقنين لالماء تكدرين
 ولا الشارب تمنين رأسك في الماء وذنبك في الطين * وقوله أيضاً الفيل وما أدراك ما الفيل له
 زلوم طويل ان ذلك من خلق ربنا لجليل وأمثال ذلك * ولهذا لما قدم وفد بني حنيفة على أبي
 بكر وسألهم أن يقرؤا له شيئاً من قرآن مسيلاً فاستمعوه فابى أن يعفيهم حتى قرؤوا شيئاً من هذا
 فقال لهم الصديق ويحكم أين ذهب بقولكم ان هذا كلام لم يخرج من إل أي من رب فاستفهم
 استفهام المنكر عليهم لفرط التباين وعدم الاتباس وظهور الافتراء على هذا الكلام وان الله
 سبحانه وتعالى لا يتكلم بمثل هذا الهذيان * وأما الطرق فكثيرة جداً متنوعة من وجوه وليس
 كما يظنه بعض الناس وان معجرتهم من جهة صرف الدواعي عن ممارضته وقول بعضهم انه من
 جهة فصاحته وقول بعضهم من جهة اخباره بالغيوب الى امثال ذلك فان كلا من الناظرين قد
 يري وجهاً من وجوه الاحجار وقد يريد الحجر وان لم ير غيره ذلك الوجه واستيعاب
 الوجوه ليس هو مما يتسع له شرح هذه العقيدة

﴿ فصل ﴾

﴿ قال المصنف ﴾ ثم نقول كما أخبر به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من عذاب القبر ومنكر
 ونكير وغير ذلك من أهوال القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فهو حق لانه
 ممكن وقد أخبر به الصادق فيلزم صدقه * والكلام على هذا في فصول ﴿ أحدها ﴾ أن يقال ان

هذه العقيدة اشتملت على الكلام في الايمان بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر ولا ريب ان هذه الاصول الثلاثة هي اصول الايمان الخبرية العلمية وهي جميعها داخلة في كل ملة وفي ارسال كل رسول فجميع الرسل اتفقت عليها كما اتفقت على اصول الايمان العممية ايضا مثل ايجاب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له واجباب الصدق والعدل وبر الوالدين وتحريم الكذب والظلم والفواحش فان هذه الاصول السلكية علما وعملا هي الاصول التي اتفقت عليها الرسل كلهم * والصور التي انزلها الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة التي يقال لها الصور المكية تضمنت تقرير هذه الاصول كسورة الانعام ولاعراف وذوات الرّوحم وطس ونحو ذلك والايمان بالرسول يتضمن الايمان بالكتب وبمن نزل بها من الملائكة وهذه الخمسة هي اصول الايمان المذكورة في قوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين) وفي قوله عز وجل (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) وهي التي اوجب بها النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل في صورة اعرابي وسأله عن الايمان فقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره والحديث قد أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب وهو من أصح الاحاديث فتلک الثلاثة تتضمن هذه الخمسة والله تعالى أنزل سورة البقرة وهي سنام القرآن وجمع فيها معالم الدين وأصوله وفروعه الى أمثال ذلك فان النظر فيها وجه من وجوه الايجاب ولما ذكر في أولها أصناف الخلق وهم ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين فقرر هذه الاصول الثلاثة الايمان بالله ثم الرسالة ثم اليوم الآخر فانه أنزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في صفة الكافرين وبضمة عشرة آية في صفة المنافقين ثم قال تعالى تقريراً للنبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) الى قوله تعالى (بسورة من مثله) فانه ذكر التحدي هكذا في غير موضع من القرآن

﴿ الفصل الثاني ﴾

ان مسائل ما بعد الموت ونحو ذلك الأشمري وأتباعه ومن وافقهم من أهل المذاهب الاربعة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية يسمونها السمعيات بخلاف باب الصفات والقدر وذلك

بناء على أصليين ﴿أحدهما﴾ أن هذه لا تعلم الا بالسمع ﴿والثاني﴾ أن ما قبلها يعلم بالعقل وكثير منهم أو أكثرهم يضم الى ذلك أصلا آخر وهو ان السمع لا يعلم صحته الا بتلك الاصول التي يسمونها بالعقليات مثل اثبات حدوث العالم ونحو ذلك * وأما محققوهم فيقولون ان العلم بحدوث العالم ليس من الاصول التي تتوقف صحة السمع عليها بل يمكن العلم بصحة السمع ثم يعلم بالسمع خلق السموات والارض ونحو ذلك * وأما الاصلان الاولان فإزعم فيهما طوائف مثل أمر المعاد فانه قد ذهب طوائف الى أنه يعلم بالعقل أيضا وهذا قاله طوائف من المعتزلة ومن غير المعتزلة أيضا من أتباع الأئمة الاربعة حتى من أصحاب أحمد كابن عقيل وغيره والفلاسفة الالهيون يثبتون معاد النفوس بالعقل وقد وافقهم على اثبات معاد الارواح بالعقل طوائف من أهل الكلام والتصوف وغيره وان كان هؤلاء يثبتون معاد الابدان أيضا اما بالسمع واما بالعقل ﴿فالمقصود﴾ أن العقل عندهم قد يعلم به اما معاد الارواح واما المعاد مطلقا * وأما انكار الفلاسفة لمعاد الابدان فهذا مما اتفق أهل الملل على ابطاله

﴿ الفصل الثالث ﴾

أن من انتسب الى الملل منهم من المسلمين واليهود والنصارى هم مضطربون في ما جاءت به الانبياء في المعاد فالحقون منهم يعلمون أن حججهم على قدم العالم ونفي معاد الابدان ضعيفة فيقبلون من الرسل ما جؤا به ومنهم قوم وافقة متحIRON لتعارض الأدلة وتكافئها عندهم ومنهم قوم أصروا على التكذيب ثم زعموا أن ما جاءت به الرسل هو أمثال مضروبة لتفهيم المعاد الروحاني وهؤلاء اذا حقق عليهم الامر صرحوا بان الرسل تكذب لمصلحة العالم واذ حسنوا العبارة قالوا إنهم يخيلون الحقائق في أمثال خيالية وقالوا ان خاصة النبوة تخييل الحقائق للمخاطبين وانه لا يمكن خطاب الجمهور الا بهذا الطريق كما يزعم ذلك الفارابي وأمثاله مع أن الفارابي له في معاد الارواح ثلاثة أقوال متناقضة تارة يقول لا تعاد وينكر المعاد بالسكينة وتارة يقول انها تعاد وتارة يفرق بين الانفس العائمة والجاهلة فيقر بمعاد العائمة دون الجاهلة ولهم في تفضيل النبي على الفيلسوف أو بالعكس نزاع فمقلاؤهم كابن سينا وأمثاله يفضل النبي على الفيلسوف وأما غلاتهم فيفضلون الفيلسوف ولا ريب أن أوليهم ليس لهم في النبوات كلام محصل وكلامهم في الالهيات قليل وانما توسع القوم في الامور الطبيعية والرياضية ومصنفات معلميهم الاول أرسطو عامتها من ذلك والذي

فيها من الالهيات أمر في غاية القلة مع اضطرابه وتناقضه * فاذا عرف ذلك فما جاء به السمع من أمر المعاد قرره عليهم النظائر بطريقتين (أحدهما) ببيان الكلام الصريح في اثبات معاد الابدان وتفاصيل ذلك (والثاني) ان العلم بان الرسل جاءت بذلك علم ضروري فان كل من سمع القرآن والاحاديث المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين لذلك علم بالاضطرار ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بمعاد الابدان وان القدح في ذلك كالقدح في انه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق ونحو ذلك والقرامطة الباطنية وهـ من الفلاسفة أنكروا هذا وهذا وزعموا ان هذه كلها رموز واشارات الى علوم باطنة كما يقولون ان الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج زيارة شيوخنا المقدسين ونحو ذلك مما هو مذكور في الكتب المؤلفة في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ولهذا القرامطة صنفت رسائل اخوان الصفا وهم الذين يقال لهم الاسماعيلية لانتسابهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر (قال ابن سينا) كان أبي وأخي من أهل دعوتهم ولهذا اشتغلت بالفلسفة * وأما الفلاسفة الذين لم يدخلوا في القرامطة المحضة فهم لا ينكرون العبادات والشرائع العملية بل قد يوجبون اتباعها والعمل بها لاسيما من دخل منهم في التصوف او الكلام لكن منهم من يوجب اتباعها على العامة دون الخاصة أو يوجبها من غير الوجه الذي أوجبها الرسول كما يجوزون ان يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم من يأتي بشرية أخرى ويقولون إن أحدهم يخاطبه الله سبحانه وتعالى كما خاطب موسى بن عمران ويعرج به كما عرج بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمثال هذه المقالات التي كثرت لما ظهرت الفلسفة التي أفسدت طوائف من أهل النصوص والكلام

﴿ الفصل الرابع ﴾

انه اذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما يذكره بعض أهل البدع كمناب القبر وسؤال منكر ونكير وكالصرط والشفاعة والحوض ونحو ذلك مما استفاضت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يستدل عليه بدلائل من القرآن أيضا لكن ليس التصريح به في القرآن كالتصريح بالجنة والنار وقيام القيامة وحشر الخلق ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الابدان أحد من أهل القبلة واذكر هذه الامور التي جاءت بها الاحاديث المستفيضة بل المتواترة عند علماء أهل الحديث طوائف من أهل البدع اما من المعتزلة واما من الخوارج واما من غيرها

﴿ الفصل الخامس ﴾

ان هذا المصنف وأمثاله إنما يذكرون الايمان بالسمعيات على طريق الاجمال وأما العلم بتفصيل ذلك فأنما يعرفه من عرف الاحديث الصحيحة في هذا الباب وما جاء في ذلك من آيات القرآن الكريم وتفسيرها الثابت عن الصحابة والتابعين ونحوهم

﴿ الفصل السادس ﴾

انه اذا علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله وأن الله تعالى مصدقه في قوله اني رسول الله اليكم فالرسول هو المخبر عن المرسل بما أمره أن يخبر به عم بذلك انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى اذ الكاذب فيما يخبر به ليس برسول في ذلك كما ان الذي لم يرسل بشيء قط هو كاذب في كل ما يخبر به وعن زعم انه أرسله بالامر كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حدثتكم عن الله فنأ كذب على الله وكما يعلم انه صادق في قوله ﴿ اني رسول الله اليكم ﴾ يعلم انه صادق في قوله ان الله تعالى يقول لكم كذا ويأمركم بكذا فتكذبه في هذا الخبر المعين كتكذبه في الاخبار باصل الرسالة والطرق التي بها يعلم صدقه في المطلق يعلم بها صدقه في المعين واولى فان مادل على الصدق في كل ما يخبر عن الله دل على الصدق في هذا الخبر المعين كالمعجزة وان المعجزة دلت على صدقه في دعواه ودعواه اني صادق على الله فيما أخبر به عنه لم يدع الصدق عليه في بعض الامور التي يخبر بها عنه دون بعض بل قال الله فيما أخبر به عنه (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقال تعالى (أم يقولون افترى على الله كذباً فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) * وقال تعالى (واذ تاتي عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) * قل لو شاء الله ماتوته عليكم ولا ادراككم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله افلا تعقلون) وقال تعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك ليفترى علينا غيره واذا لا اتخذوك خيلاً) * ولولا ان يفتنك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) (وقل موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق) والرسول الذي يكذب على مرسله مثل الذي يكذب في أصل الرسالة والله تعالى عالم بمحقق الامور فلا فرق بين اظهار

المعجز على يد من يكذب في أصل الرسالة أو يكذب فيما يخبر به عن مرسله

﴿ الفصل السابع ﴾

انه اذا ثبت صدقه في كل ما يخبر به عن الله تعالى فما أخبر به عنه القرآن فانه قد علم بالاضطرار انه بلغ القرآن عن الله سبحانه وأخبر أن القرآن كلام الله لا كلامه ومما أخبر به الله في القرآن ان الله أنزل عليه الكتاب والحكمة وانه أمر أزواج نبيه عليه الصلاة والسلام أن يذكرن ما ينزل في بيوتهن من آيات الله والحكمة وانه امتن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

﴿ ومن المعلوم ﴾ أن ما يذكر في بيوت أزواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اما القرآن وإما ما يقوله من غير القرآن وذلك هو الحكمة وهو السنة فثبت ان ذلك مما أنزله الله وأمر بذكره * وقد أمر الله تعالى بطاعته في القرآن في آيات كثيرة وقل (من بطع الرسول فقد أطاع الله) وقال عز وجل (والنجم اذا هوي * مضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحى يوحى) وقل سبحانه وتعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا وأمثاله يبين أن الله عز شأنه أوجب اتباعه فيما يقوله وان لم يكن من القرآن وأيضاً فرسالته اقتضت صدقه فيما يخبر به عن الله تعالى من القرآن وغير القرآن فوجب بذلك تصديقه فيما أخبر به ون لم يكن ذلك من القرآن والله سبحانه أعلم * والحمد لله والصلاة على خاتم رسل الله محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ ترجمة المصنف من طبقات الخضيرى بخط المؤلف ﴾

هو محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي الاصفهاني شمس الدين لآمام العلامة الفقيه الاصولي المتكلم النحوي أبو عبد الله مولده باصفهان سنة ٦١٦ وكان والده نائب السلطنة باصفهان * وشتغل باصفهان بجملة من العلوم في حياة ابيه بحيث انه تعين ومات نظروءه ثم لما استولى العدو على اصفهان رحل ابي بغداد واخذ في الاشتغال في الفقه على الشيخ سراج الدين الهرقلى وبالعلوم على الشيخ تاج الدين لارموى * ثم ذهب الى الروم الى الشيخ اثير الدين الابراري فخذ عنه الجدل والحكمة واتقن هذه العلوم على طريقة المعجم ودخل الى هذه البلاد وسمع الحديث بحلب من

طغربك بن عبدالله المحسنى وغيره ودخل الى دمشق بعد الخمسين وثمانمائة وناظر الفقهاء واشتهرت
 فضائله* ثم انتقل الى القاهرة واشتهر بها امره وتولى قضاء قوص مدة ثم قضاء كدك ثم رجع
 الى القاهرة ودرس بها بالمشهد الحسينى ثم بقبة الامام الشافعى وصنف التصانيف الحسنة التي
 منها شرح المحصول* وهو حافل كبير مات ولم يكمله سماه الكاشف عن المحصول وكتاب القواعد
 في العلوم الاربعة* الاصلين والخلاف والمنطق* قال الشيخ تاج الدين الفزارى صنف كتابا سماه
 القواعد فيه مقدمة في اصول الفقه ومقدمة في اصول الدين ومقدمة في المنطق ومقدمة في
 الجدل وأراد ان يجعل فيها شيئا من الفروع فلم يطق لانه لم يكن متبحرا في المذهب سمعت انه
 علق من كتاب الطهارة الى آخر كتاب الحيض ووقف وله كتاب غاية المطالب في المنطق
 وشرح الحاجبية في النحو شرحا طويلا وغير ذلك وتخرج به طلبة مصر وناظر الفقهاء واشتهرت
 فضائله وانتهت اليه الرياسة في اصول الفقه وكانت له يد باسطة في النحو والادب* ذكره الشيخ
 تاج الدين الفر كاح وقال لم يكن في زمانه مثله في علم الاصول* دخل حلب وناظر فقهاءها
 وأقروا بفضائله وعلمه وقال ابن الزملى كان اشتهر بعلم اصول الفقه واشتغل الناس عليه ورحل
 اليه الطلبة وكانت له يد في علم اصول الفقه والخلاف والمنطق وشرح المحصول شرحا كبيرا
 نقل كثير لم يحتو كتاب على نقله لكنه اذا انفرد بسؤال وجواب كان فيه ضعف وله في المنطق
 كتاب سماه غاية المطالب وكان دليل البضاعة في العلوم النقلية وقال الذهبي له يد طولى في
 العربية والشعر وتخرج به المصريون وقال الادفوى في البدر السافر كان متدينا عاقلا ليبرا
 صحيح المعتقد خرج من اصفهان شابا فاشتغل ببغداد وقدم الى مصر فولاه ابن بنت الاعز قضاء
 قوص فسار سيرة حسنة بشهادة وصرامة تعرض الحاجب بتوص في بعض الامور الشرعية
 فضر به بالدره وكان اذا اخذ في الدرس لا يزعج ولا ينعضب* قال النور الاشثاني قرأت عليه
 في الاصول ثم أردت ان اقرأ في المنطق فقال لا حتى تتمزج بالعلوم الشرعية امتزا جيدا وكان
 أبوحيان يعظمه وكذا غيره حتى قلوا لم يرد من المعجم الى مصر في تلك الاعصار
 اكمل منه ثم نقل عنه تصحيفات في القرآن وفي رجال الحديث*
 ثم قال له تتر حسن* مات في رجب سنة ٦٨٨
 ودفن بالقرافه رحمه الله تعالى

— فهرست شرح العقيدة الاصفهانية على وجه الاختصار —

صحيفة	صحيفة
١٥	٣ متن العقيدة الاصفهانية
مستحيل (وهو المقدمة الثانية)	المريد والمتكلم ايسا من أسماء الله تعالى
١٦ شرح أن وجودها بممكن آخر مستحيل	بل من صفاته
أيضا على طريقة الرازي وأمثاله	٤ كل واحد من الارادة والكلام على
١٦ فصل وفيه ذكر دلائل الوحدةانية وانتقاد	قسمين محمود ومذموم
الشارح على ما في المتن	٤ الكلام والارادة صفتان قائمتان به تعالى
١٧ بيان فساد حجة المصنف من سبعة وجوه	٤ كلامه غير مخلوق ومعني قولهم منه بدا
٢١ تبحيح اصطلاح المتفلسفة الذين يسمون	واليه يعود
الموصوف مر كبا	٥ بيان فساد قول الجهمية وأتباعهم في
٢١ بيان فساد ما ذكره المصنف من قوله	الصفات
ويلزم من ذلك أن لا يكون من نوعه اثنان	٦ قول قدماء الجهمية وقتل الجعد
٢٢ فصل في شرح قوله والدليل على علمه	٧ وجه تخصيص مذكره المصنف وغيره من
ايجاده الاشياء الخ	المصنفين في العقائد (وبيان ليس كمثل شيء)
٢٢ فصل في شرح قوله والدليل على قدرته الخ	٩ بعض الناس يؤول الحب والرحمة
٢٣ فصل في شرح دلائل الحياة والارادة	١٠ الوجوب على كل مسلم أن يصدق بما
٢٤ فصل في شرح دليل صفة الكلام	ورد من الصفات
٤٤ مذهب ان الله لا يجوز أن يدخل هو	١١ فصل وفيه بيان حال المصنفين في العقائد
وغيره تحت قياس شمول يستوى افراده	وما كان عليه السلف
ولا يجب قياس تمثيل يستوى فيه حكم	١٢ لم يسلك المصنف طريق السلف
لاصل والفرع فانه ليس كمثل شيء	١٣ كلام شيخ الاسلام في تقرير وجود
٤٤ ابطال قولهم الواحد لا يصدر عنه لا واحد	الممكنات تقييد دلائل المصنف في المقدمة
٤٦ معارضة قولهم هذا	الاولى

صحيفة	صحيفة
مع الفلاسفة مسألة حدوث العالم	٤٨ التنبيه على أن طرق السافأ كل الطرق
٦٤ وأما الطرق العقلية فمن وجود (أحدها)	٤٩ اثبات كونه متكاملا
ان الحى اذا لم يتصف الخ	٥٠ الرسل تخبر بمجازات العقول
٦٥ فصل والدليل على كونه سميا بصيرا	٥١ اعتراض على المصنف في اعماله كثيرا
السميات	من المسائل وانتهى الى الاعتزال
٦٥ وللناس في اثبات كونه سميا بصيرا	٥٣ من المعتزلة من لا يقر بمذكر ونكير
طرق أحدها السمع	٥٣ ثبات الكلام على سلك أهل السنة
٦٥ الطريق الثانى انه لو لم يتصف بالسمع الخ	٥٥ أربع مسائل تتعلق بالصفات
٦٧ بطل قول ارسطو وتباعه في هذا الباب	٥٧ قول البخارى في ان القرآن كلام الله
٦٧ كلام على الظاهرية	ليس بمخوق وبيان قول بن عبيدة
٦٨ الاشعري وأصحابه اقرب الى السلف	٥٨ مطلب وللناس طرق اخرى الخ
من غيرهم	٥٨ مطلب ان الاستدلال على الكلام بمش
٦٩ انتقد على ما أنه أحد أصحاب السلف	هذه السميات كل من الاستدلال على السمع
في الاعتقاد من أنه أهمل كثير من	٥٩ سؤال وجوب متناق بمسألة الكلام
اعتقادات السنة	٦٠ قولهم القرآن غير مخلوق هل هو صفة
٧٠ كثير من الناس ينسبون الى الأئمة	لازمة لا لو ذكر جماعة من قل بها
ويخالفونهم	٦١ ولا ريب ان الطرق لدالة الخ وفيه محاجة
٧٠ بحث القرامطة والاقليد العاشر من	بين المثبتين والنفية
كتاب الاقاييد من كتبهم وفيه اعتقاد	٦١ أما السمع فليس مع النفاة منه شئ
في الصفات	٦٢ مطلب ان النفاة على نوعين
٧٣ قلت فهذا حقيقة مذهب القرامطة الى	٦٢ أجوبة ثلاثة من استدلال من استدلال
آخره وفيه الرد عليهم	بالحركة على حدوث الاجسام
٧٤ كلام في أهل الوحدة والقرامطة وان	٦٣ أصعب المواضع على المتكلمين في بحثهم

صحيحة	صحيحة
٩٣ وقد سلك آخرون من المتكلمين	الحلاج منهم
والمفلسة والتصوفة وغيره طرقاً أخرى	٧٥ الطريق الثالث لأهل النظر في ثبات
ثم المتكلمون من المعتزلة وغيرهم بوجوب	السمع والبصر
النبوة على الله تعالى وإنما يوجبون	٧٦ الطريق الرابع في ثبات السمع والبصر
ذلك على طريقتهم فيما يجب وجوده في	٧٧ فصل قال المصنف والدلائل على نبوة
المنفرد الخ	الأنبياء المعجزت في قوله ولانظرونها
٩٣ وهذا على طريقة عقلاء الزنادقة الذين	طرق متعددة
يفضون النبي على الفلاسوف والولي	٧٩ الفرق بين النبي والمتنبي والصادق
كأبن سينا وأمثاله وأما غلاتهم كالفارابي	والكاذب
وأمثاله الذين يفضلون الفلاسوف على النبي	٨٢ دلائل النبوة ليس منحصراً في المعجزات
وأبو حامد كثير ما سلك هذه الطريق	بل لها طرق أخرى وهو مبحث مهم
في كتبه لكنه لا يوافق المتفلسفة الخ	(مع ذكر لآيات لدلة على ذلك مفصلاً)
٩٤ ذكر أبو حامد السمع من كثرة فإنيهم	٩٠ فالله أنه كاذب في لارض من يقول بأنهم
ينقسمون الى ثلاثة أقسام الدهريون	رسل الله وأنتم ما اتبعوهم الخ هو من
والألهيون والطيريون	أظهر الموعود بآياته وأجلها الخ
٩٩ ثم تكلم أبو حامد في حقيقة النبوة وضطرار	٩١ والتصور هنا أن طريق المصنف بالرسالة
كافة الخالق اليه فقف اعلم الخ	كثيرة جداً متنوعة الخ
١٠٥ ترجيح شيخ الاسلام كلام أبي حامد	٩٢ ومن الطرق أيضاً أن من تميل ما جاء
والمعتزلة في حقيقة النبوة على الفلاسفة	به الرسل الخ
١١٢ كلام السانف ولائمة في ذم البدع الكلامية	٩٣ وهذه الطريق تسلك جملة في حق
في العلم والبدع الحديثة الخ	الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيلاً
١١٤ ما ذكره أبو حامد من أن هذه الطريق	في حق واحد واحد بعينه فيستدل الخ
تفيد نعم الضروري بالنبوة دون طريقة	٩٤ وهذه الطريق يسلكها كل أحد بحسبه الخ

صحيفة

المعجزات الخ

١٢٠ قال شيخ الاسلام قلت ذم أهل العلم والايان
من خرج عما جاء به الرسول في الاقوال
والاعمال الخ

١٢٤ والمقصود هنا أن ترك ما يجب من العمل
بالعلم الذي هو مقتضى التصديق قد يفضي
الى سلب التصديق والعلم

١٢٦ وما أئمة السنة والجماعة فملى اثبات
التبويض في الإسم والحكم فيكون مع
الرجل بعض الايمان لا كله الخ

١٢٧ والمقصود هنا أن يعلم أنه لم يزل في أمة
محمد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
١٢٨ والمقصود هنا أن طرق العلم بصدق

النبي ممتدة تعددا كثيرا الخ

١٢٨ ومن هذا الباب علم الانسان بمدلة الشاهد
ونحدث والمفتي حتى يزكهم الخ

١٣٥ ولا ريب أن منكري النبوات لهم شبه الخ
١٣٥ وبجملته فتقرير النبوت من القرآن أعظم
من أن يشرح في هذا المقام الخ

صحيفة

١٣٧ فصل في هذه الطرق سلكها أكثر أهل
الكلام وغيرهم ولهم في تقرير دلالة
المعجزة على الصدق طرق

١٣٨ والمقصود هنا ما يتعلق بتقرير النبوة الخ
١٤٠ فبهذا وأمثاله يعلم أنه لا يؤيد كذا بابا بالمعجزة

١٤١ فصل وهذه الطريق لم يسلكها أبو الحسن
الاشعري وأصحابه ومن وافقهم الخ

١٤٢ وبالجمله فجمهور الأئمة على أن الله تعالى
منزه عن أشياء هو قادر عليها الخ

١٤٣ قال شيخ الاسلام قلت والمقصود هنا أن
من لم ينزهه عن فعل مقدور له بل جوز الخ

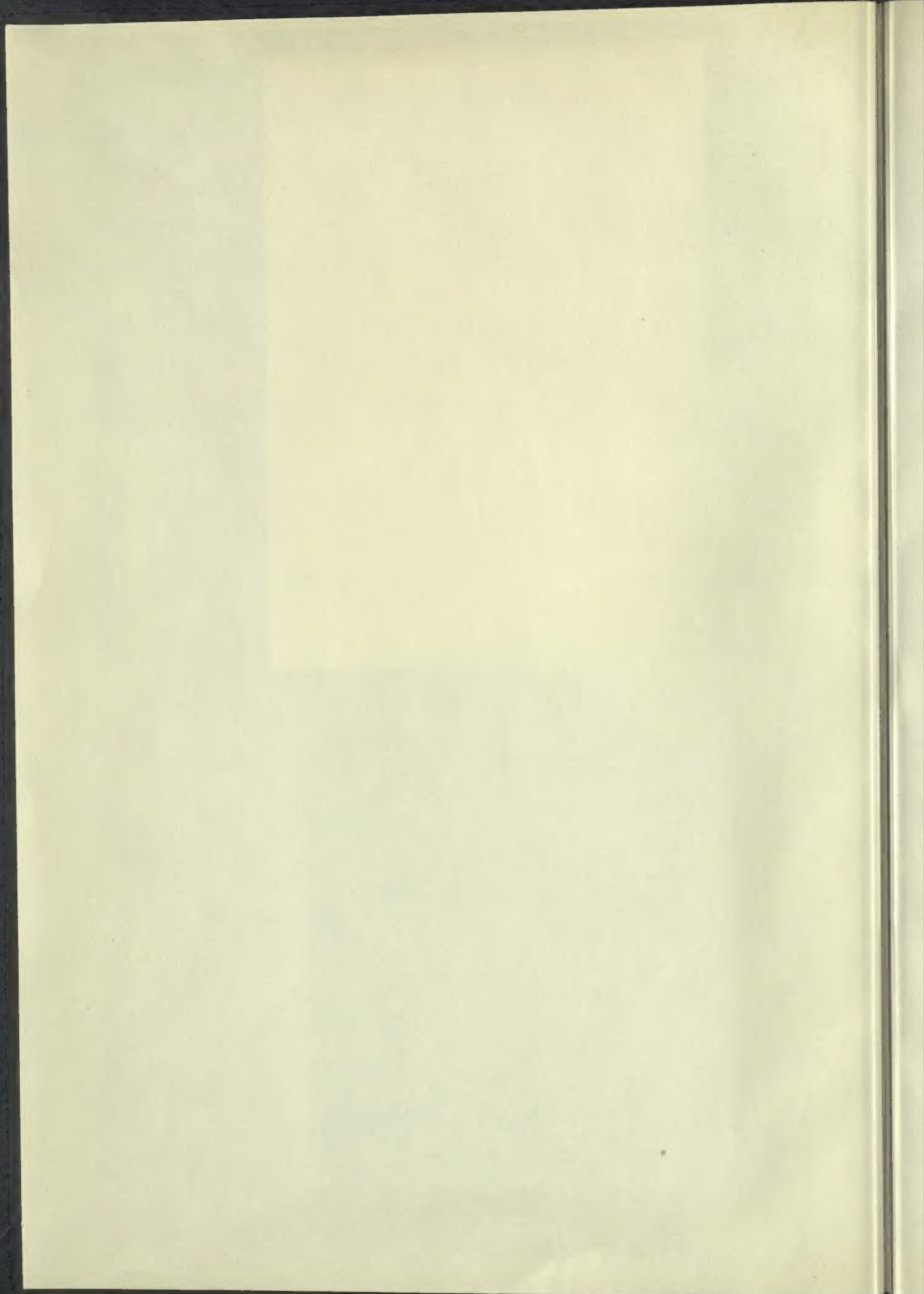
١٤٤ فصل والدليل على نبوة الانبياء المعجزات
والدليل على نبوة نبينا القرآن لمعجز
نظمه ومعناه

١٤٦ فصل في بيان المصنف أحوال الآخرة
والبرزخ وما يتعلق بهما من أهوال

القيامة والصراط والميزان والشفاعة
والجنة الخ (وفيه سبعة فصول مهمة)

١٥١ ترجمة المصنف قلا من طبقات الخضيرى





DATE DUE

J. LIB.

18 JAN 1997

JAFET LIB.

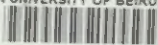
28 FEB 1998



297.3:I13sA:c.1

ابن تيمية الحراني، تقي الدين أحمد بن
شرح العقيدة الاصفهانية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01007920

297.3:I13sA

ابن تيمية الحراني، تقي الدين أحمد بن

297.3
I13sA

